بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة كلية اللغة العربية

تصدر في كلية اللغة العربية
بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم - السودان
السنة السادسة - العدد السادس
رجب ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م

فهرس المكتبة الوطنية السودان

مجلة كلية اللغة العربية

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

ردمد : ISSN : X 716 - 1858

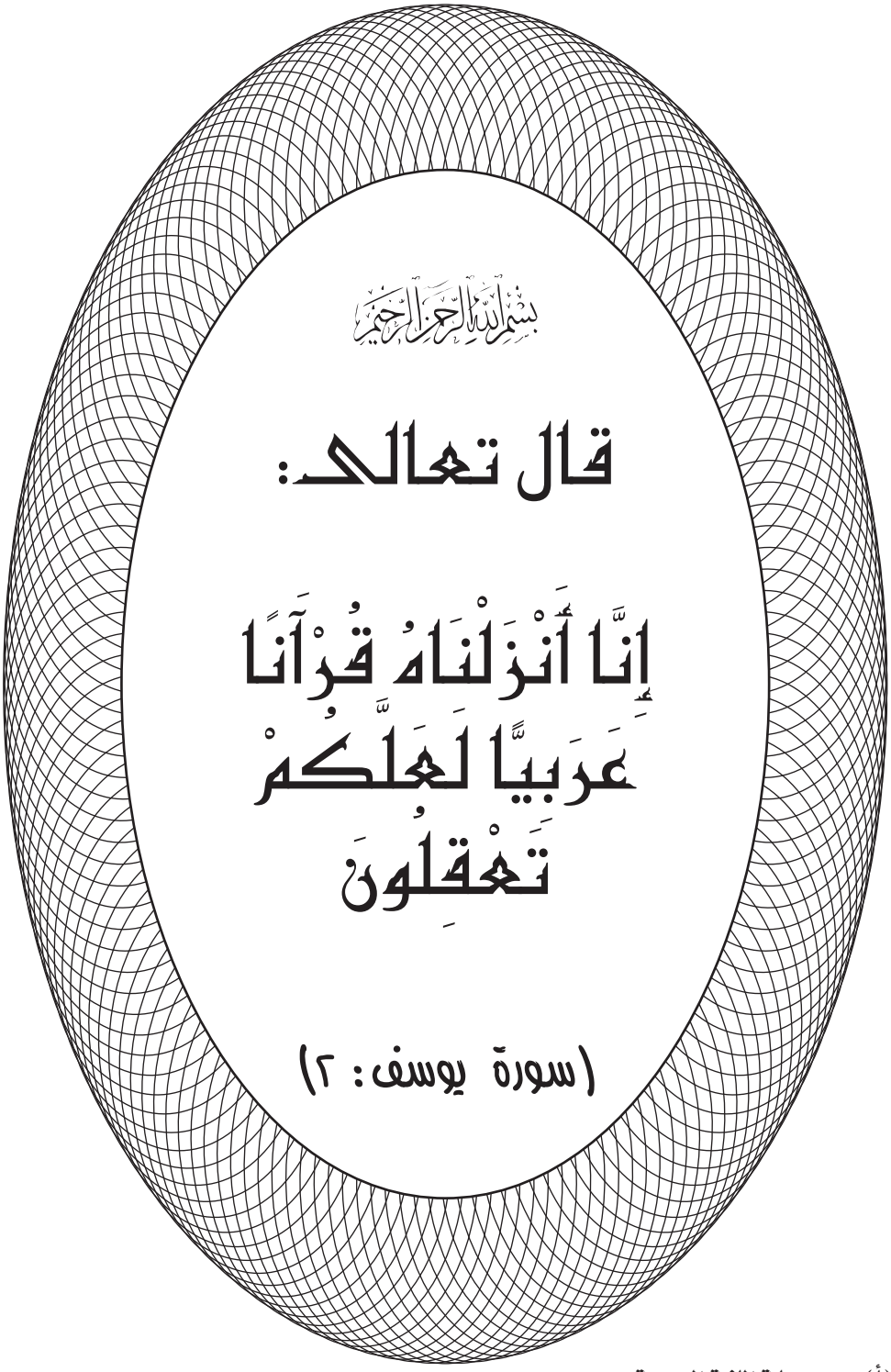
بسم الله الرحمن الرحيم
قال تعالى:
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ
(سورة يوسف: ٢)

قواعد النشر

١. تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تتناول مجالات المعرفة المتصلة بعلوم اللغة العربية المختلفة.
٢. أن يخدم البحث قضايا اللغة العربية وفقاً للمنهجية العلمية.
٣. ألا يكون البحث المقدم قد سبق له النشر في أي مجلة علمية أخرى.
٤. يجب ألا يكون أي من البحوث أو الدراسات المقدمة جزءاً من رسالة دكتوراه أو ماجستير.
٥. أن يتسم البحث بالأصالة والجدة وأن يكون فيه إضافة للمعرفة.
٦. يشترط في البحوث المقدمة من الناحية الشكلية الآتي:
أ- أن يكون مطبوعاً في نسختين بخط (Simplified Arabic) بحجم ١٦ وبهوامش ٢ سم علوي وسفلي وأيسر، و٣ سم أيمن، ونسخة ثالثة رقمية (بقرص مرن CD).
٧. ألا يزيد البحث عن ٤٠ صفحة ولا يقل عن ٢٠ صفحة بما في ذلك الأشكال.
٨. أن يكون مستوفياً لشروط التوثيق وفق المنهج العلمي بالنسبة للنصوص المرجعية، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف بصفة خاصة، وتوثيق المصادر لتدوين المعلومات الخاصة بها في هوامش الصفحات.
٩. يقدم الباحث ملخصاً لبحثه على ألا يزيد الملخص على (٢٥٠) كلمة.
١٠. ترسل البحوث إلى رئيس تحرير المجلة وله حق الفحص الأولي للبحوث وتقرير صلاحيتها للتحكيم أو استعادة أي منها.
١١. تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم العلمي من قِبل محكّمين اثنين من ذوي الاختصاص ويُبلّغ صاحب البحث بنتيجة التحكيم خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر من تسليم البحث.
١٢. هيئة التحرير غير ملزمة برد البحوث التي لا تقبل النشر.
١٣. يمنح كل باحث ثلاث نُسخ من عدد المجلة المنشور فيها بحثه.

مجلة كلية اللغة العربية

الإشراف العام

د/محمود مهدي الشريف خالد

رئيس هيئة التحرير

د/ عبد القادر محمود محمد مالك

مدير هيئة التحرير

د/ مجدي أحمد إبراهيم محمد

أمانة التحرير

أ/ خالد بشير محمد نور مصطفى

أعضاء هيئة التحرير

أ.د/ محمد الفاتح زين العابدين أحمد د/ بركات محمد أحمد محمد

د/ محمد أحمد إدريس إدريساي د/ فوزية عمر محمد علي

التدقيق اللغوي

أ/ عبد الوهاب فضل الله الجنيد

الهيئة الاستشارية

أ.د/ محمد حسب الله محمد علي د/ محمد أبوعبيدة محمد الزبير

د/ عثمان أحمد محمد البشير د/ بابكر الأمين الدرديري

د/ برير سعد الدين الشيخ السماني

تصميم المجلة والغلاف

محي الدين علي فضل الله

المراسلات رئيس هيئة التحرير

المناقل – ولاية الجزيرة – السودان

البريد الإلكتروني:

majdiibrahim723@gmail.com – khalidjwada@gmail.com

افتتاحية العدد

الحمد لله الذي علَّم بالقلم،علَّم الإنسان ما لم يعلم،والصلاة والسلام على من بُعث بشيراً ونذيراً للعرب والعجم.

أما بعد،الإخوة والأخوات القُراء الكِرام مرحباً بكم في عددنا السادس من مجلتكم مجلة كلية اللُّغة العربية،ويأتي هذا العدد حاملاً في طياته عدداً من البحوث التي تعكس وجهاً مشرقاً لهذه اللُّغة المختارة من عند الله ـــ عزَّ وجلَّ ـــ والتي أصبحت علماً من العلوم الإسلامية.

وعكف على هذه الأوراق البحثية نفرٌ كريم من الباحثين حتى خرج هذا العدد في ثوب قشيب وجاءت مواضيعه على النحو التالي:

الموضوع الأول بعنوان: (**استشهاد ابن هشام بالحديث النبوي في كتابه شرح شذور الذهب**) كتبه الدكتور/ محمد أبو عبيدة محمد الزبير وبيَّن فيه قضية الاستشهاد بالحديث النبوي، و توصل الباحث إلى أن هنالك بعض الروايات للحديث النبوي تخالف النص الذي استشهد به ابن هشام.

وجاء الموضوع الثاني بعنوان: (**أشباه الصوائت عند القراء واللُّغويين**) أعدّه الدكتور/ مجدي أحمد إبراهيم محمد وهدفت دراسته إلى بيان اختلاف القراء في المد الناتج عن الياء والواو الساكنين المفتوح ما قبلهما،ومما توصلت إليه الدراسة أن أشباه الصوائت تتصف بالخاصية الانتقالية،حيث ينتقل اللسان عند النطق بها من موضع إلى آخر.

أمّا الموضوع الثالث فجاء بعنوان: (**أثر النحو في تفسير القرآن الكريم**) أعدّه الدكتور/ الصادق علي وداعة وهدف البحث إلى بيان أثر علم النحو في تقريب معاني القرآن الكريم،ومما توصل إليه الباحث أن اختلاف حركات الإعراب في الكلمة الواحدة يُظهر أكثر من مدلول لمعنى الكلمة.

وجاء الموضوع الرابع الموسوم بـ (**البلاغة بين مراعاة مقتضى الحال والخروج عليه**) كتبه الدكتور/ عزالدين علي مختار ويهدف هذا البحث إلى

الإجابة عن السؤال: هل البلاغة مراعاة لمقتضى الحال أم الخروج عليه ؟ وتوصلت الدراسة إلى أن البلاغة هي مراعاة لمقتضى الحال لا الخروج عليه.

أما الموضوع الخامس فجاء بعنوان: (**قضايا تصريف الأفعال في قراءة ابن عامر**) أعدّه الدكتور/ ياسر أحمد عثمان البشير وتناولت الدراسة القلب المكاني في الفعل تطبيقاً على قراءة ابن عامر،وهدفت إلى مقارنة التوجيه الصرفي لقراءة ابن عامر مع القراءات الأُخر،وخلصت الدراسة إلى أن ابن عامر لم يكن قارئاً فقط بل كان نحويّاً فذاً.

وجاء الموضوع السادس بعنوان: (**مصادر النحو العربي**) كتبه الدكتور/ محمد الطيب البشير بابكر وتناولت الدراسة مصادر النحو العربي التي استند عليها النحاة في تقعيد قواعدهم النحوية،وتوصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم هو المصدر الأول علي الصعيد النظري والمصدر الثاني على الصعيد العملي.

أما الموضوع السابع فأتى في محور الأدب بعنوان: (**الاتجاه السياسي وأثره في شعر حزب الخوارج الأموي**) إعداد الدكتور / عمار عبد الرحمن إسماعيل أمبدة،وهدفت الدراسة إلى التعريف بالخوارج ومفهوم الشعر السياسي وتطوره،وتوصلت الدراسة إلى أن شعر الخوارج اصطبغ بصبغة دينية مستمدة ألفاظها ومعانيها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وفي الختام نهيب بالقُراء الكرام أن يشيروا بآرائهم ومقترحاتهم لتطوير المجلة،وشكرنا موصول لكل من أسهم في إخراج هذا العدد.

د. عبد القادر محمود محمد مالك

رئيس هيئة التحرير

محتويات العدد

الرقم	الموضـــوع	الصفحة
١	الاستهلال	أ
٢	قواعد النشر	ب
٣	هيئة التحرير	ت
٤	افتتاحية العدد	ث
٥	محتويات العدد	ح
٦	استشهاد ابن هشـــام بالحديـث النبـــوي في كتابـــه شرح شذور الذهب الدكتور/ محمد أبو عبيدة محمد الزبير	١
٧	أشباه الصوائت عند القراء واللغويين الدكتور/ مجدي أحمد إبراهيم محمد	١٩
٨	أثر النحو في تفسير القرآن الكريم الدكتور/ الصادق علي وداعة عثمان	٣٩
٩	البلاغة بين مراعاة مقتضى الحال والخروج عليه الدكتور/ عزالدين علي مختار علي	٦٧
١٠	قضايا تصريف الأفعال في قراءة ابن عامر الدكتور/ ياسر أحمد عثمان البشير	٩١
١١	مصادر النحو العربي الدكتور/ محمد الطيب البشير بابكر	١١٩
١٢	الاتجاه السياسي وأثره في شعر حزب الخوارج الأموي الدكتور/ عمار عبد الرحمن إسماعيل أمبدة	١٤٣

استشهاد ابن هشام بالحديث النبوي الشريف في كتابه شرح شذور الذهب

الدكتور/ محمد أبوعبيدة محمد الزبير[1]

المستخلص

هدفت الدراسة خلال هذا البحث إلى بيان قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند ابن هشام في كتابه (شرح شذور الذهب) وتوصلت الدراسة إلى أن ابن هشام اتخذ بعض الأحاديث الشريفة دليلاً على قاعدة نحوية ونجده في كثير من القضايا النحوية استشهد بالحديث النبوي الشريف وكذلك توصلت الدراسة إلى أن هنالك بعض روايات الحديث تخالف النص الذي استشهد به ابن هشام وأوصى الباحث في دراسته هذه أن يتخذ الحديث النبوي الشريف من المصادر الأساس للغة والنحو كما أوصى بدراسة النحو التطبيقي بالاعتماد على الحديث النبوي الشريف.

Abstract

The study aimed at clarifying the issue of citation by the hadieth of the Prophet (p.b.u.h) in Ibn Hisham in his book (sherooh shezor aldahab),explaining the roots of gold. The study has reached that the Ibn Hisham took some of the hadieths evidence on the grammar base and we find in many grammatical issues cited the Prophet's hadieth as well, the study reached that there are some narrations of the hadieths contrary to the text cited by Ibn Hisham. The researcher recommended in this study to take the Prophet's hadieth as the basic sources of language and grammar and recommended the study of applied grammar depending on the hadieth.

(١) أستاذ النحو والصرف المشارك ـــ جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم ـــ ووكيل الجامعة.

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في النحو العربي من القضايا التي نالت حيزاً كبيراً من البحث منذ أن أثارها أبوحيان في انتقاده لابن مالك في شرحه للتسهيل.

الإمام ابن هشام مصنف كتاب شرح شذور الذهب استشهد بالأحاديث النبوية في مواطن عديدة من هذا الكتاب،قام الباحث بجمع هذه الأحاديث وبيّن مواطن الاستشهاد بها ما كان بانياً لقاعدة جديدة أو مؤيداً لقاعدة معروفة وبيّن الباحث منهج ابن هشام في الاستشهاد بالحديث الشريف.

تمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث تناول الباحث في الأول ابن هشام – حياته ومؤلفاته،وفي الثاني قضية الاستشهاد بالحديث الشريف وفي الثالث استشهاد ابن هشام بالحديث الشريف في كتاب شرح شذور الذهب.

أهمية البحث:

كل قضية تتعلق بكتاب الله عز وجل والحديث النبوي الشريف لها حيز كبير ومنزلة خاصة في نفوس المهتمين بتأصيل العلوم كافة سيما علم النحو ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة.

الأهداف:

١/ حصر المواضع التي استشهد فيها ابن هشام بالحديث الشريف في كتابه شرح شذور الذهب.

٢/ التقعيد النحوي عند ابن هشام بناءً على الحديث الشريف.

٣/ استخلاص قضايا نحوية تم الاستشهاد فيها بالحديث الشريف.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي.

المبحث الأول

ابن هشام

هو أبو محمد عبدالله جمال الدين بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري،ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨هـ الموافق سنة ١٣٠٩م،ونشأ وترعرع في القاهرة وكان محبّاً للعلم والعلماء وتلقى العلم على يد عدد من الشيوخ منهم ابن السراج وأبو حيان والتاج التبريزي والتاج الفكهاني والشهاب ابن المرحل وابن جماعة وغيرهم[١]، ولم تذكر كتب التراجم تلاميذ

(١) انظر بغية الوعاة للسيوطي/ ت محمد أبوالفضل إبراهيم/ المكتبة العصرية/ بيروت/ ج٢ص٦٨.

ابن هشام،قال صاحب البغية (وتخرج به جماعة من مصر وغيرهم)[1].

منزلته العلمية:

أتقن ابن هشام العربية حتى فاق أقرانه وشيوخه ومعاصريه وكانت له منزلة رفيعة بين العلماء في مصر بل في المشرق والمغرب حيث ذكر صاحب الدرر الثامنة في أعيان المئة الثامنة نقلاً عن ابن خلدون (مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه)[2].

كان ابن هشام يمتاز بالتواضع والبر والشفقة ودماثة الأخلاق ورقة القلب فضلاً عن التدين والعفة وحسن السيرة والاستقامة وحسن العقيدة،تفقه على مذهب الشافعي ثمّ انتقل إلى مذهب ابن حنبل وكان صبوراً في طلب العلم وتحصيل الغايات وكان يتميز بذكاء خارق وذاكرة قوية.

أهم مؤلفات ابن هشام:

لابن هشام مؤلفات عديدة ومصنفات مفيدة أهمها (مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب) و(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) و(شذور الذهب) و(شرح شذور الذهب) و(قطر الندى وبل الصدى) و(القواعد الصغرى) و(القواعد الكبرى) و(الإعراب عن قواعد الإعراب) و(الجامع الصغير) وغيرها كثير وقد أصبحت كتبه مجالاً للباحثين تحقيقاً وشرحاً ودراسة وطبعت طبعات عديدة.

منهج ابن هشام في كتاب (شرح شذور الذهب):

كتاب شرح شذور الذهب شرح فيه ابن هشام كتابه المختصر (شذور الذهب) وهو متن في النحو ضمن ابن هشام هذا الكتاب أكثر أبواب النحو الأساسية التي لا غنى لطالب علم العربية عنها،مما جعل الدارسين قديماً وحديثاً يعنون عناية خاصة بهذا الكتاب حتى دُرس في كثير من الجامعات والمعاهد لما فيه من الوضوح والتركيز فضلاً عن الطريق المبتكرة في ترتيب أبوابه وفصوله وموضوعاته – حيث ضمّ ابن هشام أبواب النحو المتشابهة بعضها إلى بعض فذكر المرفوعات مجتمعة ثمّ ذكر المنصوبات فالمجرورات على المنوال نفسه،فضلاً عن الأبواب والفصول والمسائل المتفرقة الأخرى. وهذه الطريقة ابتكرها ابن هشام وافتخر بها غيره في كتابته كقوله في المنصوبات،وقد قسمت الفعل بحسب المفعول به تقسيماً بديعاً فذكرت أنه سبعة أنواع.

(١) المصدر السابق ج٢/ص٦٨.

(٢) الدرر الكامنة بأخبار المئة الثامنة –ابن حجر العسقلاني ت: عبدالمعيد ضان –دائرة المعارف العثمانية –حيدر اباد –الهند–ط٢(١٩٧٢م–ج٢ص٣٠٨.

شواهد ابن هشام في شرح شذور الذهب:

وابن هشام في كتابه هذا يسير على نهج العلماء السابقين في عرض الفكرة والاستدلال بالقرآن الكريم والشعر القديم وخالفهم بالاستشهاد بالحديث الشريف.

ومنهج ابن هشام في الاستشهاد بالقرآن الكريم هو (إنّ القراءة سنة متبعة لا تخالف) ولذلك لم يرد أي قراءة بل خرجها أو اتخذ منها قاعدة وإن خالفت أقوال النحاة. وابن هشام لم يتعصب لأي مدرسة نحوية وإن كان أكثر ميلاً للبصريين.

منهج ابن هشام هو الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وهو في هذا يتابع ابن مالك ويخالف أبو حيان. وهو الموقف الصحيح في الاستدلال بأقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب – وقد استشهد بالحديث الشريف في ستة وعشرين موضعاً نعرض لها بالتفصيل في المبحث القادم.

طبعات الكتاب وتحقيقه:

تلقت الأمة مصنفات ابن هشام بالقبول وكتب لها الانتشار والذيوع قبل ظهور الطباعة وبعدها، ولذلك تسابق الباحثون في العصر الحديث في تحقيق مصنفات ابن هشام وطباعتها وتهذيبها وإخراجها في ثوب جميل،ومن أوائل من اهتموا بمصنفات ابن هشام المرحوم الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد الذي فاز بفضيلة الإقدام على مؤلفات ابن هشام وغيرها فساهم مساهمة عظيمة في نشرها وإحيائها ومنها شرح شذور الذهب حيث حققه وعلق عليه تعليقات مفيدة وسمى تحقيقه (منتهى الأدب بتحقيق شرح شذور الذهب) وطبع طبعات عديدة منها طبعة دار الطلائع- وأيضاً حقق الكتاب الأستاذ بركات يوسف هبود وعلق عليه تعليقات مفيدة وقد راجع هذا التحقيق الشيخ يوسف محمد البقاعي وطبعته دار الفكر-بيروت.

المبحث الثاني

الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في النحو العربي

إنَّ قدامى اللغويين والنحاة كانوا يرفضون الاستشهاد بالحديث في اللغة،فلا يستندون إليه في إثبات ألفاظها أو وضع قواعدها ،يقول الشيخ أحمد الإسكندري: "مضت ثمانية قرون والعلماء من أول أبي الأسود الدؤلي إلى ابن مالك لا يحتجون بلفظ الحديث في اللغة إلا الأحاديث المتواترة". ويقول أبو حيان معترضًا على

ابن مالك لاستشهاده بالحديث: "على أن الواضعين الأولين لعلم النحو والمستقرئين للأحكام من لسان العرب،والمستنبطين المقاييس كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين،وكمعاذ والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك"(١).

وقد حاول المتأخرون أن يعللوا هذا الرفض المزعوم وانتهوا إلى أنه يرجع لسببين: أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى والثاني أنه وقع اللحن كثيرًا فيما روي من الحديث لأن كثيرًا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع(٢).

والذي نحب أن نلفت النظر إليه أن هؤلاء القدماء الذين نسب إليهم رفضهم الاستشهاد بالحديث لم يثيروا هذه المسألة،ولم يناقشوا مبدأ الاحتجاج بالحديث،وبالتالي لم يصرحوا برفض الاستشهاد به. وإنما هو استنتاج من المتأخرين الذين لاحظوا -خطأ- أن القدامى لم يستشهدوا بالحديث،فبنوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به،ثم حاولوا تعليل ذلك.

وهناك أسباب كثيرة تحمل على الشك في صحة ما نسب إلى الأقدمين من رفضهم الاستشهاد بالحديث،بل هناك من الدلائل ما يكاد يقطع -إن لم يكن يقطع فعلاً- أنهم كانوا يستشهدون به ويبنون عليه قواعدهم،سواء منهم من اشتغل باللغة أو النحو أو بهما معاً(٣).

وعلى ذلك يمكن القول بأنَّ الأحاديث أصح سنداً من كثير مما ينقل من أشعار العرب. ولهذا قال صاحب "المصباح المنير" بعد أن استشهد بحديث: "فأثنوا عليه شرًّا" على صحة إطلاق الثناء على الذكر بشر - قال: "قد نقل هذا العدل الضابط عن العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب،فكان أوثق من نقل أهل اللغة،فإنهم يكتفون بالنقل عن واحد ولا يعرف حاله(٤).

أن من المحدثين من ذهب إلى "أنه لا تجوز الرواية بالمعنى إلا لمن أحاط بجميع دقائق اللغة،وكانت جميع المحسنات الفائقة بأقسامها على ذكر منه فيراعيها في نظم

(١) البحث اللغوي عند العرب / د أحمد مختار عبد الحميد عمر /الناشر: عالم الكتب /الطبعة: الثامنة ٢٠٠٣/ ص ٣٥.

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب /: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)/ ت: عبد السلام محمد هارون /الناشر: مكتبة الخانجي،القاهرة / الطبعة: الرابعة،١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م/ ج١/ص١١.

(٣) البحث اللغوي / أحمد مختار / ص ٣٥.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير / أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي،أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) /الناشر: المكتبة العلمية - بيروت ١/ ٨٥.

كلامه. وإلا فلا يجوز له روايته بالمعنى".

على أن المجوزين للرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ هي الأولى،ولم يجيزوا النقل بالمعنى إلا فيما لم يدون في الكتب،وفي حالة الضرورة فقط. وقد ثبت أن كثيرًا من الرواة في الصدر الأول كانت لهم كتب يرجعون إليها عند الرواية. ولا شك أن كتابة الحديث تساعد على روايته بلفظه وحفظه عن ظهر قلب مما يبعده عن أن يدخله غلط أو تصحيف.

وكثيرً من الأحاديث دون في الصدر الأول قبل فساد اللغة على أيدي رجال يحتج بأقوالهم في العربية. فالتبديل على فرض ثبوته إنما كان ممن يسوغ الاحتجاج بكلامه،فغايته تبديل لفظ يصح الاحتجاج به بلفظ كذلك[1].

أن هناك أحاديث عرف اعتناء ناقلها بلفظها لمقصود خاص،كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته -صلى الله عليه وسلم- ككتابه لهمدان،وكتابه لوائل ابن حجر،والأمثال النبويةوإذا كان قد وقع في رواية بعض الأحاديث غلط أو تصحيف؛ فإن هذا لا يقتضي ترك الاحتجاج به جملة،وإنما غايته ترك الاحتجاج بهذه الأحاديث فقط،وحمله على قلة ضبط أحد الرواة في هذه الألفاظ خاصة،وقد وقع في الأشعار غلط وتصحيف،ومع ذلك فهي حجة من غير خلاف،وإذا كان العسكري قد ألف كتابًا في تصحيف رواة الحديث،فقد ألف كتابًا فيما وقع من أصحاب اللغة والشعر من التصحيف.

لو صح أن القدماء لم يستشهدوا بالحديث فليس معناه أنهم كانوا لا يجيزون الاستشهاد به،إذ لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به"،فقد تكون العلة لتركه "عدم تعاطيهم إياه".

وقد ثبت فعلًا أن أوائل النحاة من شيوخ سيبويه حتى زمن تدوين صحيح البخاري لم يكثروا من الاستشهاد بالحديث لأنه لم يكن مدونًا في زمانهم.

على أني وجدت من قدامى اللغويين من استشهد بالحديث في مسائل اللغة كأبي عمرو بن العلاء والخليل والكسائي.

والفراء والأصمعي وأبي عبيد وابن الأعرابي وابن السكيت وأبي حاتم وابن قتيبة وغيرهم. ولا يختلف موقف النحاة عن هذا،إذ لا يعقل أن يستشهد الخليل مثلًا بالحديث في اللغة،ثم لا يستشهد به في النحو،وهما صنوان يخرجان من أصل واحد إذا أطلق لفظ الحديث الشريف في اصطلاح المحدثين أريد به ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم- من قول أو

(١) البحث اللغوي/ أحمد مختار/ ص٣٦.

فعل أو تقرير وقد يراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي. ولكن الغالب أن يقيد إذا أريد به غير النبي صلى الله عليه وسلم،أما الحديث الشريف عند النحاة فهو قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وإنما يهتم النحويون بالقول لأنه موضوع النحو ومنهج استدلالهم ومرجع أحكامهم وكذلك الأقوال التابعة للصحابة والتابعين متى جاءت من طريق المحدثين تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفظ لغوي أو قاعدة نحوية.

وقضية الاحتجاج بالحديث الشريف من القضايا المهمة في النحو العربي [1] وقد انقسم النحاة إلى مانعين ومجيزين ومتوسطين ويعتقد أن أول من رفع لواء منع الاستشهاد بالحديث الشريف في مجال الدراسات النحوية – فيما نعلم – هو ابن الضائع وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الأشبيلي ت٦٨٠هـ ثمّ تلميذه أبو حيان القرناطي ت٧٤٥هـ وتبعهما السيوطي.

أما المجيزون للاستشهاد فيأتي على رأسهم ابن مالك ت٦٧٢هـ[2] وهو إمام النحاة واللغويين في عصره وأكبر عالم نحوي اهتم بالحديث الشريف وجعله المصدر الثاني للتقعيد بعد القرآن الكريم،ومن ثمّ وجه إليه المانعون نقدهم وإنكارهم- وكان قد سبقه في الاستشهاد بالحديث الشريف- التسهيلي ت٥٨١هـ وابن خروف ت٦٠٩هـ[3].

ومن أبرز المستشهدين بالحديث الشريف ابن هشام المصري ت٧٦١هـ ومن المتوسطين أبو اسحق الشاطبي ت٧٩٠هـ،وهذه القضية لم تبرز إلا عند المتأخرين أما النحاة الأوائل أمثال سيبويه فلم يستشهدوا بالحديث ولم يرفضوه صراحة.

يقول السيوطي في كتابه الاقتراح: والسماع وأعني به ما ثبت في كلام من يوثق بعربيته فشمل كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العرب إلى أن فسدت الألسن. ثمّ يقول وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي وذلك نادر جداً،فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فروَوْهَا بما أدت إليه عباراتهم فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا.

(١) الاقتراح في علم أصول النحو العربي- جلال الدين السيوطي- ت محمد حسن محمد حسن- دار الكتب العلمية- بيروت- ط٢ ٢٠٠٦م- ص٢٩ وما بعدها.

(٢) في مصنفاته المختلفة تسهيل الفوائد والكافية الشافية والألفية.

(٣) أصول النحو – جامعة المدينة ج١/ص٧٦.

والسيوطي هنا يأتي بنفس عبارات أبي حيان التي ذكرها في شرحه على تسهيل ابن مالك حيث انتقد استشهاد ابن مالك بالحديث بنفس هذه الأسباب التي أوردها السيوطي،ويمكن الرد على ما ذهب إليه أبو حيان وتابعه فيه السيوطي بأن الأحاديث حفظت ونقلت نقلاً صادقاً أميناً وأن الكثيرين من العلماء لم يجيزوا رواية المعنى حتى ولو نقل بالمعنى فإنه كان في عهد الاحتجاج والكلام الفصيح.

وابن هشام من المجيزين بل من المكثرين للاستشهاد بالحديث الشريف في كافة مؤلفاته،وقد صنفت كتب عديدة لدراسة هذه المسألة كما بحثها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عدة جلسات ثمّ كُلف الأستاذ محمد الخضر حسين بإعداد بحث نشر في مجلة المجمع عن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وقد توصل البحث إلى الآتي:

١/ لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول وهي الكتب الصحاح الستة فما قبلها.

٢/ يحتج بالأحاديث المدونة في الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي:

(أ) الأحاديث المتواترة والمشهورة.

(ب) الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

(ج) الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.

(د) كتب النبي صلى الله عليه وسلم.

(هـ) الأحاديث المروية لبيان أنه صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم.

(و) الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون الرواية بالمعنى مثل القاسم بن محمد.

(ز) الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة.

وكثير من الباحثين في هذا العصر يقولون بحجية الحديث النبوي في النحو،منهم على سبيل المثال طه الراوي ومهدي المخزومي وسعيد الأفغاني ومحمد ضاري حماد و.....الخ.

المبحث الثالث

استشهاد ابن هشام بالحديث النبوي في كتابه شرح شذور الذهب

استشهد ابن هشام بالحديث النبوي الشريف في كتابه شرح شذور الذهب في سبعة وعشرين موضعاً في أبواب مختلفة،وفيما يلي ذكر وتحليل ودراسة

لاستشهاد ابن هشام بالحديث النبوي:

١/ في باب الكلمة وأقسامها اتفق النحاة على أن من علامات الاسم النداء،قال ابن مالك[١]:

بالجر والتنوين والنداء

وألْ ومسند للاسم تمييز حصل

وقال ابن هشام في شرح شذور الذهب[٢] في حديثه عن علامات الاسم – العلامة الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]،﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[الأعراف: ٧٧]،فإن قلت فما تصنع في قوله صلى الله عليه وسلم (يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة) فدخل حرف النداء على ما ليس باسم وموطن الشاهد (يا رب كاسية) ووجه الاستشهاد: دخول (يا) على (رب) وهي حرف وليست اسماً والتأويل أن (يا) حرف نداء والمنادي محذوف والتقدير (يا قوم رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة)[٣] وإما أن تكون ياء حرف تنبيه[٤] وليست حرف نداء.

٢/ في حديثه عن علامة الفعل الماضي[٥] وهي تاء التأنيث كقامت وقعدت واستدل بذلك على فعلية (نِعْمَ) خلافاً للفرَّاء ومن وافقه،بل هي أفعال ماضية لاتصال التاء المذكورة بها في قوله صلى الله عليه وسلم (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل)[٦]،وقد ذهب الفرَّاء وجمهور الكوفيين عدا علي بن حمزة الكسائي إلى أن (نعم وبئس) اسمان مبتدئان[٧]،وذهب البصريون ووافقهم الكسائي إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ووافق ابن هشام مذهب البصريين واستدل بالحديث المتقدم وهنا يتخذ ابن هشام من الحديث الشريف أصلاً يبني عليه قاعدة.

٣/ في باب الإعراب[٨] عرف ابن هشام الإعراب بقوله معناه اللغوي: الإبانة يقال (أعرب الرجل عما في نفسه إذا أبان عنها) وفي الحديث (البكر

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – مكتبة ودار التراث– القاهرة– ط١– ١٩٩٩م– ج١ ص١٠.
(٢) شرح شذور الذهب ص٣٣.
(٣) صحيح البخاري–أبو عبدالله البخاري–ت: محمد زهيرالناصر–دار طوق النجاة– ط١٤٢٢هـ–ج٢– ص٤٩.
(٤) مغنى اللبيب لابن هشام ج١ ص٧٠٤.
(٥) شرح شذور الذهب ص٣٦.
(٦) السنن الكبرى–النسائي–ت:شلبي–مؤسسة الرسالة– بيروت–ط(٢٠٠١)–ج٢/٢٦٧.
(٧) الانصاف في مسائل الخلاف – لابن الأنباري– دار الكتب العلمية – بيروت– ط٢ ٢٠٠٧م– ج١ ص٩٨.
(٨) شذور الذهب ص٥٤.

تستأذن وإذنها صماتها ،والأيم تعرب عن نفسها)[1] والبكر البالغ التي لم يسبق لها زواج تستأذن بطلب إذنها عند تزويجها والصمات الصمت وهو السكوت عن الكلام،الأيم التي سبق لها الزواج تعرب تبين رضاها بالكلام ليستدل به على قاعدة نحوية.

٤/ في باب الإعراب أيضاً[2]: في توجيه القراءات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَيْنِ لساحران﴾ [طه: ٦٣]،تعددت فيها القراءات منها قراءة أبي عمرو (إنَّ هذين لساحران) وهي جارية على سنن العربية والقراءة الثانية بالتخفيف للنون وهذان بالألف (إنْ هاذن لساحران) وخرجت على إهمال إن المخففة والقراءة الثالثة بتشديد النون وهذين بالألف (إنَّ هذان لساحران)[3] وقد اشكلت على النحاة وبحثوا لها عن مخارج منها أنها لغة ابن الحارث بن كعب في الزام المثنى الألف مطلقاً ومنها أن (إنَّ) بمعنى نعم والثالث أن اسم (إنَّ) ضمير محذوف والتقدير (إنه هذان لهما ساحران) فالهاء ضمير الشأن وما بعدها مبتدأ وخبر والجملة في موضع رفع على أنها خبر (إنَّ) تمّ حذف المبتدأ وهو كثير ووافق ابن هشام هذا القول الثالث واستدل على حذف ضمير الشأن بقوله صلى الله عليه وسلم (إنّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)[4] وجه الاستشهاد مجيء اسم (إنّ) ضمير الشأن المحذوف لأنها في هذا الحديث عاملة ولا يمكن أن تهمل وهي مشددة؛ وفي الوقت نفسه جاءت المصورون مرفوعة فدل على أنها ليست اسمها فبقى احتمال واحد وهو أن يكون اسمها ضمير الشأن المحذوف.

٥/ من الملحق بجمع المذكر السالم في الإعراب[5] لعدم استكماله لشروط ما يجمع جمع المذكر السالم (أرضون) وهو بفتح الراء جمع تكسير لمؤنث لا يعقل لأن مفردة أرْض ساكن الراء والأرض مؤنثة بدليل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]،وهي مما لا يعقل قطعاً ولكنها ألحقت بجمع المذكر

(١) حديث صحيح رواه مسلم ١٤١/٤.
(٢) شذور الذهب ص٧٤.
(٣) التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو وعثمان ابن سعيد الداني – دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٨٥م ص١٥١.
(٤) مسند ابن أبي شيبة –أبوبكر ابن أبي شيبة–ت:ابن يوسف–دار الوطن–الرياض–ط١–ج١–ص١٦٧.
(٥) شرح شذور الذهب ص٨٩.

السالم في الإعراب وفي الحديث (من غصب قيد شبرٍ من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين يوم القيامة)[1] موطن الشاهد (أرضين) وجه الاستشهاد مجيء (أرضين) مجروراً بالإضافة وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وذلك لأنه يعامل معاملة جمع المذكر العاقل.

٦/ استدل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لغوي في حديثه عن إعراب نحو (سنين)،وذلك في شرحه لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]،فعضين جمع عضة أي جعلوا القرآن مفرقاً أعضاءاً،قال بعضهم سحر،وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم أساطير الأولين وقيل أصلها عضهة من العضة وهو الكذب والبهتان فاستدل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يعضه بعضكم بعضاً)[2] والعضة في الحديث بمعنى النميمة.

٧/ من المتفق عليه بين النحاة أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد،قال ابن مالك: ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد كعند زيدٍ نمرة.

ومن مواضع الإفادة التي ذكرها النحاة أن تكون مضافة وهنا استدل ابن هشام[3] بقوله صلى الله عليه وسلم (خمس صلوات كتبهن الله على العباد)[4]،موطن الشاهد خمس صلوات ووجه الاستشهاد ابتدئ بـ (خمس) وهي نكرة لأنها أضيفت إلى صلوات لأن الإضافة تكسب النكرة التعريف.

٨/ ومنهاأن يتعلق بالنكرة معمول كقوله صلى الله عليه وسلم (أمرٌ بمعروف صدقة)[5]،قال ابن هشام (فأمرٌ ونهيٌ مبتدآن نكرتان وسوغ الابتداء بهما ما تعلق بهما من الجار والمجرور ولكن إذا رجعنا لرواية الحديث الكاملة في صحيح مسلم لا نجد فيه شاهداً إذا جاءت كالآتي (أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم،قال: (أو ليس قد جعل لكم ما تصدقون؟

(١) حديث صحيح رواه البخاري-ج٣/ص١٣٠ -ومسلم ٥/٥٨.

(٢) مسند أبي داوود -ت: د محمد التركي -دار هجر مصر-ط١(١٩٩٩)-ج١/ص٤٧٣.

(٣) شرح شذور الذهب ص٢٤٠.

(٤) مسند الامام أحمد-ت: الأرنؤوط-الرسالة-ط١(١٤٢١هـ-٢٠٠١م)-ج٣٧/٣٩٣.

(٥) صحيح مسلم ج٥/ص١٧٧.

إن جعل تسبيحةٍ صدقة،وكل تكبيرة صدقة،وكل تحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة) فعلى هذه الرواية فأمر ونهي معطوفان على ما قبلهما وليس كل منهما مبتدأ،وابن هشام ربما قصد التمثيل على مجيء المبتدأ نكرة إذا تعلق به الجار والمجرور فنظر إلى الجملتين منقطعتين عن الحديث.

٩/ تناول ابن هشام حذف كان مع اسمها[١] حيث قال حذف كان مع اسمها وإبقاء خبرها وذلك جائز لا واجب وشرطه أن يتقدمها (إنْ) أو (لو) الشرطيتان فالأول كقوله صلى الله عليه وسلم (من عمل عملا كساه الله رداءه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرٌ)[٢] فتقديره إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شرٌ وهذا أرجح الأوجه في مثل هذا التركيب وفيه وجوه أخر الثاني وهو أضعفها رفع خبر الأول ونصب الثاني والتقدير إن كان في عملهم خيراً فيجزون خيراً،والثالث رفعهما والتقدير إن كان في عملهم خيرٌ فجزاؤهم خيرٌ،والرابع نصبهما والتقدير إن كان عملهم خيراً فيجزون خيراً. ومثال تقدم (لو) على كان قوله صلى الله عليه وسلم (التمس ولو خاتماً من حديد)[٣] أي ولو كان الذي تلتمسه خاتماً من حديد.

١٠/ استدل على عدم جواز حذف نون كان المجزومة[٤] بقوله صلى الله عليه وسلم (إن يكنه فلن تسلط عليه،وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله)[٥] لوجود الضمير ورواه أجمد بلفظ (إن يكن هو، وإن لا يكن هو)[٦].

ذكر ابن هشام[٧] في باب أحكام الفاعل ونائب الفاعل أنهما لا يحذفان لأنهما عمدتان ومنزلان من فعلهما منزلة الجزء – وهذا مذهب الجمهور وخالف في ذلك الكسائي إذ أجاز حذف الفاعل وتبعه في ذلك السهيل وابن مضاء،قال ابن هشام فإن ورد ما ظاهره إنهما محذوفان فليس محمولاً ذلك على الظاهر وإنما هو محمول على أنهما ضميران مستتران فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر

(١) شرح شذور الذهب ص٢٤٨.
(٢) شعب الايمان–للبيهقي–ت:مختار الندوي–مكتبة الرشد–ط١(١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م)–ج٩/ص٢٠٨.
(٣) حديث صحيح رواه البخاري في باب النكاح ج١٦– ص٧٧.
(٤) شرح شذور الذهب ص٢٤٩.
(٥) حديث صحيح رواه البخاري في كتابه الجهاد.
(٦) مسند أحمد–ص ٦٣٦.
(٧) شرح شذور الذهب ص٢٢٠.

حين يشربها وهو مؤمن)[١] ففاعل يشرب ليس ضميراً عائداً إلى ما تقدم ذكره وهو الزاني لأن ذلك خلاف المقصود لكن الأصل ولا يشرب الشارب فحذف الشارب لأن الفاعل عمدة فلا يحذف وإنما هو ضمير مستتر في الفعل عائد على الشارب الذي استلزمه "يشرب" (فإن يشرب يستلزم الشارب) وحسن ذلك تقدم نظيره وهو لا يزني الزاني.

وكذلك ذكر من أحكام الفاعل والنائب عن أنهما لا يكونان جملة[٢] وقال: هذا هو المذهب الصحيح وزعم قوم أن ذلك جائز وهو هنا يخالف ما ذهب إليه في مغنى اللبيب حيث قال (وقولهم الجملة لا تكون فاعلاً ولا نائباً عنه،جوابه أن التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات ولهذا تقع مبتدأ نحو (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)[٣] بينما قال في شذور الذهب وفي الحديث (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)[٤] وذكر أن الجملة هنا من باب الإسناد اللفظي وهو جائز.

في باب خبر إنّ وأخواتها قال ابن هشام[٥] ولا تتقدم أخبارهنّ عليهنّ مطلقاً – اللهم إلا إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً فيجوز توسطه بينها وبين أسمائها وفي الحديث (إنّ في الصلاة لشغلاً)[٦] و(إنّ من الشعر لحكمة)[٧] موطن الشاهد في الحديث الأول (إنّ في الصلاة لشغلاً) ووجه الاستشهاد مجيء خبر إنّ متوسطاً بينها وبين اسمها وحكم هذا التوسط الجواز لأن الخبر جار ومجرور،وموطن الشاهد في الحديث الثاني (إنّ من الشعر لحكمة) وجه الاستشهاد توسط خبر (إنّ) (من الشعر بينها وبين اسمها لمجيئه جاراً أو مجروراً وحكم هذا التوسط الجواز).

في الحديث عن كسر وفتح همزة إنّ يقول ابن هشام[٨]: ويجوز الوجهان في مسائل منها نحو (أول قولي أني أحمد الله) وضابط ذلك أن تقع خبراً عن قول وخبرها قول كأحمد ونحوه وفاعل القولين واحد،فما استوفى هذا الشرط جاز فيه الكسر والفتح،ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله)[٩].

(١) حديث صحيح رواه البخاري –ج٢/٨٩.
(٢) شرح شذور الذهب ٢٢٣.
(٣) مغنى اللبيب ٥٢٥.
(٤) حديث صحيح رواه البخاري في باب الدعوات–ج١٩/ ص٤٨٤.
(٥) شرح شذور الذهب ٢٦٧.
(٦) رواه أحمد–ج٧/٤١٧.
(٧) مسند الامام أحمد–الإمام أحمد–ت:شعيب الأرنؤوط وآخرون–مؤسسة الرسالة–ط١(٢٠٠١)–ج٤/ ص٢٤٦.
(٨) شرح شذور الذهب ٢٧٦.
(٩) السنن الكبرى–للبيهقي–دائرة المعارف–حيدر أباد– ط١(١٣٤٤)–ج٤/ص٢٨٤.

في باب المنصوبات في الحديث عن الاختصاص يقول ابن هشام[١] ومن تعريفه بالإضافة قوله صلى الله عليه وسلم (إنّا آل محمد لا تحل لنا الصدقة)[٢] و (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)[٣] موطن الشاهد (آل محمد) وجه الاستشهاد عرف الاسم المنصوب على الاختصاص بإضافته إلى المعرفة وهي الاسم العلم (محمد) وآل اسم منصوب على الاختصاص بفعل محذوف وجوباً والتقدير إنّا أخص آل محمد لا تحل لنا الصدقة.

وفي الحديث الثاني (إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) موطن الشاهد هو (معاشر الأنبياء) وجه الاستشهاد مجيءِ الاسم المنصوب على الاختصاص معرفاً بإضافته إلى معرفة لأن الأنبياء معرف بأل ومعاشر اسم منصوب على الاختصاص بفعل محذوف وجوباً والتقدير إنّا أخص معاشر الأنبياء.

في باب الحال يرى جمهور النحاة أن الحال يجب أن تكون نكرة وصاحبها معرفة وأجاز ابن هشام مجيء صاحب الحال نكرة بقلة واستدل لذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت: (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً وصلى وراءه رجالٌ قياماً)[٤] فجالساً حال من المعرفة وقياماً حال من النكرة المحضة،موطن الشاهد (صلى وراءه رجالٍ قياماً) وجه الاستشهاد مجيء (قياماً) حالاً من (رجال).

في حديثه عن التمييز المعين للذات ذكر العدد الصريح[٥] ومثل له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنّ لله تسعة وتسعين اسماً)[٦] موطن الشاهد تسعة وتسعين وجه الاستشهاد مجيء (اسماً) تمييزاً منصوباً مبيناً للذات بعد العدد الصريح (تسعة وتسعين).

في حالات وجوب نصب المستثنى قال ابن هشام[٧]: وإنما يجب نصبه في خمس مسائل إحداها: أن تكون أداة الاستثناء (ليس) كقولك قاموا ليس زيداًوقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما أنهر الدمّ وذكر اسم الله عليه فكلوا،ليس السنّ والظفر[٨] – موطن الشاهد ليس السنّ والظفر – وجه الاستشهاد نصب السنّ والظفر وهو واجب بالإجماع.

(١) شرح شذور الذهب ٢٩١.
(٢) صحيح مسلم –ج٢/٧٥١.
(٣) في مسند أحمد ٤٦٣/٢.
(٤) الصحيح لبخاري–باب الصلاة.
(٥) شرح شذور الذهب٣٣٣.
(٦) مسند البزار–أبوبكر البزار–ت:علي نايف–ج٢/ ص٤١٣.
(٧) شرح شذور الذهب ص٣٤٠.
(٨) صحيح البخاري ج٣٩١/٨.

في باب اسم التفضيل استشهد ابن هشام على مسألة الكحل (ومسألة الكحل ضابطها أن يكون أفعل صفة لاسم مبني مسبوق بنفي والفاعل مفضلاً على نفسه باعتبارين) – وذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما من أيام أحب إلى الله فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة)[١].

في باب التنازع[٢] استشهد ابن هشام بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (تُسبّحون وتحمدون وتكبرون دُبُرَ كل صلاة ثلاثاً وثلاثين)[٣] فدبر ظرف وثلاثاً مفعولٌ مطلق وهما مطلوبان لكل من العوامل الثلاثة.

وشذّ قول عائشة رضي الله عنها (ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً كله إلا رمضان)[٤] استشهد به ابن هشام على – ولكن بالرجوع لرواية الحديث في الأربعة جاءت كالآتي: (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان كان يصوم إلا قليلاً بل يصومه كله) فليس في الحديث شذوذ بل فيه توكيد للمعرفة كما هو ظاهر.

بدل الإضراب كقوله عليه الصلاة والسلام (إنّ الرجل ليصلي الصلاة ما كتب له إلا نصفها ثلثها ربعها)[٥] إلى العشر، وضابطه أن يكون البدل والمبدل منه مقصودين قصداً صريحاً وليس بينهما توافق كما في بدل الكل ولا كلية وجزئية كما في بدل البعض ولا ملامسة كما في بدل الاشتمال.

مثال العطف من غير توكيد ولا فصل قول النبي صلى الله عليه وسلم (كنت وأبوبكر وعمر) و (فعلت وأبوبكر وعمر)[٦].

خاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلنا إلى ختام هذا البحث الذي تحدثنا فيه عن استشهاد ابن هشام بالحديث النبوي الشريف في كتابه شرح شذور الذهب ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١/ استشهد ابن هشام بالحديث الشريف في كتابه شرحٍ شذور الذهب حوالي ثلاثين موضعاً.

٢/ اتخذ ابن هشام بعض الأحاديث دليلاً على قاعدة نحوية.

٣/ استشهد ابن هشام ببعض الأحاديث لقضايا نحوية.

٤/ بعض روايات الحديث تخالف النص الذي استشهد به ابن هشام.

(١) رواه الترمزي وقال حديث غريب.
(٢) شرح شذور الذهب ص٥٤٦.
(٣) صحيح البخاري–ج٣/٣٤٨.
(٤) صحيح مسلم ج٦/ص٣١.
(٥) مسند الإمام احمد –ج٣١/ص١٨٩.
(٦) صحيح البخاري– حديث رقم٣٤٧٤.

التوصيات:

١/ جعل الحديث النبوي الشريف من شواهد اللغة والنحو.

٢/ دراسة النحو التطبيقي بالاعتماد على الحديث الشريف.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) ـ ت: عبد السلام محمد هارون ـ الناشر: مكتبة الخانجي،القاهرة ـ الطبعة: الرابعة،١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣. البحث اللغوي عند العرب ـ د أحمد مختار عبد الحميد عمر ـ الناشر: عالم الكتب ـ الطبعة: الثامنة ٢٠٠٣.

٤. الاقتراح في علم أصول النحو العربي- جلال الدين السيوطي- ت محمد حسن - دار الكتب العلمية- بيروت- ط٢ ٢٠٠٦م.

٥. الانصاف في مسائل الخلاف – لابن الأنباري- دار الكتب العلمية – بيروت- ط٢ ٢٠٠٧م.

٦. بغية الوعاة للسيوطي- ت محمد أبوالفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- بيروت.

٧. التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو وعثمان ابن سعيد الداني - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥م.

٨. الدرر الكامنة بأخبار المئة الثامنة ـ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ـ المحقق: مراقبة ـ محمد عبد المعيد ضان ـ الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية- صيدر اباد ـ الهند الطبعة: الثانية،١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

٩. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – مكتبة ودار التراث- القاهرة- ط١- ١٩٩٩م.

١٠. شرح شذور الذهب –تأليف بركات يوسف هبود – مراجعة محمد البقاعي – دار الفكر- بيروت١٩٩٨م.

١١. شرح شذور الذهب ومعرفة كلام العرب – تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري المصري- ومعه منتهى الأدب بشرح شذور الذهب- تأليف محمد محي الدين عبدالحميد- دار الطلائع القاهرة ٢٠٠٩م.

١٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ـ المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ـ المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ـ الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ـ الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ
١٣. صحيح الترمذي.
١٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ـ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٥. مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني ـ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ـ تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ـ الناشر: مكتبة ابن تيمية،مصر ـ الطبعة: الأولى،١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م
١٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير / أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي،أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) /الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
١٧. مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب– عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف ،أبو محمد ،جمال الدين،بن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) ـ المحقق: د. مازن المبارك ـ محمد علي حمد الله ـ ت الناشر: دار الفكر – دمشق ـ الطبعة: السادسة،١٩٨٥م.

أشباه الصوائت عند القرّاء واللُّغويين

الدكتور/ مجدي أحمد إبراهيم محمد(١)

المستخلص

تأتي أهمية هذا البحث في تناوله أشباه الصوائت (الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما) عند القراء واللُّغويين،وهدفت هذه الدراسة إلى بيان هذين الصوتين ودراسة صفاتهما ومخارجهما عند القراء واللُّغويين العرب،وبيان اختلاف القراء في المد الناتج عن الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما،وكذلك دراسة آراء العلماء عن أشباه الصوائت واختلافهم في المصطلح عند القدماء والمحدثين من علماء اللغة. واتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي،واشتمل البحث على مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث،وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج منها: أولاً: اختلاف علماء اللغة في المصطلح الذي تعرف به الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما،فعرفتا عند القدماء بـ(حرفي اللين)،واصطلح عليها المحدثون بـ(أشباه الصوائت)،وهناك من سماهما ب (أشباه الصوامت)،و(أشباه أصوات اللين) و(أشباه الحركات). ثانياً: وتتصف أشباه الصوائت (الواو والياء الساكنتان) بالخاصية الانتقالية،حيث ينتقل اللسان عند النطق بها من موضع لآخر،كما تضيق المسافة بين اللسان والحنك الأعلى.

Abstract

What makes this research significant is that it studies the semi vowels sounds in Arabic language (i,w), which are consonant come after opening sound. The research tries to identify the opinions of reciters and linguists on these semi vowels. The study aimed at explaining these two sounds, studying their description and representation, the way they are articulated in the opinions of Arab linguists, illustrating the different views of reciters in the length that produced due to them. The research also tries to study the scholars opinions on the semi vowels showing the different arguments of modern and ancient scholars about the terms of the semi vowels (I,w). the researcher adopted the descriptive analytical method for analyzing the data of the research. The research consists

(١) أستاذ علم اللُّغة المساعد،كلية اللغة العربية – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

semi soft consonants. Second, the semi vowels, (i,w) are described as having the characteristic of movement, which means the tongue moves - while articulating semi vowel – from a place to another and the space between the tongue and the upper palate becomes narrow.

of introduction, conclusion and three chapters. The researcher concluded that: First, Language scholars have different view about terms of the semi vowels, while the ancient scholars call them soft letter, the modern scholars call them semi vowels and other called them semi consonants,

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،الذي تفضل علينا بإنزال كتابه المبين،هدىً وبشرى للمؤمنين،والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين وقائد الغر المحجلين،وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه واستقام على نهجه إلى يوم الدين وبعد:

تعتبر الدراسات الصوتية في طليعة الدراسات اللُّغوية،وذلك لأن اللغة ما هي إلا أصوات يعبر بها عن الأغراض الإنسانية،وجاءت هذه الدراسة الصوتية بعنوان: (أشباه الصوائت عند القرَّاء واللُّغويين)،وهي الياء والواو الساكنتان المفتوح ما قبلهما،وبين الباحث من خلال هذه الدراسة مصطلح أشباه الصوائت واختلاف العلماء في المصطلح الأنسب لهما،كما بين مخارج وصفات هذين الصوتين، وأوضح من خلال هذا البحث

موقف اللُّغويين في القديم والحديث والقراء من أشباه الصوائت.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة أشباه الصوائت وذلك من خلال بيان مخارجها وصفاتها،وجهود علماء اللُّغة والقُرَّاء فيها.

ومن أهداف البحث التمييز بين أنواع الواو والياء،الصامتتين والصائتتين وحرفي العلة.

ويهدف البحث إلى بيان اختلاف القُرَّاء في مد الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما.

أسئلة البحث:

ما أشباه الصوائت ؟

وما مخارج وصفات هذين الصوتين ؟

وهل اختلف القراء في مد الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما ؟

وهل اعتنى علماء اللُّغة بدراسة هذين

الصوتين ؟

حاول الباحث الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها من خلال دراسته هذين الصوتين.

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في دراسته (أشباه الصوائت) الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما،عند القرَّاء واللُّغويين.

الدراسات السابقة:

أشباه الصوائت في اللُّغة العربية (نظامها ووظائفها)،ورقة بحثية من إعداد الدكتور: محمد أمنزوي،أستاذ النحو والصرف في كلية الآداب،جامعة القاضي عياض بمراكش،وتفردت الدراسة ببيان الوظائف اللُّغوية للياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما واعتمد الباحث في ذلك على إحصاءات وجداول أوردها في خاتمة بحثه.

هيكل الدراسة:

احتوى هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وهي: المبحث الأول بعنوان: مصطلح أشباه الصوائت،وجاء المبحث الثاني بعنوان: مخارج أشباه الصوائت وصفاتها،وأتى المبحث الثالث بعنوان: أشباه الصوائت عند القُرَّاء واللُّغويين،ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مصطلح أشباه الصوائت

(Semi Vowels)

اختلف علماء العربية في المصطلح الذي يُعرف به صوتا الواو والياء الساكنتين المفتوح ماقبلهما،وجاء ذلك تبعاً لاختلافهم في تسمية الواو والياء الصائتتين وهما الواو الساكنة المضموم ما قبلها،والياء الساكنة المكسور ما قبلها،والتي عرفت عند القدماء بالحركات،وأطلق عليها بعض العلماء الصوائت والمصوتة والطليقة وأصوات اللين والعلة وغيرها.

وأطلق عليها علماء اللُّغة المحدثون (أشباه الصوائت)،يقول محمد علي الخولي في معجم علم الأصوات: شبه الصائت: صوت ينطق مثل الصوائت ويوَّزع مثل الصوامت،ومن أمثلته / و/،/ ي/ ويدعوه البعض شبه صامت أو انزلاقياً[1].

وسماهما إبراهيم أنيس أشباه أصوات اللين،وعقد لهما عنواناً في الفصل الأول من كتابه المعروف (الأصوات اللُّغوية)،يقول: "هناك صوتان بين الأصوات اللُّغوية يستحقان دائماً أن

(١) معجم علم الأصوات،محمد علي الخولي،دار فلاح،الأردن،ط ١٩٩٨م،ص ٨٣.

يعالجا علاجاً خاصاً؛ لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه من أصوات اللين؛ ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من الحفيف وهذان الصوتان هما ما اصطلح علماء العربية على تسميتهما بالياء والواو في مثل (بَيت، ويَوم)[١].

وتسميتهما بـ(صوتي لين) قديمة إذ يسمي القدامى من علماء العربية الواو والياء إذا سكنتا مع عدم مجانسة الحركة السابقة عليهما (حرفي لين) وذلك في نحو (بَيع،وقَول)،وهذان الصوتان يؤديان وظيفة الأصوات الصامتة فيما إذا وقعا موقعهما مثل: وَصَلَ فهي مثل دَخَلَ،ويَسَرَ هي مثل قَفَلَ،وعَين وقَوم حيث تجري عليهما أحكام الحروف الصامتة فيقال: أعيان وأقوام،ولكن شبههما مع ذلك بالصوائت قوي إذ هما قابلان للتحول إلى أصوات لين خالصة؛ لذلك يطلق عليهما أشباه الصوائت[٢].

واللِّين في اصطلاح اللُّغويين: هو إخراج الحرف من مخرجه بسهولة وعدم تكلف ومشقة،أي خروج الصوت بسهولة ولين وامتداد وعدم كلفة من اللسان،وهو من الصفات الضعيفة،وحروفه اثنان هما: الواو / ـَ وْ / والياء / ـَ يْ / الساكنتان المفتوح ما قبلهما مثل: خَوْف،البَيْت، قَوْم، طَيْر،صَوْم،خَير[٣].

وصفة اللِّين تعني مرونة مخرج الواو والياء المحققتين وإمكانية تباعد طرفيه فيجري صوتهما في الجوف في سهولة وبغير كلفة كجريان حروف المد واللين الثلاثة نحو (بَيْت وخَوْف)،قال إمام العربية سيبويه: "ومنها (اللينة) وهي الواو والياء؛ لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: (وأيُ) والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت "[٤]. ولعل السبب في اقتصار ذكر الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما عند الكلام على صفة اللين هو كون إمكانية جريان الصوت وامتداده في الجوف بسهولة وبدون كلفة لا يكون إلا فيهما دون باقي الحروف المحققة[٥].

وسماهما رمضان عبد التواب في كتابه المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللُّغوي (أشباه الحركات) يقول: ولو

(١) الأصوات اللغوية،إبراهيم أنيس،مكتبة الأنجلو المصرية،ط ٢٠١٣م،ص ٤٣.

(٢) أصوات اللغة العربية،عبد الغفار حامد هلال،مكتبة وهبه،القاهرة،ط١٤١٦،٣هـ - ١٩٩٦م،ص ١١٠،١٠٩.

(٣) قاموس الأصوات اللغوية،رحاب كمال الحلو،مكتبة لبنان،بيروت،ط١،٢٠٠٩م،ص٥٣.

(٤) الكتاب،سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر،ت: عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط٣،١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م،ج٤،ص ٤٣٥.

(٥) في أصوات العربية،مجدي إبراهيم محمد إبراهيم،مكتبة النهضة العربية،القاهرة،ط٢،٢٠٠٦م،ص ٧٢،٧١.

صعدت مقدمة اللسان أكثر من ذلك (يعني وضع الكسرة القصيرة/i /) نحو وسط الحنك بحيث يحدث احتكاك للهواء المار بهذا الموضع؛ نتج عن ذلك صوت (الياء) ولذلك يعد علماء الأصوات (الياء) صوتاً شبيهاً بالحركة /Semi vowel/، ويقول: " فإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك أكثر من هذا (يعني وضع الضمة القصيرة الخالصة/ u/) بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك وإحداث نوع من الحفيف نتج عن ذلك صوت (الواو) ولذلك يعد علماء الأصوات صوت (الواو) من الأصوات الشبيهة بالحركات / Semi vowel /"[1].

ويفرق علماء التجويد والقراءات بين حروف المد واللين وحرفا اللين،فكل مد هو لين وليس العكس،يقول البناء في إتحاف فضلاء البشر: " وأما حرفا اللين فهما الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما،ويصدق اللين على حرف المد فيقال: حرف مد ولين خلاف العكس فلا يوصف اللِّين بالمد على ما اصطلحوا عليه فبينهما مباينة حينئذ،وإن تساويا من حيث قبول حرف اللينِ للمد "[2].

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط٣،١٤١٧هـ،١٩٧م،ص ٩٢،٩٣.

(٢) إتحاف فضلاء البشر،البناء أحمد بم محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي،ت: أنس مهرة،دار الكتب العلمية،لبنان،ط٣،٢٠٠٦م –١٤٢٧هـ،ص ٥٣.

ويمكن تلخيص ما سبق في النقاط التالية:

أولاً: اختلف علماء اللُّغة في المصطلح الصالح لتسمية الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما.

ثانياً: عُرفت الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما عند القدماء من علماء اللُّغة العرب ب (حرفي اللين).

ثالثاً: واصطلح المحدثون من علماء اللغة عليها ب (أشباه الصوائت)،ومنهم من اصطلح عليها ب (أشباه الصوامت)؛ وذلك لاتصافها ببعض صفات الصوائت والصوامت،وسماها إبراهيم أنيس ب (أشباه أصوات اللين)،أما رمضان عبد التواب فقد سماها ب (أشباه الحركات).

رابعاً: وعرفت الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما عند علماء التجويد والقراءات ب (حرفي اللين)،كما فرقوا بين (أصوات اللين) و (أصوات المد واللين).

المبحث الثاني

مخارج أشباه الصوائت وصفاتها

أولاً: مخرج الياء الساكنة المفتوح ما

قبلها:

وعن مخرج الياء شبه الصائت وهي الساكنة المفتوح ما قبلها يقول إبراهيم أنيس: " ففي تكوُّن الياء نلحظ أن اللِّسان يكون تقريباً في موضع النطق بصوت اللين /i/ غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حال النطق بصوت اللين /i/ مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع من الحفيف الضعيف،فالياء لأنها تشتمل في النطق بها على حفيف،يمكن أن تعد صوتاً ساكناً،أما إذا نظر إلى موضع اللسان معها فهي أقرب شبهاً بصوت اللين /i/ لهذا اصطلح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت اللين "[1].

ويستخلص من كلام إبراهم أنيس أن مخرج الياء شبه الصائت قريب الشبه بالياء الصائتة والفرق بينهما يكمن في أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك أكبر في الصائت عنه في شبه الصائت، كما أن الحفيف في شبه الصائت أضعف،وإذا نظرنا إلى الياء شبه الصائت من جهة صفة الحفيف يمكن أن تعد أشبه بالصوامت،أما إذا نظرنا إليها من ناحية وضع اللسان فهي أشبه بالأصوات الصائتة (اللينة) ولذا سموها،أشباه الصوائت وسماها آخرون أشباه الصوامت،وذكر (فندريس) أنه يمكن تسميتها بالعبارة المعكوسة شبه السواكن (يريد الصوامت)[2]،لأنها وسط بين المجموعتين من حيث الصفات.

وأوضح رمضان عبد التواب في كتابه المدخل إلى علم اللغة مخرج صوت الياء الساكنة المفتوح ما قبلها (شبه الصائت) بقوله: " ولو صعَّدت مقدمة اللسان أكثر من ذلك (يعني وضع الكسرة القصيرة) /i/ نحو وسط الحنك بحيث يحدث احتكاكاً للهواء المار بهذا الموضع،نتج عن ذلك صوت (الياء) ولذلك يعد علماء الأصوات (الياء) صوتاً شبيهاً بالحركة (semi vowel)؛ ذلك لأن وضع مقدمة اللسان مع الياء أقرب إلى سقف الحنك من وضعها مع الكسرة والفراغ بينهما أقل،بحيث يسمح للهواء المار بالاحتكاك فيحدث الحفيف الذي يسمع مع صوت (الياء) ولا يسمع مع صوت الكسرة"[3].

والحقيقة أن الياء صوت انتقالي،أي أنها تتكون من موضع صوت اللين /i/ ثم تنتقل بسرعة إلى موضع آخر من أصوات اللين،ولهذا وصفت بأنها صوت

(١) الأصوات اللغوية،إبراهيم أنيس،ص ٤٣.

(٢) اللغة،فندريس،تعريب: عبد الحميد الدواخلي وآخر،مكتبة الأنجلو،القاهرة،ط ١٩٥٠،ص ٥١.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،رمضان عبد التواب،ص ٩٢.

انتقالي[١].

واتصفت الياء الساكنة المفتوح ما قبلها بشبه صوت اللين؛ لأن اللسان يكون عند النطق بها في موضع قريب الشبه بموضعه من صوت اللين /i:/ غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى عند النطق بالياء غير المدية (ي) /j/ يكون أضيق منه في حال النطق بصوت اللين (ي) /i:/ وعليه يمكن القول أن الياء غير المدية (ي) /j/ هي المرحلة التي عندها يمكن أن ينتقل الصوت الصامت أو (الساكن) consonant إلى صوت لين أو صائت (vowel)[٢].

ويرى الباحث أن صوت الياء عموماً يتنقل في المخرج إلى ثلاثة مواضع وهي: صوت الياء الصامت و يكون اللسان فيه أقرب ما يكون إلى الحنك الأعلى،فإذا اتسع الفراغ بين اللسان والحنك الأعلى بحيث يسمح للهواء بالمرور دون عائق أو حفيف ففي هذا المدرج تنتج الياء المدية أو الصائتة وتعرف عند علماء الأصوات بالفتحة وهي طويلة /i:/ أو قصيرة /i/ بناءً على كمية الصوت،أما إذا ضاق الفراغ بين اللسان والحنك الأعلى بحيث يسمح للهواء بالمرور مع إصدار نوع من الحفيف الضعيف،حينها تسمى الياء ب (شبه الصائت) أو (شبه الصامت)؛ لأنها وسط بين الياء الصامتة والصائتة.

ثانياً: **مخرج الواو الساكنة المفتوح ما قبلها:**

أما الواو (شبه الصائت) الساكنة المفتوح ما قبلها /ـَ وْ / نحو: (خَوْف) (قَوْم) (صَوْم)،ومخرجها: إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك أكثر من هذا (يعني وضع الضمة الخالصة) /u/ بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك وإحداث نوع من الحفيف نتج عن ذلك صوت (الواو)،ولذلك يعد علماء الأصوات صوت (الواو) من الأصوات الشبيهة بالحركات (semi vowel) كذلك؛ لأن الفرق بينه وبين الضمة الخالصة،في قرب أقصى اللّسان من سقف الحنك مع الواو،أكثر منه مع الضمة[٣].

ومخرج الواو ليس الشفتين فقط كما ظن القدماء بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك،غير أن الشفتين حين النطق بها تستديران أو بعبارة أدق تكتمل استدارتهما؛ فالشفتان تتأثران بنطق أصوات اللين،فهما منفرجتان مع أصوات اللين

(١) انظر: الأصوات اللغوية،إبراهيم أنيس،ص ٤٣.
(٢) انظر: قاموس الأصوات اللغوية،رحاب كمال الحلو،ص ٥٣.
(٣) المدخل إلى علم اللغة،رمضان عبد التواب،ص ٩٣.

الأمامية ومستديرتان مع أصوات اللين الخلفية،فكما تتأثر الشفتان بنطق الياء منفرجتان معها،تتأثران أيضاً بنطق الواو فتستديران معها،ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين[١].

وفي حديثه عن الفرق بين الضمة الخالصة والواو يقول إبراهيم أنيس: " وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة /u/ إلا في أن الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالضمة /u/ فيسمع للواو أيضاً نوع ضعيف من الحفيف جعلها أشبه بالأصوات الساكنة،أما حين النظر إلى موضع اللسان معها فيمكن أن نعدها شبه صوت اللين /u/[٢].

وهنا ينبغي أن نفرق بين مصطلحي (أصوات المد واللين) و(أصوات اللين)،فأما التسمية الأولى فتكون في الألف التي قبلها فتحة والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة،وسميت بذلك لأن الصوت يمتد بها ويلين،وحرفا اللين الياء الساكنة التي قبلها فتحة،والواو الساكنة التي قبلها فتحة وسبب تسميتها بأنهما تخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان[٣].

وتتصف الواو كما الياء بالخاصية الانتقالية،حيث يبدأ تكوينها من موضع صوت اللين (الضمة الخالصة) /u/ ثم ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع آخر،يكون أقرب إلى الحنك الأعلى بحيث تضيق المسافة بين اللسان والحنك الأعلى،ويسمح بمرور الهواء مع حفيف ضعيف.

وفي ختام هذا المبحث (مخارج أشباه الصوائت وصفاتها)، نستلخص النتائج التالية:

أولاً: مخرج الياء شبه الصائت قريب الشبه بالياء الصائتة،والفرق بينهما يتمثل في أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى أكبر عند النطق بالصوت الصائت.

ثانياً: تتصف أشباه الصوائت (الواو والياء الساكنتان) بالخاصية الانتقالية،حيث ينتقل اللسان عند النطق بها من موضع لآخر كما تضيق المسافة بين الحنك الأعلى واللسان.

ثالثاً: تنتقل الواو والياء في ثلاثة مدارج من جهاز النطق وهي: مدرج

(١) الأصوات اللغوية،إبراهيم أنيس،ص ٤٤.
(٢) المصدر السابق نفسه،ص ٤٣.
(٣) البحث الصوتي وجمال الأداء،تحسين الفاضل عباس،الدار المنهجية،الأردن،عمان،ط ١،١٤٣٧هـ،٢٠١٦م،ص ١٣١.

الواو والياء الصامتتين،والواو والياء الصائتتين،والواو والياء شبه الصائتين.

رابعاً: مخرج الواو ليس الشفتين فقط كما ظن القدماء،بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك وعندئذٍ تكون الشفتان في حالة استدارة.

الفصل الثالث

أشباه الصوائت عند القُرَّاء واللُّغويين

أولاً: أشباه الصوائت عند القُرَّاء:

ونعني بالقراء هناء القراء الذين تواترت قراءتهم وصح سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم،وعلماء القراءات والتجويد،وسيتناول الباحث في هذا الفصل جهود هؤلاء العلماء في أشباه الصوائت (الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما)[1].

عُرف هذان الصوتان (الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما) عند علماء القراءات والتجويد ب(حرفي اللين)،قال ابن الجزري: " وحرفا اللين (الواو والياء) الساكنتان المفتوح ما قبلهما.

وفرقوا بين حروف المد واللين وحرفي اللين،فأما حروف المد واللين فثلاثة وهي: الواو الساكنة بشرط ضم ما قبلها،والياء الساكنة بشرط كسر ما قبلها،والألف ولا تكون إلا ساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ويجمعها لفظ (واي) ويجمع أمثلتها لفظ (نُوحِيهَا)[2].

وأما حرفا اللين فهما الياء والواو الساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو: شَيء،وقَوم،أما الألف فلا تكون إلا مدية،والواو والياء إما أن تكونا مديتين وهذا إذا سكنتا وكسر ما قبل الياء وضم ما قبل الواو،وإما أن تكونا لينتين وهذا إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما،وإما أن تكونا غير مديتين ولا لينتين وهذا إذا تحركتا نحو: أن يأتيَ،ونحو ووُضع،أما الياء الساكنة المضموم ما قبلها و الواو الساكنة المكسور ما قبلها،فلم يردا في القرآن ولا في اللُّغة[3].

ويطلق بعض العلماء (اللين) على ما يجري في الصوت من حروف المد الثلاثة،وهي الألف والياء الساكنة المكسور ما قبلها،والواو الساكنة المضموم ما قبلها،لأنها تخرج من اللَّفظ في لين من

(١) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف،ت: علي محمد الضباع،دار الفكر،القاهرة،ج١،ص ٢٠٤.

(٢) العميد في علم التجويد،محمود بن علي بسة،ت: محمد الصادق قمحاوي،دار العقيدة،الإسكندرية،ط١،١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م،ص ٨٣.

(٣) انظر: المصدر السابق نفسه،ص ٨٣.

غير كلفة[1].

ويقول القيسي: " حرفا اللين هما الواو الساكنة التي قبلها فتحة والياء الساكنة التي قبلها فتحة،وإنما سميت بذلك لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان،لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا عن المد الذي في الألف،وبقى اللين فيهما لسكونهما فشبهتا بذلك "[2].

ويمكننا القول أن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما خرجتا عن مضارعة الألف في المد،ودخلتا في شبه الحروف الصحاح.

ولحرفي اللين شرطان هما:

الأول: أن يكونا ساكنين.

والثاني: أن يفتح ما قبلهما نحو: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ﴾ [النساء:١٣]،﴿وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥][3].

ويستخلص مما سبق أنَّ علماء التجويد والقراءات فرَّقوا بين أنواع الياء والواو،فالواو والياء تارةً توصفان بحرفي المد واللين،وذلك إذا سكنتا وانكسر ما قبل الياء وانضم ما قبل الواو،وتارةً توصفا بحرفي اللين فقط،وذلك إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما،وأما إذا تحركتا كانتا حرفي علة فقط.

ويشترط لحصول المد في الواو والياء الساكنتين إذا انفتح ما قبلهما،أن تقعا قبل ساكن عارض للوقف،سواء كان الساكن همز نحو: شيء،وسَوء بفتح السين،أم لم يكن همز مثل الصيف و خوف،والقُرَّاء مختلفون في مقدار مده على تفصيل سنوضحه[4].

ومد اللين ملحق بالمد العارض للسكون؛ لاتفاقهما في السبب وهو السكون العارض،ولذا اتفق القُرَّاء على أن مد اللين له نفس الأوجه التي للعارض في أنواعه الثلاثة،وأن اللين في نفس قوة العارض،وسماه بعضهم ب (مد اللين العارض للسكون) وهو أن يأتي السكون العارض نتيجة للوقف بعد حرف اللين،فيجوز له حكم المد العارض للسكون بأن يمد (حركتين أو أربعاً أو ستاً)[5].

(١) مختصر العبارات لمعجم مصطلح القراءات،إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري،دار الحضارة للنشر،الرياض،ط١٤٢٩،١هـ،٢٠٠٨م،ص ١٠٣.

(٢) التمهيد في علم التجويد،ابن الجزري محمد بن محمد،ت: علي حسين البواب،مكتبة المعارف،الرياض ،ط١٤٠٥،١هـ،١٩٨٥م،ص ٩٢.

(٣) هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري،عبد الفتاح بن السيد عجمي،مكتبة طيبة،المدينة المنورة،ط٢،ج١،ص ٢٦٨.

(٤) انظر الكشف،مكي بن أبي طالب،ت: محي الدين رمضان،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١٤٠٤،٣هـ،١٩٨٤م،ج١،ص ٤٥،والنشر،ابن الجزري،ج١،ص ٣٤٨.

(٥) انظر: الميزان في أحكام تجويد القرآن،فريال زكريا العبد،دار الإيمان،القاهرة،ص ١٨١،١٨٠.

ولمد اللين في الوصل والوقف حالتان هما[1]:

الأولى: أن يقع بعدهما همز متصل بهما في كلمة واحدة نحو:(شَيْءٍ) البقرة (٢٠) و(سَوْءٍ) مريم (٢٨).

الثانية: ألا يقع بعدهما همز نحو:(السَّيْرَ) سبأ (١٨)،(فَلاَ خَوْفٌ) البقرة (٣٨)،(الْمَوْتَةَ) الدخان (٥٦)،(فَأَحْيَيْنَا) فاطر (٩).

فأمَّا الأول: فهو مد اللين المهموز الذي اجتمع فيه حرفا المد مع الهمز في كلمة واحدة،أي وقوع الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما بين فتح وهمز في كلمة واحدة.

ولورش عن نافع في مد اللين المهموز وجهان هما: المد المشبع بقدر ست حركات،والمد المتوسط بقدر أربع حركات،وهذان الوجهان عنه في الوصل والوقف،ومن ذلك (شيء،شيئاً،كهيئة،ولا تيأسوا،سوأة،سَوء).

ولغير ورش فيه ثلاثة أوجه في حال الوقف هي: الطول ست حركات والتوسط أربع حركات والقصر حركتان،ولا شيء لهم في الوصل[2].

قال ابن الجزري: " أما الهمز فإنه إذا وقع بعد حرفي اللين متصلاً من كلمة واحدة نحو (شيء) كيف وقع نحو (وكهيئة وسَوءة،والسُّوء) فقد اختلف عن ورش من طريق الأزرق في إشباع المد في ذلك وتوسطه[3].

وأجمعوا على استثناء كلمتين من ذلك وهما (موْئلاً) و (الموءودة)،فلم يزد أحد فيهما تمكيناً على ما فيهما من الصيغة[4].

فتقصر الواو في الكلمتين السابقتين عند جميع الرواة عن ورش عن نافع.

أما إذا لم يقع بعد الياء والواو همز نحو:(لاَ خَوْفٌ) يونس (٦٢)،(فَلاَ فَوْتَ) سبأ (٥١)،فقد أجمع القُرّاء العشر على القصر في الوصل،أما في حال الوقف ففيه،الطول ست حركات والتوسط أربع حركات والقصر حركتان،ودخل حينئذ في حكم المد العارض للسكون[5].

ويمكن تلخيص جهود علماء القراءات والتجويد في النقاط التالية:

١/ فرَّق علماء التجويد والقراءات بين أنواع الياء والواو،فهما تارة توصفان بحرفي المد واللين إذا سكنتا وكان ما قبل الواو مضموماً

(١) انظر: هداية القارئ،عبد الفتاح بن سيد عجمي،ج١،ص ٣٥٣،٣٥٤.

(٢) انظر: معجم علوم القرآن،إبراهيم محمد الجرمي،ص ٢٣٤.

(٣) النشر،ابن الجزري،ج١،ص ٣٤٧.

(٤) المصدر السابق نفسه،ج١،٣٤٨.

(٥) انظر: هداية القارئ،عبد الفتاح بن السيد عجمي،ج١،ص ٣٥٥.

وما قبل الياء مكسوراً،وأخرى توصفان بحرفي اللين،وذلك إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما،وأما إذا تحركتا كانتا حرفي علة.

٢/ لحرفي اللين شرطان: أن يكونا ساكنين،وأن يفتح ما قبلهما.

٣/ ألحق علماء التجويد والقراءات مد اللين بالمد العارض للسكون؛ لاتفاقهما في السبب وهو السكون العارض.

٤/ لمد حرفي اللين في الوصل والوقف حالتان: أن يقع بعدهما همز وألا يقع بعدهما همز.

٥/ إذا لم يقع بعد الياء والواو همز في نحو (لا خوف) فقد أجمع القُرَّاء العشر على القصر في الوصل،أما في حال الوقف ففيه الطول والتوسط والقصر.

٦/ لورش عن نافع في مد اللين المهموز وجهان في الوصل والوقف هما: الإشباع ست حركات،والتوسط أربع حركات،ولغير ورش فيه ثلاثة أوجه في حال الوقف هي: الطول ست حركات والتوسط أربع حركات والقصر حركتان،ولا شيء لهم في الوصل.

ثانياً: **أشباه الصوائت عند اللُّغويين:**

اعتنى علماء اللُّغة العربية بها،فدرسوا أصواتها وبينوا مخارجها وصفاتها،وكان الدافع الأول هو قراءة القرآن الكريم وحفظه،ولعل أول إشارة لأصوات اللين أو الصوائت تعزى إلى أبي الأسود الدؤلي،وذلك لما كثر اللحن في قراءة كتاب الله،وذلك لدخول كثير من الأعاجم الدين الإسلامي،فحاول أبو الأسود شكل المصحف واستعان في هذه المهمة بكاتب من هذيل وقال له: " خذ المصحف وصبغ يخالف لون المداد،فإذا فتحت شفتي فأنقطه واحدة فوق الحرف،وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف،وإذا كسرتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف،وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله،فإذا أتبعت شيء من هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين "[1].

ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي،ويعتبر مؤسس الدراسات الصوتية عند العرب،فقسم معجمه العين على أساس صوتي بناءً على مخارج الأصوات اللُّغوية من الداخل إلى الخارج على هذا

(١) انظر: المحكم،أبو عمرو الداني،ت: عزة حسن،دمشق،١٩٦٠م،ص ٣،٤.

النحو: ع ح ه خ غ – ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط د ت – ظ ث ذ – ف ب م – و ا ي[1].

وسمى الخليل (الألف و الياء و الواو) عند تقسيمه لمخارج الأصوات هوائية ضعيفة،يقول في مقدمة معجمه العين: " والياء والواو والهمزة،هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء "[2].

كما أشار الخليل إلى تسمية هذه الأصوات بأصوات اللين إذ يقول: " وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتونة مضغوطة،فإذا رفه عنها لانت وصارت الياء والألف والواو من غير طريق الحروف الصحاح "[3]. وفي هذا إشارة إلى أن الخليل هو أول من وصف هذه الأصوات باللين.

أما سيبويه فقد أشار إلى هذه الأصوات في كتابه ووصفها باللين وهو أنها تخرج سهلة عند نطقها دون عائق أو تضييق،كما في الأصوات الأخرى،يقول سيبويه في وصفها: " أصوات غير مهموسة وهي حروف مد ولين ومخارجها متسعة لهواء الصوت،وليس من الحروف أوسع مخارج منها،ولا أمد للصوت،فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها "[4].

ثم جاء ابن جني ووصفها أيضاً باتساع المخرج فقال: " والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف،إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو،والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو "[5].

ويعلل ابن جني لاختلاف مخارج هذه الأصوات بقوله: " والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال،أما الألف فنجد الحلق والفم معها منفتحتين... وأما الياء فتجد معها الأضراس سُفلاً وعُلْواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان... وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين،وتدع بينهما بعض الانفراج؛ ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت،فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة؛

(١) انظر: معجم العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي،ت: مهدي المخزومي وآخر،دار الرشيد،العراق،١٩٨٠م،ج١،ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق نفسه،ج١،ص ٥٨.

(٣) المصدر السابق نفسه،ج١،ص ٥٢.

(٤) الكتاب،سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر،ت: عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،١٤٠٨هـ،١٩٨٨م،ط٢،ج٢،ص ٢٨٥.

(٥) سر صناعة الإعراب،أبي الفتح عثمان بن جني،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،١٤٢١هـ،٢٠٠٠م،ج١،ص ٢١.

اختلف الصدى المنبعث من الصدر وذلك قولك في الألف (أ اْ) وفي الياء (أ يْ) وفي الواو (أ وْ)"[1].

ومن علماء العربية الذين تناولوا الأصوات الصائتة ابن سينا من خلال رسالته المشهورة (أسباب حدوث الحرف)،ومن أهم ملاحظاته أنه فرق بين الواو والياء فقسمها إلى قسمين هما:

أولاً: واو وياء صامتتان،وبين مخرج كل منهما فأشار إلى أن الواو تحدث حين تحدث الفاء وأن الياء تحدث حين تحدث الطاء والجيم،ولكنه فطن إلى أن الاحتكاك في أثناء نطقهما هنا قليل.

ثانياً: واو وياء مديتان،وأشار ابن سينا إلى أهم صفة لجهاز النطق عند النطق بهما،وهي حرية خروج الهواء خروجاً سلساً غير مزاحم[2].

ومما سبق يتبين أن من أهم آراء ابن سينا التي تفرد بها أنه سمى هذه الأصوات بالمصوتة،كما فرق تفريقاً دقيقاً بين (الياء والواو) المصوتتين وغير المصوتتين.

ونرى أن علماء الأصوات العرب كانوا من أوائل العلماء الذين اعتنوا بلغتهم،فدرسوا أصواتها عامة وأشباه الصوائت خاصةً،ولعل أول إشارة لأصوات اللين أو الصوائت تعزى لأبي الأسود الدؤلي،وذلك في محاولته شكل المصحف،وجاء من بعده الخليل والذي يعد مؤسساً للدراسات الصوتية عند العرب وهو أول من وصف الواو والياء بأصوات اللين،وكذلك اسمها تلميذه سيبويه،ووصفها ابن جني عبقري اللُّغويين العرب باتساع المخرج،كما فرَّق ابن سينا بين نوعي الياء الصامتتين والصائتتين،وسماها المصوتة.

واهتم المحدثون من علماء اللُّغة العرب بأشباه الصوائت،ومن هؤلاء إبراهيم أنيس والذي خصص لها عنواناً في كتابه الأصوات اللُّغوية،وسماها (أشباه أصوات اللين)،قال: وهناك صوتان بين الأصوات اللُّغوية يستحقان دائماً أن يعالجا علاجاً خاصاً لأن موضع اللسان معها قريب الشبه بموضعه من أصوات اللين،ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من الحفيف،وهذان الصوتان هما ما اصطلح علماء العربية على تسميتهما بالياء والواو في مثل: (بيت ويوم)[3].

وفي حديث إبراهيم أنيس عن صفة الوضوح السمعي والذي بنيت عليه التفرقة

(١) المصدر السابق نفسه،ج١،ص ٢١.

(٢) انظر: أسباب حدوث الحرف،ابن سينا أبي الحسين بن عبد الله،ت: محمد حسان الطيان وآخر،دار الفكر،دمشق،ط١٤٠٣،١ هـ،١٩٨٣م،ص ١٩.

(٣) الأصوات اللغوية،إبراهيم أنيس،ص ٤٣.

بين الأصوات الصامتة والصائتة،أوضح أن من النتائج التي حققها بعض الباحثين أن (اللام والميم والنون) أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً سمعياً وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين،ولذلك يميل بعضهم إلى تسميتها (أشباه أصوات اللين)[١].

وهنا يتبين أن هناك مشكلات كبيرة تتعلق بمصطلح أشباه أصوات اللين،فهذا إبراهيم أنيس يسميها أشباه أصوات اللين ويخصص لها عنواناً في كتابه،وفي موضع آخر من نفس الكتاب يبين أن بعض الباحثين يطلق هذا المصطلح على (اللام والميم والنون) لقربها من أصوات اللين.

ومن العلماء المحدثين من وجَّه نقداً لأنيس بسبب تسميته الصوائت بأصوات اللين ومن هؤلاء زيد القرالَّة يقول: "أما إبراهيم أنيس فقد سماها (أصوات اللين) (يعني الحركات أو الصوائت) وهي تسمية ليست دقيقة،فحروف اللين هي الواو والياء أشباه الحركات،أما الحركات فهي حروف المد إذا أريد بها الحركات الطويلة"[٢].

واهتم الدكتور كمال محمد بشر بصوتي الياء والواو المفتوح ما قبلهما وذلك في المبحث الأول من كتابه (دراسات في علم اللغة) وسماه (الألف والواو والياء و ا ي في اللغة العربية) وأفرد للواو والياء عنواناً،وهو يرى أن الواو والياء في نحو حوض وبيت حركتان طويلتان،وينفي الزعم بأنهما حركتان مركبتان،يقول: " والحكم بأن الواو والياء في نحو: حوض وبيت جزءان من حركات مركبة خطأ مشهور وقع فيه المستشرقون منذ زمن طويل،وتابعهم في الكثير من اللغويين العرب المحدثين،وبخاصة أولئك الذين يعملون في حقل الدراسات السامية،وليست لهم الخبرة الكافية بالدراسات الصوتية الحديثة "[٣].

ومن علماء اللُّغة المحدثين الذين اعتنوا بدراسة أشباه الصوائت رمضان عبد التواب فقد بين في كتابه (المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللُّغوي) مخرج الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما وعدها بأنها أصوات شبيهة بالحركات (semi vowel) وأشار إلى وضع اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها.

ومما سبق يتبين أن علماء اللُّغة المحدثين اعتنوا ب (أشباه الصوائت)،بالرغم من اختلافهم في تسميتها،فسماها إبراهيم

(١) أنظر: المصدر السابق نفسه،ص ٢٩.
(٢) الحركات في اللغة العربية،زيد القرالة،ص ١١.
(٣) دراسات في علم اللغة،كمال محمد بشر،دار غريب،القاهرة،ص ٤٠.

أنيس (أشباه أصوات اللين)،واصطلح عليها رمضان عبد التواب بـ(أشباه الحركات) ويغلب عليهم في اللسانيات المعاصرة مصطلح (أشباه الصوائت)،كم اهتموا بوصفها وبيان مخارجها،ونفوا الزعم بأنها أصوات مركبة بل حركتان طويلتان،كما بينوا وضع اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها هذا فضلاً عن وضع الشفتين الذي أشار إليه الأقدمون من علماء الأصوات العرب.

الخاتمـــــة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفي ختام هذا البحث والذي تناولنا فيه أشباه الصوائت عند القُرَّاء واللُّغويين،خلص البحث إلى جملة من النتائج منها:

أولاً: اختلف علماء اللُّغة في المصطلح الذي تعرف به الياء والواو الساكنتان المفتوح ما قبلهما،فعرفتا عند القدماء ب (حرفي اللين)،واصطلح عليها المحدثون بـ(أشباه الصوائت)،وهناك من سماهما بـ(أشباه الصوامت)،و(أشباه أصوات اللين) و (أشباه الحركات).

ثانياً: عُرفت الياء والواو الساكنتان عند علماء التجويد والقراءات ب (حرفي اللين).

ثالثاً: تتصف أشباه الصوائت (الواو والياء الساكنتان) بالخاصية الانتقالية،حيث ينتقل اللسان عند النطق بها من موضع لآخر،كما تضيق المسافة بين اللسان والحنك الأعلى.

رابعاً: مخرج الواو ليس الشفتين فقط كما ظن القدماء،بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك،وعندئذ تكون الشفتان في حالة استدارة.

خامساً: لحرفي اللين عند علماء التجويد شرطان هما: أن يكونا ساكنين،وأن يفتح ما قبلهما.

سادساً: ألحق علماء التجويد والقراءات مد اللين بالمد العارض للسكون،لاتفاقهما في السبب وهو السكون العارض.

سابعاً: إذا لم يقع بعد الياء والواو همز نحو (بيت) و (خوف) فقد أجمع القُرَّاء على القصر في الوصل،أما في حال الوقف ففيه الطول ست حركات والتوسط أربع حركات والقصر حركتان.

ثامناً: لورش عن نافع في مد اللين المهموز وجهان في الوصل والوقف

هما: الإشباع ست حركات والتوسط أربع حركات،ولغير ورش فيه ثلاثة أوجه في حال الوقف هي الطول ست حركات والتوسط أربع حركات والقصر حركتان،ولا شيء لهم في الوصل.

التوصيات

أوصي الباحثين في الدراسات اللُّغوية بالاهتمام بالدراسات الصوتية،وذلك لأهميتها فالأصوات تمثل القاعدة التي تنطلق منها كل الدراسات اللغوية التحليلية.

كما أوصي بدراسة الظواهر الصوتية التي تذخر بها كتب القراءات والتجويد وفي هذا تأصيل لعلم الأصوات،فكل هذه الدراسات نشأت وترعرعت في كنف القرآن الكريم كتاب ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١/ إتحاف فضلاء البشر،البناء أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي،ت: أنس مهرة،دار الكتب علمية،لبنان،ط١٤٢٧،٣هـ،٢٠٠٦م.

٢/ أسباب حدوث الحرف،ابن سينا أبي الحسين بن عبد الله،ت: محمد حسان الطيان وآخر،دار الفكر، دمشق، ط١ ،١٤٠٣هـ،١٩٨٣م.

٣/ أصوات اللُّغة العربية،عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبه،القاهرة، ط١٤١٦،٣هـ،١٩٩٦م.

٤/ الأصوات اللُّغوية،إبراهيم أنيس،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط ٢٠١٣ م.

٥/ الأصوات اللُّغوية،زين كامل الخويسكي،دار المعرفة الجامعية،٢٠١٥م.

٦/ الأصوات اللُّغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١ ،١٤١٨هـ،١٩٩٨م.

٧/ البحث الصوتي وجمال الأداء،تحسين فاضل عباس، الدار المنهجية، الأردن،عمان، ط١٤٣٧،١هـ،٢٠١٦م.

٨/ التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري محمد بن محمد، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف،الرياض، ط١ ،١٤٠٥هـ،١٩٨٥م.

٩/ الدراسات الصوتية بين القديم والحديث، رياض عبود غوار الدليمي، دار غيداء، عمان، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

١١/ دراسات في علم اللُّغة، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٢/ سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني، ت: مصطفي السقا وآخرين، القاهرة،١٩٥٤م.

١٣/ العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسه، ت: محمد الصادق قمحاوي،دار العقيدة،الإسكندرية، ط١ ،١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٤/ في أصوات العربية، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢ ، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٥/ قاموس الأصوات اللُّغوية، رحاب كمال الحلو، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

١٦/ الكتاب،سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر،ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط ١٤٠٨ ،٣هـ،١٩٩٨م.

١٧/ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، القيسي أبي محمد مكي بن أبي طالب، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣ ،١٤٠٤هـ،١٩٨٤م.

١٨/ اللُّغة، فندريس، تعريب : عبد الحليم الدواخلي وآخر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط ١٩٥٠م.

١٩/ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ ،١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢٠/ مخارج الحروف عند القُرّاء واللسانيِّين، عزيز أركيبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١،٢٠١٢م.

٢١/ مختصر العبارات لمعجم مصطلح القراءات،إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة للنشر، الرياض، ط١ ،١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٢٢/ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية،عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ،٢٠٠٠م.

٢٣/ معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، دار الفلاح، الأردن، ١٩٩٨م.

٢٤/ منهج الدرس الصوتي عند العرب،علي خليف حسين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١١م.

٢٥/ الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد، دار الإيمان، القاهرة.

٢٦/ النشر في القراءات العشر،ابن الجزري محمد بن محمد، ت: علي محمد الضباع، دار الفكر، القاهرة، بلا تاريخ.

٢٧/ هداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ، عبد الفتاح بن السيد عجمي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢، بلا تاريخ.

أثر علم النحو في تفسير القرآن الكريم

الدكتور/ الصادق علي وداعة عثمان[1]

المستخلص

أتى هذا البحث الموسوم بـ "أثر علم النحو في تفسير القرآن الكريم" لتحقيق جملة من الأهداف،أبرزها: بيان أثر علم النحو في تفسير القرآن الكريم،وبيان اختلاف حركات الإعراب في تفسير آياته،وقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي،وتوصل إلى عدد من النتائج،أهمّها: أنَّ علم الإعراب وُضع لتمييز المعاني المختلفة في العربية،وإيضاحها والدلالة المعنوية عليها،وظهر في هذا البحث أهمية علم النحو والإعراب بالنسبة لعلم التفسير،فلابد أن يكون المفسر،أو من يهتم بعلم التفسير عالماً بالعربية وبكل فنونها، وأولها فن النحو،ويتجلى بيان إعجاز القرآن الكريم في إيجازه، وكيف أن المفردة الواحدة تحتمل أكثر من مدلول تبعاً لاختلاف إعرابها،وموقعها من الإعراب واختلاف حركات الإعراب في الكلمة الواحدة يُظهر أكثر من مدلول لمعنى الكلمة،توصي الدراسة بـ: الإقبال على كتاب الله -تعالى- وفهم معانيه وأحكامه،والاشتغال بتعلم النحو والإعراب والإهتمام به،لما له من صلة وثيقة بالتفسير،وعلى الكليات والأقسام المتخصصة في هذا المجال،إقامة دورات علمية متقدمة في علم الإعراب؛ لأن ذلك سيؤدي إلى حفظ اللغة العربية - والتي هي لغة القرآن الكريم - من الخطأ واللحن.

Abstract

This research, entitled «The Effect of Grammar in the Interpretation of the Holy Quran,» aimed to achieve a number of objectives. The most prominent of these were; to state the effect of grammar in the interpretation of the Holy Quran and to state the different parsing movements, in interpreting its verses. The researcher adopted the inductive and descriptive analytical method. The research has come to many results, the most important were: That the science of (parsing); grammatical analysis is made to distinguish the different meanings in Arabic and to clarify the abstract significance meanings. The interpreter, or

(١) أستاذ النحو والصرف المساعد - جامعة سنار.

recommends: To take care of the book of Allah almighty and understanding its meanings and provisions. Because of its close connection to the interpretation. The specialized colleges and departments in this field should establishment advanced scientific courses in this science; because this will lead to the preservation of the Arabic language, the language of the Quran.

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد..

فإنّ علم النّحو يرتبط بالتفسير ارتباطاً وثيقاً،فعلم النّحو من أهم الأدوات التي يوظفها علم التفسير لفهم القرآن الكريم،فلقد شرف الله اللغة العربية بالقرآن إذ أنزله على حرفها،فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِ الْعَالَمِينَ • نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ • عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ • بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢،١٩٥]،فكان من الطبيعي أن يتم نزول القرآن الكريم باللغة العربية،حيث أنها اللغة التي كان يتحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم ويتحدث بها قومه،مع التنبيه على عمومية رسالته لجميع الناس.

the one who is interested in the science of interpretation, must have knowledge of Arabic and all its arts, first of all the art of grammar. The manifestation of the miracle of the Qur`an is evident and the way in which the single word indicates more than one meaning according to the difference of expression movements in the same word shows more than meaning of the word. The study

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع من خلال عدة أمور أهمها أن علم التفسير يعد من أفضل العلوم وأجلها قدراً،وذلك لشرف موضوعه الذي يتعلق بكلام الله عزَّ وجلَّ،وأنّ علم النحو من العلوم الأصيلة في هذا المجال.

مدى أهمية علم النحو والإعراب في فهم القران الكريم وتدبره والوقوف على معانيه.

كما أنَّ لهذا العلم الأثر البالغ لاختلاف الإعراب في تفسير القرآن والتأثير في المعنى.

الموضوع يظهر إعجاز القرآن من الناحية اللغوية والبيانية.

أسباب اختيار الموضوع:

١. خدمة كتاب الله عزوجل من خلال هذه الدراسة.
٢. الرغبة في زيادة الفائدة للباحث في علم النحو وإعراب القرآن الكريم.
٣. افتقار المكتبات في حدود علم الباحث واطلاعه . إلى دراسة علمية تتناول أثر النحو في تفسير القرآن الكريم.

أهداف الدراسة

١. بيان أثر علم النحو في تفسير القرآن الكريم.
٢. اكتساب خبرة في مجال التفسير القائم على اللغة والإعراب.
٣. ربط الدراسة النحوية بالقرآن الكريم.
٤. إبراز الحاجة إلى علم النحو في فهم وتدبّر معاني القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع في المكتبات لم أجد دراسة علمية تناولت هذا الموضوع ،وإنما كانت عبارة عن مواضيع متفرقة،إضافة إلى ورقة بحثية للدكتور محمد عباس نعمان الجبوري- (قسم اللغة العربية) بكلية التربية بجامعة المثنى بالعراق نشرت بمجلة أوروك العدد الأول سنة ٢٠١٠م عنوانها: دور النحو والإعراب وأهميتهما في تفسير النص القرآني دراسة مكونة من أربعة مطالب: المطلب الأول: تحدث فيه عن أهمية علم اللغة وأثره في التفسير والمطلب الثاني: تحدث فيه عن دور النحو والإعراب في التفسير والمطلب الثالث: كان للعلاقة بين الإعراب واستشكال الآيات القرآنية،والمطلب الرابع: للأمور التي يجب مراعاتها لمن يتصدى للتفسير القرآني عن طريق النحو،وقدخلصت الورقة إلى نتائج،أبرزها: أنّ الفهم الجيّد لألفاظ القرآن الكريم يكون على أساس الفهم اللغوي السليم (النحو والإعراب) وإلمام المفسّر باللغة يجنبه الزيغ ويكشف له ولغيره محتوى القرآن الكريم وأهدافه.. وقد استفاد االباحث من هذه الورقة في التبويب والعرض.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي.

خطة البحث:

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المقدمة وتشتمل على:أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف الدراسة والدراسات السابقة ومنهج البحث والخطة.

المبحث الأول: **التعريف بعلم النحو و بيان أهميته**

المبحث الثاني: **نشأة علم النحو وتطوره**

المبحث الثالث: **التعريف بعلم التفسير وأنواعه**

المبحث الرابع: **أهمية الإعراب بالنسبة للتفسير**

المبحث الخامس: **أثر اختلاف قواعد النحو والإعراب في تفسير القرآن الكريم**

الخاتمة: وتحتوي على أهم **النتائج والتوصيات**

المبحث الأول

مفهوم النحو وبيان أهميته

تعريف النحو لغةً:

ورد في معجم لسان العرب أنّ النَّحو " إعراب الكلام العربي،والنَّحو القصد والطريق،يكون ظرفاً ويكون اسماً،نَحَاه يَنْحُوه ويَنحْاه نَحْواً وانْتَحاه،ونحو العربية منه)[1].

وعند ابن جني "النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره: كالتثنية،والجمع،والتحقير والتكسير والإضافة والنسب،والتركيب،وغير ذلك،ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وأن لم يكن منهم،وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع،أي نحوت نحوا،كقولك قصدت قصداً،ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم"[2]،فالنحو عند ابن جني على هذا هو: محاكاة العرب في طريقة كلمهم تجنباً للَّحن،وتمكيناً للمستعرب في أن يكون كالعربي في فصاحته وسلامة لغته عند الكلام.

وعلى هذا فتعريف ابن منظور للنحو يلمس فيه تقارباً واضحاً مع التعريف الذي أورده ابن جني،ولكلمة النّحو معانٍ كثيرة كما يلخصها هذا البيت: للنحو سبع معان قد أتت لغة جُمعت ضمن بيت مفرد:

قصد ومثل ومقدار وناحية
نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا[3]

تتمثل معاني النحو فيما يلي: القصد،أي نحوت نحوك أي قصدتك.

- المثل أو الشبه والنظير،سررت بضيف نحوك،أي سررت بضيف مثلك.

(١) ابن منظور،لسان العرب،تحقيق عبد الله علي الكبير،محمد أحمد حسب الله،هاشم محمد الشاذلي،ط،دار المعارف ج٦،مادة (نحا).

(٢) ابن جني،الخصائص ١/٣٤.

(٣) قائله الإمام الداودي،ابن جني الخصائص ١/٣٤. ٣.

- المقدار،أي يقول فلان لفلان لك عندي نحو ألف ناقة،نحو هنا بمعنى مقدار.
- النّاحية أو التّوجه،قدمت نحو منزلك،أي: جهة منزلك.
- النّوع أو القسم،لهذا الكتاب سبعة أنحاء أي سبعة أقسام.
- البعض،أكلت نحو الأرز أي بعض الأرز.
- الحرف أو التحريف،،ينحى الكلام أي يحرف الكلام.

اصطلاحـا:

لم يكن مصطلح النحو وارداً عند العلماء العرب في القرون الأولى التي عاش فيها أبو الأسود الدؤلي،وتلاميذه ممن جاء بعده وحتى عند الذي سُمِّي كتابه بقرآن النحو – سيبويه (١٨٠هـ) وقد أورد ابن السرَّاج (٣١٦هـ) تعريفاً إذ يقول:(أن ينحو المتكلم إذا تكلم بكلام العرب،وهوعلم استخرجه المتقدمون،فيه من استقراء كلام العرب حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة،فباستقراء كلام العرب علم أنَّ الفاعل رفع،والمفعول به نصب،وأنَّ فعلا مما عينه ياء أو واو تقلب عينه،من قولهم قام وباع[١]. وقد يكون ابن السراج منقصاً في تعريفه للنحو،إذ اقتصر فقط على التعريف بمصادره وبيان الهدف من هذا العلم،وبعد ذلك يأتي من هو مشتهر بتعريفه للنحو وهو ابن جني (٣٩٢هـ) الذي قدم تعريفاً يؤخذ به إلى الآن،وهو:(انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتصغير والتكثير والإضافة والنسب والتركيب وغيره[٢]،ومن خلال هذا فإنَّ ابن جني يزيد على تتبع كلام العرب،التثنية والجمع والتصغير،وعلى هذا فإنَّه لم يحذف الصرف من النحو وقد مزج بينهما.

أما عن حدّ هذا المصطلح عند علماء القرون المتأخرة أمثال الشريف على بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ) فهو " علم بقوانين يعرف بها أحوال التركيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما،وقيل النحو علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده "[٣]، ربما بهذا التعريف يكون الجرجاني قدم تعريفا كاملا،إذ تحول مفهوم النحو من تتبع كلام العرب، إلى

(١) إبن السراج،الأصول في النحو العربي،تحقيق عبد الحسين فتلي،ط٣،بيروت ١٩٨٨،ج١ ص٣٥.

(٢) ابن جني ،الخصائص،تحقيق: عبد الحميد هنداوي ط١. بيروت:١٤٢١هـ ٢٠٠١،ج١ص٨٨.

(٣) الشريف علي بن محمد الجرجاني،كتاب التعريفات،ط١،مصر ١٣٠٦هـ،المطبعة الخيرية،ص١٠٥.

العلم بقوانين هذا الكلام،فمن المنطقي أن يتتبع الإنسان كلاماً،ثم إذا عرفه تمكن منه.

أما التعريف الذي يقدمه المحدثون،أمثال إبراهيم مصطفى الذي عاب على النحاة المتقدمين تضييقهم لمفهوم النحو،لأنهم جعلوه مرادفاً للإعراب أو حركات أواخر الكلمات،فيعطي إبراهيم مصطفى بديلاً لمفهوم النحو،يكون قد استقاه من النحاة المتقدمين قائلاً: ((هو قانون تأليف الكلام وبيان لكل مايجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة والجملة مع الجمل،حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها وذلك أن لكل كلمة وهي منفردة معنىً خاصاً تتكفل اللغة ببيانه وللكلمات مركبةً معنى،وهو صورة لما في أنفسنا،ولما نقصد أن نعبر به ونؤديه إلى الناس، وتأليف الكلمات في كل لغة يجري على نظام خاص بها ولا تكون العبارات معبّرة ولا مصورة لما يراد حتى يجرى عليه ولاتزيغ عنه[1]، وعليه فإبراهيم مصطفى يجعل النحو قانوناً عاماً للغة،التي وفقها يتم اختيار الكلمات ذات الدلالة المعجمية،لتؤدي وظيفتها الخاصة داخل السياق؛ لأنَّ المتعارف عليه هو أن الكلمة تكتسب معنىً خاصاً إذا أدخلت في تركيب معين.

أهمية علم النحو:

علم النحو هو أحد علوم اللّغة العربيّة،ويُعنى بدراسة أصول تكوين الجمل وقواعد الإعراب،لذا تتمّ تسميته أيضاً بعلم الإعراب،وتعلّم علم النحو جزء لا يتجزأ من الإلمام باللّغة العربية،لما له من أهمّيّة كبيرة في اللّغة،كونه يهدف إلى تحديد الأساليب التي تكوّنت بها الجمل،ومواضع الكلمات،ووظيفة كلّ منها،بالإضافة إلى ذلك فإنّه يعمل على تحديد الخصائص النحويّة (مثل:الابتداء ،الفاعليّة،والمفعوليّة) أو الأحكام النحويّة (مثل: التقديم،التأخير،الإعراب،والبناء) التي اكتسبتها الكلمة من موضعها أو حركتها أو مكانها في الجملة،لذا فإن النحو هو الذي مكّن فهم الكلام بحسب إعرابه،بحيث يتمّ التمييز بين المسند والمسند إليه،والفاعل والمفعول،وغيرها الكثير من القواعد التي بإهمالها ينقلب معنى الجملة بأكمله،كما أنّ له دوراً كبيراً في فهم جميع الآيات القرآنيّة والنصوص الشرعيّة التي وردت عن نبينا عليه الصلاة والسلام،كما مكّن المتكلّم من التخلّص من اللّحن والتكلّم بلغة سليمة وصحيحة،الأمر الذي يؤدّي إلى استقامة اللّسان أثناء الحديث

(١) إبراهيم مصطفى،إحياء النحو،ط٢،القاهرة:١٤١٣هـ ـــ١٩٩٢م،دار الفكر العربي ص٢-٣.

والقراءة،كما أنَّ علوم الشريعة – على عظيم شأنها – لا سبيل إلى استخلاص حقائقها،والنفاذ إلى أسرارها بغير علم النحو،فهل ندرك كلام الله تعالى،ونفهم دقائق التفسير،وأحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم،وأصول العقائد،وأدلة الأحكام،وما يتبع ذلك من مسائل فقهية،وبحوث شرعية مختلفة،قد ترقى بصاحبها إلى مراتب الأئمة،وتسمو به إلى منازل المجتهدين إلا بتعلم علم النحو،بل وبالتوسع في تعلمه،والإحاطة بقواعده، فالنحو لا يستغني عنه،ولا يوجد بد منه،ومن جهله فبضاعته من العلوم مزجاة،وفهمه عقيم،ومن أتقنه وبرز فيه فهو من أصحاب السبق؛ لأن النحو مرقاة للوصول إلى سائر الفنون.

وإنه لا يشك أحد في أنَّ ثمار القواعد اللغوية والنحوية التي اعتنى بتدوينها علماء العربية،إنما ميدان جنيها في نصوص الكتاب والسنة،فبها استنبط أهل العلم أحكاماً في العقائد،وأخرى في الحلال والحرام،كما سيتضح،إن شاء الله تعالى. فالنحو وسيلة لفهم كتاب الله تعالى،وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،فالفقيه والمفسر بلا لغة،ولا نحو،كالداخل غمار الحرب،بلا سلاح،وهذا لا شك في هلاكه.

المبحث الثاني

نشأة النحو

الصحيح أنَّ أول من وضع النحو هو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)؛ لأنَّ الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود، وأبو الأسود يسند إلى علي ، فإنه قد روي عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ قال لفقت حدوده من علي بن أبي طالب"[1].

ويعتمد الشيخ محمد الطنطاوي في كتابه القيم " نشأة النحو وتاريخ أشهر الرواة " هذا الرأي ويعلل. لأن ابن الأنباري: " أغناهم بهذا المقام ، وقد سرد معظم نقول السابقين عليه مع جودة الترتيب ، فذكر مختاره أولاًمع روايتين في سبب وضع علي كرّم الله وجهه، ثم ذكر مختار غيره مع روايات أربع في سبب وضع أبي الأسودرضي الله عنه...ثم عاد مصرحاً برجحان اختياره"[2] وننقل لك ما قاله ابن الأنباري ابتداءً: "اعلم أيدك الله بالتوفيق، وأرشدك إلى سواء الطريق أنَّ أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده ، وحدّ حدوده أمير المؤمنين

(١) ينظر: ابن الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) ص٥ – ٦ (مطبعة المعارف – بغداد ١٩٥٩م).

(٢) الطنطاوي:محمد (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة) ص ١٦،ا ط ٣ مصر ١٩٦٩م.

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي...وسبب وضع علي (رضي الله عنه) لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال: " دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فوجدت في يده رقعة، فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إنّي تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعني الأعاجم) ، فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه ، ثم ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوب " الكلام كلّه اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأعن المسمى ، والفعل ما أُنبئ به ، والحرف ما جاء لمعنى " وقال لي: انحُ هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ، واعلم يا أبو –كذا–[1] الأسود أنَّ الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس يا أبو – كذا– الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر ، وأراد بذلك الاسم المبهم ، قال: وضعت بابي العطف والنعت ، ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب (إنّ وأخواتها) ما خلا لكن ، فلما عرضتها على عليّ (رضي الله عنه) أمرني بضم (لكن) إليها ، وكنت كلما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه (رضي الله عنه) إلى أن حصلت ما فيه الكفاية. قال: " ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت "فلذلك سمي النحو ، وكان أبو الأسود ممن صحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) "[2].

الأستاذ أحمد أمين لا يقنع بهذه الرواية ولا بغيرها من الروايات ، بل يسخر منها في (ضحاه) مقارناً بشكل غير موفق بين ما هو عربي إسلامي واقعي ملموس ، قد أرخ له كل من كتب عن نشأة النحو العربي وتطوره وبين رواية هندية خرافية لا أساس لها ولا رأس حول بداية النحو الهندي وصرفه[3] مستكثراً على الإمام (رضى الله عنه) ، وهو من أكبر خطباء العرب وأفصحهم، صاحب (نهج البلاغة) الذي – كما يقول عنه حنا فاخوري – تتجلى فيه "عبقرية الإمام علي بكل وضوح ، وهي قائمة على عقل ذكي، واسع الإدراك عميق، لا تفوته دقائق الأمور ، فيسبر الأغوار ، ويرسل الأفكار منخلة ثابتة بعيدة الاضطراب و الضعف"[4]...وعلى أبي الأسود الدؤلي

(١) كذا – بمعنى هكذا وردت في المصدر ، والملاحظة لمن لم يمارس البحوث الأكاديمية ، وكررها ابن الأنباري مرتين ، ربما اعتبر (أبو الأسود) كلمة واحد ، فكتبها على الحكاية وليس بمضاف ومضاف إليه.

(٢) ابن الأنباري: (نزهة الألباء) ص ١ – ٥ (المعارف).

(٣) ينظر: أحمد أمين:(ضحى الإسلام)،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،ط٧،ج ١ ص ٢٤٥.

(٤) حنا فاخوري: (تاريخ الأدب العربي ص ٣٢٥ – ط ١١– سنة ١٩٨٣م بيروت.

وهو تابعي جليل ثقة كما وصفه ابن كثير الدمشقي[١]، و " من أفصح الناس" كما يقول عنه السيرافي[٢]، أما السيوطي فقد ذكر عنه " أعلم الناس بكلام العرب "[٣].

والدكتور (شوقي ضيف) دخل مدخلاً صحيحاً ولكنه خرج لنا باستنتاج عجيب غريب، إذ ردّ أسباب وضع النحو لبواعث مختلفة منها دينية لحفظ أداء نصوص القرآن الكريم من لحن الشعوب المغلوبة ، ومنها قومية لاعتزاز العرب بلغتهم وتقديسهم لها ، ومنها مصلحية لحاجة الشعوب المستعربة لقواعد يسيرون عليها ، إضافة إلى رقي العقل العربي ، ونمو طاقته الذهنية[٤].

ذكر الوزير القفطي (ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨م) في كتابه (إنباه الرواة...): " وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي "[٥]، وأنه رأى " بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو ، يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي "[٦]، وأوضح أن الجمهور من أهل الرواية ، أجمعوا على ذلك ، وبأن الإمام علي (رضى الله عنه) ذكر أقسام الكلام، وأضاف (لكن) إلى أخوات(إنَّ) ، عندما غفل إدراجها أبو الأسود الدؤلي،أمّا ابن النديم (ت بعد٣٩٠هـ/١٠٠٠م) في (الفهرست) ، فيقول: " زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) "[٧]، ثم يدلي بشهادة قيمة حول أصل النحو وواضعه قائلاً: " كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين، ويعرف بابن أبي بعرة ، جمّاعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة ، تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة ، فلقيت هذا الرجل دفعات ، فأنس بي ، وكان نفوراً ضنيناً بما عنده ، وخائفاً من بني حمدان ، فأخرج إليّ قمطراً كبيراً فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان وصكاك

(١) ينظر: ابن كثير: (البداية والنهاية)ج٨ص ٢٤٨ – ٢٤٩ –العلمية –١٩٩٤م – بيروت.

(٢) ينظر: السيرافي. أبو سعيد الحسن بن عبد الله: (أخبار النحويين البصريين) ص١٤ – مطبعة الحلبي– ١٩٥٥م– مصر.

(٣) السيوطي.عبد الرحمن جلال الدين: (المزهر في علوم اللغة) ج٢،ص ٣٩٧– دار إحياء الكتب– ط١– مصر.

(٤) ينظر: ضيف..د.شوقي: (المدارس النحوية) ص١١ – دار المعارف – مصر.

(٥) القفطي: (إنباه الرواة على أنباه النحاة) ص ٤١ – دار الفكر العربي – ١٩٨٦م – القاهرة.

(٦) المصدر السابق ص ٤٠.

(٧) ابن النديم:(الفهرست) ص ٦٧ – دار الكتاب العربي– ١٩٩١م – القاهرة.

وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود آدم وورق خراساني فيها تعليقات و قصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات و الأخبار والأسماء والأنساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم، ورأيت ما يدل على أنّ النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصيني، ترجمتها هذي فيها كلام الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخط بخط يثق هذا خط علان النحوي، وتحته هذا خط النضر بن شميل[1].

وهنالك شهادات أخرى كثيرة سجلها لنا القدماء غير ما ذكرنا عن الأنباري والقفطي وابن النديم ، تؤكد إشارة الإمام وإرشاده وتوجيهه ، فالسيوطي يقول وينقل ما يلي: " اشتهر أن أول من وضع النحو: علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأبي الأسود ، قال الفخر الرازي في كتابه (المحرر في النحو): " رسم علي (رضي الله عنه) لأبي الأسود باب (إنّ)، وباب الإضافة ، وباب الإمالة ، ثم صنّف أبو الأسود: باب العطف ، وباب النعت ، ثم صنف باب التعجب ، وباب الاستفهام، وتطابقت الروايات على أنّ أول من وضع النحو: أبو الأسود، وأنه أخذه أولاً عن علي[2]، ووضح ذلك أيضاً أبو الطيب اللغوي في (مراتب النحويين) قائلاً: "أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) ، لأنه سمع لحناً فقال لأبي الأسود: اجعل للناس حروفاً ، وأشار له إلى الرفع والنصب والجر[3]، وابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية) يذكر: "إنما أخذه عن أمير المؤمنين علي بن طالب..ذكر له الإمام: "الكلام اسم وفعل وحرف ، وإنّ أبا الأسود نحى نحوه..."[4]، وابن خلكان في (وفيات الأعيان) يوضح أيضاً أن "الإمام (رضى الله عنه) وضع له أقسام الكلام ،ثم رخصه إليه وقال له: تمم على هذا "[5]، واعتمد (حتّي) رواية ابن خلكان في كتابه (تاريخ العرب)، وعلق قد تم له النجاح في عمله ، أمّا الزبيدي في (طبقاته) يسجل

(١) المصدر نفسه ص ٦٨ – ٦٩.

(٢) السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ /١٥٠٥م): (الأقتراح في علم أصول النحو) ص ٢٠٣ ط١القاهرة سنة ١٩٧٦م ، وراجع (بغية الوعاة...) للمؤلف ج٢ ص٢٢ – ٢٣ – مطبعة عيسى ١٩٦٥ م مصر.

(٣) أبو الطيب اللغوي.عبد الواحد بن علي(ت ٣٥١ هـ /٩٦٢م): (مراتب النحويين) ص٢٤ – دار النهضة – مصر.

(٤) ابن كثير..اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): (البداية والنهاية) ج٨ ص ٢٤٨ – العلمية– بيروت.

(٥) ابن خلكان..أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م: (وفيات الأعيان م ٢ ص٥٣٥ دار صادر – بيروت.

لنا شهادة لأبي الأسود الدؤلي قائلاً: " تلقيته من علي بن أبي طالب "، وفي رواية أخرى: " ألقى إليّ عليٌّ أصولاً احتذيت عليها"[1]، والسيرافي في (أخبار النحويين يخبرنا، بدأت نشأة النحو بالبصرة على يد أبي الأسود الدؤلي، وأخذ عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) العربية ، وكان أفصح الناس ، ركز رجاءً على كلمة (العربية)، إذ تعني اللغة جميعها بفصاحتها وبلاغتها ونحوها وصرفها، كما أن السيرافي يذكر لنا روايات ضعيفة ترجع بدايته على يد نصر بن عاصم الدؤلي ويقال (الليثي)(ت ٨٩ هـ / ٧٠٧م)، أو على يد عبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧ هـ /٧٣٤ م)، ثم يرجح متواصلاً: " وأكثر الناس على يد أبي الأسود الدؤلي"[2]، حتى لو أخذنا بأضعف الروايات لم نصل بدايات عصر الترجمة، فما زلنا في العصر الأموي، والترجمة بدأت فعلياً في عصر المنصور العباسي، ثم ازدهرت في عصري الرشيد والمأمون، ولم تفعل مفعولها الحقيقي بالمنطق اليوناني والهندي والفارسي وفلسفاتهم إلا بعد منتصف القرن الثالث للهجرة !! ومن قبل كانوا يعتمدون على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ورواة العرب وإخباريهم، والمسألة الزنبورية – التي سنأتي عليها– خير دليل، نواصل مشوارنا، ونحكم عقولنا، ونعتمد على تراث وموروث أفذاذنا، لا بتعصب مشدود، وإنما بتعقل محمود، والآن ننتظم لنروي ما دون في (منتظم) ابن الجوزي ، ففي أحداث سنة (٦٩هـ)، يذكر لنا وفاة أبي الأسود، وبأنه: " أول من وضع النحو، أخذ عن علي بن أبي طالب العربية، وقد لحن الناس، فأخبر علياً، رضي الله عنه، فأعطاه أصولاً بنى منها. وعمل بعده عليها"[3]، وابن الجزري في (غاية النهاية)، ذهب إلى أنّ أبا الأسود: "أول من وضع مسائل في النحو بإشارة علي (رضى الله عنه) ، فلما عرضها على علي، قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت ، فسمي النحو نحواً"[4]، والعسقلاني في (الإصابة) يروي عن أبي علي القالي عن الزجاج عن

(١) الزبيدي.. أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ /٩٨٩ م): (طبقات النحويين واللغويين – ص ٢١ – دار المعارف بمصر.

(٢) راجع: السيرفي: (أخبار النحويين البصريين) ص ٥ – ١٢ مصدر سابق.

(٣) ابن الجوزي..عبد الرحمن (٥١٠ – ٥٩٧ هـ / ١١١٦– ١٢٠٠م):(المنتظم في تاريخ الأمم والملوك) ج ٦ص ٣٤٥ – ٣٤٦ دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) ابن الجرزي..شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ /١٤٢٩ م): (غاية النهاية في طبقات القرّاء) ص ٣٤٥ – ٣٤٦ – مكتبة الخانجي – ١٩٣٢م – مصر.

المبرّد قال: " أول من وضع العربية ونقّط المصاحف أبو الأسود، سئل أبو الأسود عمن نهجّ له الطريق ، قال تلقيته عن علي بن أبي طالب "[١]،ومن المصادر – وهي قليلة – ما تفرد أبا الأسود الدؤلي بأنه واضع علم النحو، أو لم تشر للإمام (عليّ) كما ذهب ابن سلام الجمحي في (طبقاته)، موضحاً عندما اضطرب كلام العرب وغلبت السليقية، وكان سراة الناس يلحنون "وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الرفع(كذا) والنصب والجزم "[٢]، وابن قتيبة في (الشعر والشعراء) ، إذ يجعله " أول مَنْ عمل في النحو كتاباً "[٣]، وابن تغري في (النجوم الزاهرة) يُعَدُّ " أول من وضع علم النحو "[٤].

ونكتفي بهذا القدر، وهنالك مصادر كثيرة أخرى وأغلبها لأهل العامة ، تترجم لأبي الأسود الدؤلي، وتؤكد ما ذهبنا إليه، وتركناها للهامش[٥]، ونحن ركزنا على الإمام (علي)، وعلى أبي الأسود الدؤلي ، لأننا نعتبر النحو العربي قفزة فكرية عربية خالصة غاية الأهمية لحفظ اللغة وسلامة القراءة من اللحن، وخصوصاً بعد امتزاج العرب مع الأمم الأخرى، فرضها بزوغ الإسلام، ونزول القرآن الكريم الرمز المقدس لدى المسلمين ، والعبقرية العربية والإسلامية لم تكن في حينها بحاجة إلى المنطق الهندي والفلسفة اليونانية والتراث الفارسي لوضع أسس وقواعد للغتهم، نعم بعد قرنين ونصف تلاقحت العقول وامتزجت الأمم، وليس في هذا عيب، بل نعتبره ضرورة ملحة لتطور الفكر الإنساني، ولا تجهد نفسك في تتبع جذور وأعراق من عاش على أرض العرب، وتعلم لغتهم وروى أشعارهم وانصهر معهم، فكانت دولتهم في القرون الأولى إسلامية تتسع للجميع.

(١) العسقلاني..ابن حجر أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م): (الإصابة في تمييز الصحابة) م ٣ ص ٥٦٢ – دار الجيل – ١٩٩٢م – بيروت.

(٢) الجمحي..محمد بن سلام (١٣٩– ٢٣١هـ /٧٥٦ – ٨٤٥ م): (طبقات فحول الشعراء) ج١ص ١٢– السفر الأول – مطبعة المدني – القاهرة.

(٣) ابن قتيبة..عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٩٩ م).

(٤) ابن تغري..جمال الدين أبو المحاسن يوسف (٨١٣ – ٨٧٤ هـ / ١٤١٠– ١٤٦٩م): (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) م ٢ ص ٢٣٨ العلمية – ١٩٩٢م – بيروت.

(٥) راجع ترجمة أبي الأسود الدؤلي ، وتوجيه الإمام له في مصادر أخرى: البغدادي (خزانة الأدب)ج ١ ص ٢٨١ – ٢٨٦ – مكتبة الخانجي ١٩٧٩م.

المبحث الثالث

التعريف بعلم التفسير وأنواعه

التفسير لغة:

(فَسَّرَ) الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شئ وإيضاحه وهى بمعنى الإبانة وكشف المغطَّى،أو كشف المعنى المعقول،والفعل كضَرَبَ ونَصَرَ،ويقال فسَّر الشئ يُفَسِّره وفَسَّرهُ: أبانه،واستَفْسَرهُ: سأله أن يفَسِّره[1].

وهو مشتق أيضاً من (سَفَرَ)،وقولهم (سَفَرتُ الشئ سَفْراً) من باب ضربته،إذا كشفته وأوضحته،لأنه يوضح ماينوب فيه ويكشفه،و(سَفَرَتِ المرأة سُفُوراً) كشفت وجهها[2].

ومنها (التَّفْسَرة) وهى البول الذي يُستدلُ به على المرض،بحيث ينظر فيه الأطباء فيستدلون بلونه على علة العليل،وكل شئ يعرف به تفسير الشئ ومعناه فهو تفسرته،والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[3].

وبالنظر إلى المعنى اللغوي للتفسير،نخلص إلى أنها بإشتقاقاتها ترجع إلى الكشف والإظهار والبيان والإيضاح،قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

التفسير اصطلاحا:

تفسير القرآن من العلوم الإسلامية ويقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم،وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام[4]،وقيل: (التفسير بيان مراد المتكلم،ويتعلق بالرواية،وأكثر استعمال التفسير في الألفاظ ومفرداتها)[5].

وقيل: (هوتوضيح معنى الآية وشأنها وقصتها،والسبب الذي نزلت فيه،بلفظ يدلُ عليه دلالة ظاهرة)[6].

مماسبق يتبين أنَّ التفسير بمعناه الإصطلاحي لا يخرج عن كونه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز،وإخراج الشئ عن معلوم الخفاء إلى مقام التجلى،وكشف المراد عن اللفظ المشكل.

التفسير التحليلي لغة:

عرفنا التفسير لغة واصطلاحاً في السابق،والشق الآخر لتعريف مركب التفسير التحليلي فهو (التحليلي) وهو مشتق من (حلَّل) ومعناه حلَّ العقدة فتحها

(١) ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٨٤٧/١،والحسيني: تاج العروس ٣٢٣/١،ومختار الصحاح: الرازي ٢٧٥/١،وابن منظور: لسان العرب ٥٥/٥.

(٢) ينظر:الفيومي: المصباح المنير – ١٦٨/١.

(٣) ينظر:الأزهري: تهذيب اللغة ٤٠٧/١٢،الفيروزآبادي:القاموس المحيط ٤١١/١.

(٤) ينظر:إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط – ٦٨٨/٢.

(٥) ينظر:أبو البقاء الكفوي: الكليات –٢٦٠/١.

(٦) المناوي: التوقيف على مهمات التعريف –١٩٢/١.

فانْحَلّت، وحلَّلَا لشئ رجعه إلى عناصره، يقال حلَّلَ الدم وحلَّلَ البول،ويقال حلَّلَ نفسية فلان أي درسها لكشف خباياها، وتحليل الجملة بيان أجزائها ووظيفة كل منها[١].

وبالنظر إلى التعريف اللغوي للتفسير،وبالاستعانة بتعريف التفسير اصطلاحاً وتعريف التحليلي، يمكننا أن نعرّف هذا المركب بأنه: توضيح وبيان المفردات، والكشف عن الألفاظ المشكلة ومعرفة خباياها وتحليلها.

التفسير التحليلي اصطلاحا:

لم يكن مصطلح التفسير التحليلي بوصفه مركباً معروفاً لدى العلماء السابقين،وإن كانوا عرَّفوا التفسير بتعريفات تتضمن الإشارة إلى هذا النوع من التفسير،فإذا تتبعنا هذه التعريفات وجدنا أنه يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها،فهي وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ،إلا أنها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه،ونذكر بعض هذه التعريفات:

١- التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبينا محمد (صلّى الله عليه وسلم) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[٢].

٢- هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله –تعالى– بقدر الطاقة البشرية،وقولنا بقدر الطاقة البشرية؛ لبيان أنه لايقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات،ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر[٣].

وبالنظر في هذين التعريفين الأخيرين، يظهر أنهما لايعدان جامعين مانعين،فعلم القراءات وعلم الرسم داخلان في التفسير ولم يذكرا في التعريفات السابقة،فالمعنى يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات،كما أن المعنى يختلف أيضاً باختلاف الرسم القرآني في المصحف فمثلاً قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ [الملك: ٢٢]،بوصل (أمَّن) فإنه يغاير في المعنى،أمّا قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩]،فإن المفصولة في الرسم تفيد معنى (بل) دون الموصولة[٤].

وقيل أيضا: " هو علم نزول الآية، وسورتها، وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيَّها

(١) الرازي: مختار الصحاح ٩٢/١،إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ١٩٤/١.

(٢) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن،٣١/١.

(٣) ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ٣/٢.

(٤) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ١٣/١.

ومدنيها،ومحكمها ومتشابهها،وناسخها ومنسوخها،وخاصها وعامها،ومطلقها ومقيدها،ومجملها ومفسرها[1].

وعرَّفه أبوحيان بأنَّه: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية،ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك[2].

وشرح أبوحيان هذا التعريف بقوله: فقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن،هو علم القراءة،وقولنا: ومدلولاتها،أي مدلولات تلك الألفاظ،وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم،وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية،هذا يشمل علم التصريف،والبيان،والبديع،وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب،يشسمل ما دلالته بالحقيقة ومادلالته بالمجاز،وقولنا تتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك[3].

ويلاحظ على هذا التعريف،أنه شمل جميع الموضوعات التي يتضمنها علم التفسير بشكل موجز؛ لذا أراه جامعاً مانعاً،وهو في النهاية يوصلنا إلى المعنى الإصطلاحي لمركب التفسير التحليلي.

وبعد فإنَّ مصطلح التفسير التحليلي مصطلح معاصر،فالمفسر في التفسير الموضوعي التحليلي يكتفي بتحليل الآيات وجملها وتراكيبها،واستخراج دلالاتها التفصيلية الجزئية،وبيان معنى الألفاظ في الآية،وبلاغة التركيب والنظم،وأسباب النزول،واختلاف المفسرين في الآية،ويذكر حكم الآية وأحكامها،وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهيه أو نحوية أو بلاغية،ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور،وهذا اللون من التفسير هو أسبق أنواع التفسير وعليه تعتمد بقيتها،ويتفاوت فيه المفسرون إطناباً وإيجازاً،ويتباينون فيه من حيث المنهج،فمنهم من يهتم بالفقهيات ومنهم من يهتم بالبلاغيات،ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التاريخ،ومنهم من يستطرد في سرد أقوال السلف،ومنهم من يعتني يالآيات الكونية أو الصور الفنية أو المقاطع الوعظية أو بيان الأدلة العقدية،وبذلك يكون هذا اللون من التفسير هو الغالب على تآليف العلماء

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣١/١.
(٢) البحر المحيط: ١٢١/١.
(٣) المرجع السابق:١٢١/١.

وأكثر كتب التفسير على هذا النمط[1].

للمفسرين في التفسير أساليب أربعة هي[2]:

• **التفسير التحليلي:**

وهو الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله،ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها،ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.

• **التفسير الإجمالي:**

وهو الأسلوب الذي يَعْمَد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف فيبين معاني الجمل فيها متتبعاً ما ترمي إليه الجمل من أهداف ويصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها.

• **التفسير المقارن:**

وهو الأسلوب الذي يَعمد فيه المفسر إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء أكانت نصوصاً قرآنية أخرى،أو نصوصاً نبوية)أحاديث (أو للصحابة،أو للتابعين،أو للمفسرين،أو الكتب السماوية الأخرى،ثم يُقارن بين الآراء،ويستعرض الأدلة،ويبين الراجح وينقض المرجوح.

• **التفسير الموضوعي:**

وهو أسلوب لا يُفَسِّر فيه صاحبه الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف بل يجمع الآيات التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد فيفسرها.

المبحث الرابع

أهمية الإعراب بالنسبة للتفسير

تكمن أهمية الإعراب في تفسير القرآن الكريم في ارتباطهما ببعضهما ارتباطًا قويًا متينًا،فكما أن التفسير ضروري لفهم مراد الله تعالى في آياته،ومن ثَم فهم معانيه ومراميه،فكذلك الإعراب؛ لأن هدفه الإفصاح عن المعنى،فهو لا يقل ضرورة عن التفسير.

فالإعراب ليس علامات لفظية فحسب؛ بل هو مناط إيضاح المعنى وإظهاره. وفي هذا قال ابن فارس[3] حيث قال:فأما الإعراب فيه تميُّز المعاني على أغراض

(١) ينظر:محمد حسن الذهبي: التفسير والمفسرون ١٣/١.

(٢) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه،الناشر: مكتبة التوبة،ص:٥٧-٦٢.

(٣) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي،أبو الحسين،كان إماما في علوم شتى خصوصا في اللغة فإنه أتقنها،وألف كتاب المجمل في اللغة،توفي بالري سنة٣٩٠ هـ. انظر: شذرات الذهب).

المتكّلمين،وذلك أن قائلاً لو قال: "ما أحسن زيد"،غير معرب،أو: " ضرب عمرو زيد" ؛ غير معرب لم يوقَفْ على مراده،فإذا قال: ما أحسنَ زيداً !،أو: ما أحْسَنَ زَيْدٌ !،أو: ما أحسنُ زيد ! أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده"[1].

كما بين قيمته أيضاً ابن جني في باب القول على الإعراب: " هو الإبانة عن المعنىبالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرمَ سعيدٌ أباه،وشكرَسعيداً أبوه،علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول،ولو كان الكلام شرجاً –أي نوعاً– واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه "[1].

وقد ظهرت اتجاهات كثيرة في تفسير القرآن الكريم. وكان من أقدمها الاتجاه اللغوي ومن هذا الاتجاه قسم يتعلق بالنحو والقضايا الإعرابية. فكانٍ من النحاة الأوائل من يضع تفسيراً للقرآن الكريم؛ لأنه هو الكتاب الذي كانوا يعتمدون عليه في وضع قواعدهم وآرائهم النحوية والاحتجاج لها وتأييدها من خلال تفسير آيات الكتاب الحكيم.

ويعد من أشهر من ألف وصنف في ذلك الإمام النَّحوي الفراء[2] المتوفى سنة ٢٠٧ هـ،وأبو العباس محمد بن يزيد،المتوفى سنة ٢٨٦هـ،وثعلب أحمد بن يحيى،المتوفى سنة ٢٩١ هـ،ويحيى بن علي التبريزي المتوفى سنة٥٠٨ هـ وعبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري المتوفى سنه ٥٧٧ه،وغيرهم كثير.

وهذا القسم من الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم على نوعين،ولكلٍ منهما مؤلفاته الخاصة به،وهما:

الأول: كتب في تفسير القرآن أو المشكل منه،والتي عنيت بالنحو،ومنها كتابا معاني القرآن للفراء،والبحر المحيط لأبي حيان.

الثاني: كتب اختصت بإعراب القرآن الكريم، وهي كثيرة منها:

١. إعراب القرآن للزجاج[3] المتوفى سنة ٣١١هـ.
٢. إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه[4] النحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ.
٣. التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري المتوفى سنه ٦١٦هـ.

(١) ابن جني: الخصائص ٣٥/١.

(٢) الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي،من أجل وأعظم أصحاب الكسائي،كان رأسا في اللغة والنحو،قيل: لولاه ما كانت عربية. فهو الذي ضبطها وهذبها. انظر: (شذرات الذهب) – ابن العماد الحنبلي.

(٣) الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل،أبو إسحاق الزجاج النحوي،كان من أهل العلم بالأدب والدين،صنف كتابا في معاني القرآن،أخذ الأدب عن المبرد وثعلب،وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه. ٤٩/ ٧،و (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) – ابن خلكان٤٩/١.

(٤) ابن خالويه: الحسين بن أحمد بن خالويه،أبو عبد الله،لغوي من كبار النحاة،أصله من همدان،استوطن حلب وعظمت بها شهرته،كانت له منزلة رفيعة عند بني حمدان،من مؤلفاته: مختصر في شواذ القرآن.

٤. المجيد في إعراب القرآن المجيد للصفاقسي المتوفى سنة ٧٤٢هـ.

وفي بيان دور النحاة السابقين وخدمتهم لكتاب الله –قال الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة في مقدمة كتابه النحو وكتب التفسير: "وأثبت أن نحاتنا السابقين هم الذين أبلوا أحسن البلاء في توثيق نص القرآن الكريم بالاحتجاج للقراءات وبيان عللها ووجوهها،واختلاف قرائها،وأنهم هم الذين هيؤا لعلماء التفسير الوسيلة الفعالة لفهم معانيه والاجتهاد في أحكامه وتفصيل آدابه،وكان ما قاموا به من أبحاث في كتبهم النحوية وكتب: "معاني القرآن" و "الاحتجاج"،وما غاصوا فيه من تحليل لآياته،كان ذلك هو القبس الذي أضاء للعلماء الطريق في تفسير الكتاب العزيز ومكنهم من تفسيره العقلي،إذ كان التقاء التفسير اللغوي بالأثري هو السبب الأكبر في نشأة التفسير بالرأي،وجرأة العلماء عليه،وتوسعهم فيه،وترسيخهم أصوله ومناهجه[١] وأخيراً مما سبق تتضح صلة علم النحو والإعراب وأهميته بالنسبة للتفسير وضوحاً بارزاً.

(١) إبراهيم عبد الله رفيدة،النحو وكتب التفسير،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،ليبيا،ط١٩٩٠،٣م:٩/١.

المبحث الخامس

أثر النحو و الإعراب في تفسير القرآن الكريم

إنَّ تعلم التفسير واجب لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]،فالله تعالى يبين أنَّ الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك؛ أن يتدبر الناس آياته،ويتعظوا بما فيها،وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]،فالله تعالى وبَّخ أولئك الذين لايتدبرون القرآن،وأشار إلى أنَّ ذلك من الإقفال على قلوبهم،وعدم وصول الخير إليها.

ولايكون تدبر القرآن،والوقوف على ماحواه من نصح وإرشاد،والإلمام بمبادئه،وأسلوبه البارع المعجز،إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدلُّ عليه ألفاظ القرآن،وهو مانسميه بعلم التفسير،خصوصاً في هذه العقود الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي،وضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلائل العرب أنفسهم[٢].

ومن هنا كانت الحاجة الملحة إلى تعلم قواعد النحو والإعراب،حيث اشترط فيمن يتصدى لعلم التفسير أن يكون عالماً باللغة العربية وبكل فنونها،وأولها

(٢) ينظر: الزرقاني،مناهل العرفان في علوم القرآن ٣/٢.

فن النحو،ولايكون ذلك إلا بمعرفة أحكام اللغة العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها،ويؤخذ ذلك من كتب النحو والإعراب؛ فإنه إن لم يكن متقناً لهذا العلم فإنه يبعد أن يكون مفسراً تفسيراً قويماً؛ لأن بعض الكلام فيه تقديم وتأخير،فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]،لو لم تعرف أنَّ لفظة (العلماء) هنا يجب تأخيرها مع أنها فاعل لأنها هى المحصورة،لنقص عليك شئ كبير وأنت تتصدى لتفسير كتاب الله عزَّ وجل،لذا يتبين لنا مدى الحاجة إلى علم النحو وقواعد الإعراب في فهم وتدبرمعاني القرآن الكريم.في هذا المبحث سأبين إن شاء الله أثر قواعد النحو الإعراب في تفسير آيات القرآن الكريم،وبيان وجوه الإختلاف في المعنى بسبب هذه القواعد النحويه وسأتناول نماذج من آيات القران الكريم لبيان ذلك.

المسألة الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

أوجه الإعراب: قوله: (اثَّاقلتم) تحتمل وجهين من الإعراب[١]:

الأول: في موضع نصب حال.

الثاني: في موضع جر بحرف الجر.

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول:

قوله: (اثاقلتم) أصله تثاقلتم،أدغمت التاء في الثاء لقربها منها،واحتاجت إلى ألف الوصل ليتوصل بها إلى النطق بالساكن،والفعل ماضٍ لفظاً مضارع معنى،أي: (تتثاقلون)،والجملة في موضع الحال من ضمير الجماعة في قوله (انفروا) وهو عامل في الظرف،والتقدير: مالكم متثاقلين إذا قيل لكم انفروا،والمعنى: ماعذركم حالة كونكم متثاقلين،وقيل: العامل في هذا الظرف مضمر مدلول عليه باللفظ،والتقدير: ما تصنعون إذا قيل لكم،وهي تمثيل للكارهين لحال الغزو،المتطلبين للعذر عن الجهاد كسلاً وجبناً،حيث يطلب منهم النهوض والخروج،فيقابل ذلك الطلب الالتصاق بالأرض والتمكن من القعود[٢].

المعنى الثاني:

والتقدير: أي شئ لكم في التثاقل،وقد رد على هذا القول: بأنه لا ينسبك مصدر،إلا

(١) اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل الدمشقي ٩١/١٠.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٩٧/١٠.،أبو السعود:إرشاد العقل السليم ٤٠٧/٢.

من حرف مصدري (أن) والفعل حذف (إن) في نحو هذا قليل جداً،أو ضرورة. والآية توبيخ على ترك الجهاد،وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج[1].

أثر الاختلاف النحوي في الآية:

بينت أوجه الإعراب في هذه الجملة معنيين متنوعين،فموقع الجملة من حيث الإعراب،أثر في المعنى بشكل يزيد في التفسير،فالأول بإظهار حال هولاء المنافقين في تثاقلهم عند عوتهم للجهاد،والثاني بتقدير حرف الجر وماصاحبه من معنى في إنكار تثاقلهم عند دعوتهم للجهاد.

المسألة الثانية: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

أوجه الإعراب:قوله: (يوم) ظرف يحتمل وجهين من الإعراب[2]:

الأول: ظرف على المعنى،الثاني:ظرف لمحذوف مقدر.

المعنى التفسيرى لأوجه الإعراب:

المعنى الأول: (يوم) ظرف منصوب بقوله: (بِعَذابٍ أليم)،أي: يعذبهم في ذلك اليوم، كأنه قيل: يبشرهم بعذاب أليم، يعذبهم الله به يوم يحمى عليها،فالأصل: (عذاب يوم)،و(عذاب) الثانية بدل من الأولى،فلما حذف المضاف أقام (يوم) مقامه،و(عليها) وفي موضع رفع؛ لقيامه مقام الفاعل،وقيل:القائممقام الفاعل مضمر،أي يحمي الوقود أو الجمر بها،أي بالكنوز،وقيل هى بمعنى فيها أي في جهنم[3].

المعنى الثاني: تحتمل (يوم) أن تكون ظرف لمحذوف مقدر،يدل عليه (عذاب) أي: يعذبون يوم يحمى عليها،أو بمحذوف تقديره (أذكر) يوم يحمى عليها،والمعنى: أذكر يوم يحمى عليها يقال لهم هذا ما كنزتم.

أثر الاختلاف النحوي في الآية:

أدى الاختلاف في إعراب (يوم) على تقدير الظرفية بالمعنى،على النصب لفعلٍ محذوف إلى ظهور معانٍ متنوعة تخدم التفسير.

المسألة الثالثة: قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]،**أوجه الإعراب:** قوله: (رضوا) تحتمل وجهين من الإعراب[4]:

الأول: جملة مستأنفة،لا محل لها من الإعراب،**الثاني:** الجملة في محل نصب حال.

(١) أبو حيان: البحر المحيط ٤٣/٥.

(٢) العكبري: التبيان في إعراب القران ٦٤٢/٢.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز٢٩/٣. أبو السعود: إرشاد العقل السليم ٤٠٤/٢.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط ٣٩/٥،ابن عادل الدمشقي:اللباب في علوم الكتاب ٨٠/١٠.

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب،المعنى الأول:(رَضُوا) فعل ماضي وفاعله،والجملة استنافيه،وهى جواب سؤال ينشأ عن علة استئذانهم في التخلف والقعود وهم أغنياء،فأجيب: بعثهم على ذلك رضاهم بأن يكونوا مع الخوالف[١].

والمعنى:رضيهولاء المنافقون الذين قيل لهم: آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله،أن يكونوا في منازلهم،مع الخوالف مع النساء اللاتي شأنهن القعود ولزوم البيت[٢].

المعنى الثاني: التنبيه على أن السبب في تخلفهم وهو رضاهم بقعودهم،والمعنى: فالذين أستأذنوك بالقعود،وهم قادرون على الجهاد حالهم أنهم رضوا لأنفسهم أن يطبق عليهم الحكم الذي يطبق على النساء،فهم لايفقهون مصالحهم،فلو فقهوا حقيقة الفقه،لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال،وفرحوا بهذا الوصف دون أن ينتبهوا لما فيه من إهانة لهم؛ لأنهم يهربون من القتال كما تهرب النساء[٣].

أثر الاختلاف النحوي في الآية:بدا الأثر واضحاً من خلال اختلاف وجوه (رضوا)،ففي أنَّها جملة مستأنفة ظهر المعنى في بيان علة استئذانهم في القعود،وفي المعنى الثاني بينت حالهم حيث رضوا لأنفسهم أن يطبق عليهم الحكم الذي يطبق على النساء بالقعود.

المسألة الرابعة: قال تعالى: ﴿... وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

أوجه القراءات:قوله: (وكلمة الله) فيها قراءتان[٤]:

القراءة الأولى: قرأ الجمهور برفع التاء،القراءة الثانية: قرأ يعقوب بنصب التاء.

المعنى التفسيري لأوجه القراءات:

معنى القراءة الأولى: قوله: (وكلمة الله) مرفوعة بالإبتداء و(هى العليا) مبتدأ وخبره،والابتداء والخبر خبر الأول،أو تكون (هى) فصلاً بين المبتدأ والخبر،وهو وجه الكلام،وأتم في المعنى،وأثبت في الأخبار؛ لأنَّ الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت،مع الإيذان بأنَّ الجعل لم يتطرق لتلك الكلمة[٥].

معنى القراءة الثانية: قوله: (وكلمة الله) قرأها يعقوب بنصب التاء،أي

(١) العبكري : التبيان في إعراب القران ٦٥٤/٢.
(٢) دعاس: إعراب القران الكريم ٤٧٤/١،ابن عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب ١٧٥/١٠.
(٣) السعدي: تفسير الكريم الرحمن ١/ ٣٦١.
(٤) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر،٢٧٩/٢.
(٥) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٠٥/١٠.

(وكلمة الله)،وذلك نسقاً على مفعولى (جعل)،والمعنى: وجعل كلمة الله هى العليا،فتكون كلمة الله عليا بجعل الله وتقديره،وجعل كلمة الشرك سفلى دنيئة حقيرة إلى يوم القيامة،وجعل كلمة الله وهى (لا إله إلا الله) فهى باقية إلى يوم القيامة[1]،وقيل:إن هذا الوجه ضعيف لوجوه [2] أولا: لأنَّ فيه وضع الظاهر موضع المضمر،ثانياً: إنّ فيه دلالة على أن كلمة الله كانت سفلى فصارت عليا،الثالث: إنّ توكيد مثل ذلك بقوله (هي) بعيد؛ إذ أنّ القياس أن يكون (إياها).

أثر الاختلاف النحوي: أفاد اختلاف القراءة في قوله: (وكلمة الله) مابين الرفع والنصب معاني متنوعة،فالرفع بالابتداء وما يفيده في ثبات الحكم وعدم تغيير حالها،وما أفاده الوجه الإعرابي الآخر الذي ظهر من حلال اختلاف القراءتين بقراءة النصب على المفعولية بأن تكون كلمة الله عليا بجعله وتقديره.

المسألة الخامسة: قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢]،أوجه الإعراب:

قوله: (أن أنذر) يحتمل وجهين من الإعراب:

الأول: في موضع نصب مفعول به لأوحينا،وبهذا تكون (أن) مصدرية.

الثاني: لا محل له من الإعراب،وذلك أن تكون (أن) تفسيرية بمعنى (أي).

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب .

المعنى الأول: (أن) هى التي تنصب الفعل المضارع؛ لأنها توصل بالماضي والمضارع والأمر،فوصلت هنا بالأمر؛ لأن الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سيان،فساغ وقوع الأمر،والمعنى: أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس،فهى في موضع نصب بنزع الخافض[3].

المعنى الثاني:(أن) هنا تفسيرية،و(أنذر) فعل أمر،وفاعله مستتر،والجملة تفسيرية لامحل لها من الإعراب،وهي مفسره لفعل (أوحينا)؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول[4].

أثر الاختلاف النحوي في الآية: أدى الاختلاف في أوجه الإعراب في قوله (أن أنذر) إلى تنوع المعنى من خلال التقديرات المصاحبة لهذه الأوجه،فإعرابها على أنها

(١) الرازي: التفسير الكبير ١٦/ ٧١.

(٢) ابن عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب ٩٧/١٠،السمين الحلبي: الدر المصون ٥٢/٦.

(٣) أبو السعود: إرشاد العقل السليم ٤٦٢/٢.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٨٤/١١.

مفعول به له معنى،وإعرابها على أنها مفسره للإيحاء له معنى آخر.

المسألة السادسة: قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ . . .﴾ [هود: ٢٧].

أوجه الإعراب: قوله: (اتبعك) يحتمل وجهين من الإعراب[١]:

الأول: الجملة في موضع نصب حال، وذلك إذا كان قوله (نراك) من رؤية العين.

الثاني: الجملة في موضع نصب مفعول به ثانٍ لـ (نراك) وذلك على معنى الرؤية القلبية.

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول: قوله (اتبعك) في موضع الحال من المفعول في قوله (نراك) إما على حاله،أو بتقدير (قد)،والمعنى: وما نراك متبوعاً إلا من الأراذل،أو مانراك قد اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس،دون الكبراء والأشراف فيما نرى ويظهر لنا[٢].

قالوا ذلك جهلاً منهم؛ لأنَّ الرفعة في الدين ومتابعة الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية[٣].

المعنى الثاني: (نراك) من رؤية القلب،و(اتبعك) في محل نصب مفعول ثانٍ،والكاف في (نراك) مفعول أول،والمعنى: إنه لم يميزك اتباع من اتبعك؛فيوجب علينا اتباعك؛ أنه لم يتبعك إلا الذين هم أراذلنا،وذلك القول لم يصدر عنهم جزافاً،بل بعد التأمل في الأمر والتدبر فيه، فهى رؤية قلبية علمية[٤].

أثر الاختلاف النحوي في الآية:احتملت جملة (اتبعك) في هذا الموضع وجهين من الإعراب،فتارة بالنصب على الحال وماتضمنه تقديرهمن أثر في المعنى،وتارة بالنصب على أنه مفعول به ثانٍ للرؤية وماصاحب هذا التقدير من المعنى.

المسالة السابعة: قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٣٧].

أوجه الإعراب:

قوله: (أهل) يحتمل وجهين من الإعراب:

الأول: منادى منصوب بالفتحة.

الثاني: منادى منصوب على المدح أو الاختصاص[٥].

المعنى التفسيري لاوجه الإعراب:

المعنى الأول: التقدير: يا أهل البيت وهو منصوب على النداء والقصد منه

(١) العكبري: التبيان في إعراب القران ٢/ ٦٩٤.
(٢) الطبرى: جامع البيان ٤/ ٢٧١.
(٣) الخازن: لباب التأويل ٣/ ٢٢٧.
(٤) الألوسي: روح المعاني٦/ ٣٧.
(٥) التبيان في إعراب القرآن : العكبري ٢/ ٨٠٧.

التخصيص،وللتنويه لهم بأن هذا الكلام الذي سيرد هو مكرمة لأهل البيت بيت خليل الرحمن،فالقصد منه التنبيه على عظم مكانة هذا البيت،والآية جملة دعائية من الملائكة لكم ياأهل هذا البيت.

المعنى الثاني: قوله: (أهل) منصوب على المدح والتعظيم أو التخصيص، والنصب على الاختصاص لابد أن يكون بفعل واجب الإضمار،والمعنى: أعني أو أمدح أو أخص أهل البيت،وكونه اختصاص لزيادة بيان المراد من ضمير الخطاب؛ لأن (أهل البيت) مدح لهم.

ويرى الباحث أن النصب على الاختصاص أولى من النداء؛ لأن في ذلك تفويتاً لمعنى المدح المناسب المقام.

أثر الاختلاف النحوي في الآية:

الكلمة التي لها أكثر من وجه إعرابي،تزيد المعاني التفسيرية، وتظهر أثر اللغة العربية ومرونتها، فقوله (أهل) مرةً تعني المدح والتعظيم، ومرةً تعني التنويه والتخصيص من خلال النداء.

الخاتمـــة

قد وصلت بحمد الله إلى خاتمة هذا البحث،وسأذكر النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة،وأختم بالتوصيات.

أولاً: **النتائج:**

١- اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم، وبها نزل، فالارتباط بينهما وثيق، ففهم القرآن وتدبر معانيه لا يتأتى إلا بفهم لغته.

٢- علم النحو والإعراب هو الأساس الذي تبنى عليه اللغة العربية.

٣- إنَّ علم الإعراب وُضع لتمييز المعاني المختلفة في العربية،وإيضاحها والدلالة المعنوية عليها.

٤- ظهر في هذا البحث أهمية علم النحو والإعراب بالنسبة لعلم التفسير،فلابد أن يكون المفسر،أو من يهتم بعلم التفسير عالماً بالعربية وبكل فنونها،وأولها فن النحو.

٥- بيان إعجاز القرآن الكريم في إيجازه، وكيف أن المفردة الواحدة تحتمل أكثر من مدلول تبعاً لاختلاف إعرابها.

٦- اختلاف حركات الإعراب في الكلمة الواحدة يُظهر أكثر من مدلول لمعنى الكلمة،مِمَّا يبين أثر علم النحو في التفسير.

ثانياً: **التوصيات:**

١- أوصي إخواني طلاب العلم الشرعى بالإقبال على كتاب الله -تعالى- وفهم معانيه وأحكامه،والاشتغال

بتعلم النحو والإعراب والاهتمام به،لما له من صلة وثيقة بالتفسير.

٢- أوصي الكليات والأقسام المتخصصة في هذا المجال،إقامة دورات علمية متقدمة في علم الإعراب؛ لأن ذلك سيؤدي إلى حفظ اللغة العربية والتي هي لغة القرآن الكريم من الخطأ واللحن.

وفي الختام أسأله تعالى أن يتقبل مني صالح الأعمال، وأن يتجاوز عن سيئاتي،إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١- الأصول في النحو،ابن السراج،تحقيق:عبد الحسين الفتلي،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

٢- الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي الشافعي،بعناية: خالد العطار،دار الفكر / بيروت، ط١ ،٢٠٠٣م.

٣- الاقتراح في علم أصول النحو،ال سيوطي،دار البروتي،دمشق،د.ط ،٢٠٠٦م.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،تفسير أبي السعود،دار الفكر.

٥- إعراب القرآن،أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس،تحقيق: دزهير غازي زاهد،عالم الكتب،ط:١٩٨٨،٣م.

٦- إعراب القرآن،المنسوب إلى الزجاج،تحقيق ودراسة: إبراهيم الأبياري،المؤسسة المصرية العامة،الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،١٩٦٤م.

٧- إعراب القرآن الكريم،قاسم حميدان دعاس،دار المنير / دمشق،١٤٢٥م

٨- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية / بيروت،ط١،٢٠٠١م.

٩- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن، مكتبة التوبة.

١٠- البرهان في علوم القرآن،بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم،مكتبة دار التراث / القاهرة.

١١- التبيان في إعراب القرآن،أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي،دار الجيل/ بيروت،ط:١٩٨٧،٢م.

١٢- التفسير الكبير،فخر الدين الرازي،للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بحطيب الريّ،دار الفكر /بيروت ط٢.

١٣- التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة / القاهرة، ط:٦/٢٠٠٦م

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر السعدي: قدم له عبد العزيز بن عبد الله بن عقيل،محمد صالح العثيمين،دار الحديث / القاهرة،ط:٢٠٠٥م.

١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن " تفسير الطبري " هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف،عصام الحرستاني،مؤسسة الرسالة / بيروت،ط:٢٠٠٢،١م.

١٦- الخصائص: أبوالفتح عثمان بن جني،تحقيق: محمد علي النجار،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط١٩٨٦،٣م.

١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي،دار المعارف، ط٢، د.ت.

١٩- كتاب التعريفات،الجرجاني،دار الكتب العلمية،بيروت،د.ط،د.ت.

٢٠- الكليات،معجم في المصطلح والفروق اللغوية،أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي،أعده للطبع ووضع فهارسه: د.عدنان درويش،محمد المصري،مؤسسة الرسالة / بيروت،ط١٩٩٣،٢م.

٢١- لباب التأويل في معاني التنزيل، تفسير الخازن،على الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن،دار الفكر،١٩٧٩م.

٢٢- اللباب في علوم الكتاب أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي / تحقيق وتعليق: الشيخ

عادل أحمد عبد الموجود،والشيخ على محمد معوض،دار الكتب العلمية،ط١٩٩٨،١م.

٢٣- لسان العرب،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،دار صادر/ بيروت / ط: ١.

٢٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية/ بيروت،ط: ١،١٩٩٣م.

٢٥- المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط،د.ت.

٢٦- مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ٢٠٠٩م.

٢٧- المفصل في علم العربية،أبو القاسم ابن عمر الزمخشري،فخر خوارزم،دار الجيل/ بيروت،ط٢.

٢٨- النشر في القراءات العشر،أبو الخير محمد بن عمر الدمشقي الشهير بإبن الجزري،أشرف على تصحيحه ومراجعته: على محمد الضباع.

٢٩- وفيات الأعيان،ابن خلكان،دار صادر بيروت،د.ط،١٩٧٢م.

البلاغة بين مراعاة مقتضى الحال والخروج عليه

الدكتور/ عزالدين علي مختار علي[1]

ملخص البحث

يهدف هذا البحث وفقاً لمنهج وصفي تحليلي استقرائي إلى الإجابة عن السؤال الذي يشير إلى أن البلاغة بلاغتان: إحداهما تراعي مقتضى الحال،وأخراهما تخرج عليه،وإلى تبيان أي هاتين البلاغتين أرفع مقاماً،وذلك من خلال أدوات إجرائية تتمثل في عرض النصوص النظرية بإضاءتها مرة،ومراجعتها مرة أخرى،وعرض النصوص القرآنية والأدبية مع تحليلها والوقوف على أسرارها البلاغية وخصائصها الجمالية لانزياحها عن النمطية التعبيرية،وانحرافها عن النسقية المعيارية. وخلص البحث إلى نتائج مثبتة في نهايته،كما تضمن عدداً من التوصيات وثبتاً بالمصادر والمراجع. أما الكلمات المفتاحية فهي: مقتضى الحال،مقتضى الظاهر،الانزياح أو الخروج عليهما.

Abstract

According to analytical descriptive approach, this research is aimed at answering the question indicating the two types of rhetorics: one takes the case into consideration and the other is out of it; and to explain which of these rhetorics highly ranked using aprocedual tools to review and shed alight to the theoretical literary texts; and to analyze the Quranic and literary texts in order to identify their rhetorical secrets and aesthetic characteristics because for its shifting away from the stereotypical expression and deviation from the systematic standard. The research concluded with proven results at the end of the research, as well as a number of recommendations along with the sources and references. The key words are: state (condition) prerequisite; deflection.

(١) أستاذ الأدب والنقد المشارك – جامعة النيلين.

المقدمـــــة

يحاول هذا البحث. وهنا تكمن أهميته. أن يعيد النظر في تعريف البلاغة التي قيل بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع أن هناك أساليب بلاغية لا تراعي مقتضى الحال بل وتخرج عليه،هادفاً من وراء ذلك إلى تبيان أن البلاغة ليست مستوى واحداً وإنما مستويات،وإلى تبيان المستوى الأرفع بلاغة منها،وإلى تبيان المقصود بالحال ومقتضى الحال،وإلى تبيان الفرق بين مقتضى الحال ومقتضى الظاهر،مستنداً في تحقيق هذه الأهداف إلى منهج استقرائي يستفتي النصوص الواصفة ويستقرئ النصوص المؤسسة بأدوات نظرية وإجرائية ولغوية،مشتغلاً على أربعة أساليب بلاغية واردة في متن البحث.

ويتنزل هذا البحث ليجيب عن السؤال الجوهري البلاغة أهي مراعاة لمقتضى الحال أم خروج عليه؟ ثم ليجيب عن أسئلة فرعية أخرى من قبيل: ما مفهوم الحال؟ وما مفهوم مقتضى الحال؟ وما مفهوم مطابقة الكلام لمقتضى الحال؟ وأيهما أرفع بلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال أم الخروج عليه؟ يحاول هذا البحث أن يقدم إجابات كافية عن كل هذه الأسئلة بشيء من التقصي والتجذير والتطبيق.

ولقد ترسخ في الحقل البلاغي تعريف بلاغة الكلام بأنها "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"(١)،فما المراد بالحال ومقتضى الحال اللذين وردا في هذا التعريف؟ إن المراد بالحال "الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص أي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هو مقتضى الحال مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيده والتأكيد مقتضاها"(٢).

ويبدو من خلال ما تقدم أنه ثمة ثلاثة عناصر: المتكلم وهو هنا البليغ والكلام المخصوص المطابق وهو هنا المقتضى ثم الحال الخارجي أو الموقف الذي يطابقه ذلك الكلام المخصوص. فإذا أردت أن أفهم مصطلح (مقتضى الحال) فلابد أن أنظر إلى صيغة المضاف (مقتضى) فأجدها بصيغة اسم المفعول فهو الكلام المخصوص بهذا الحال المعين وهذا الكلام المخصوص هو مقتضى الحال أي ما اقتضاه الحال المعين وعلى هذا يكون الحال مقتضيا (بصيغة اسم الفاعل) للكلام أن يأتي على هذا الأسلوب

(١) القزويني " الإيضاح في علوم البلاغة " دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢،٢٠١٠م،ص٢٠.

(٢) التفتازاني " المطول " دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢،٢٠٠٧،ص١٥٣.

المخصوص الذي هو المقتضى.

يقول الهاشمي في هذا الصدد موضحا كلا من الحال ومقتضاه " وحال الخطاب . ويسمى المقام . وهو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة والمقتضى . ويسمى الاعتبار المناسب . هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة مثلا . المدح . حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب،وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز،فكل من المدح والذكاء حال ومقام،وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى،وإيراد الكلام على صورة الإطناب والإيجاز مطابقة للمقتضى"(١).

أما فيما يتصل بمطابقة الكلام لمقتضى الحال فيبدو أنها قد انحصرت في فهم البلاغيين في مطابقته لحال المخاطب دون مطابقته لحال المتكلم،الأمر الذي حدا بأحد البلاغيين المعاصرين إلى أن يقول بأن المطابقة تعني في المقام الأول مطابقة حال المتكلم "والذي أريد أن أقرره أن المطابقة تعني أولاً المطابقة لحال النفس والشعور ولذلك يكون التهويل والكذب على النفس مخالفا للمطابقة وخارجا عن حد البلاغة.المطابقة إذن تعني الصدق والوفاء بما في النفس"(٢).

ولعل ما ذهب إليه أبو موسى من الأهمية بمكان ومن ثم ينبغي أن ينظر إليه بعين الاعتبار؛ لأن مراعاة المتكلم لمقتضى الحال وحده يجعل البلاغة مقصورة على مراعاة الموقف الخارجي الذي يتحكم في إضفاء صفة البلاغة فقط على الكلام الذي يراعي فيه صاحبه هذا الموقف الخارجي ولكن بالمقابل هذا المفهوم للبلاغة يجرد المتكلم منها ومما يتمتع به من ذوق وإحساس قادر على أن يجعل البلاغة تنحصر في الكلام ذاته دون أن يكون مطابقا لمقتضى الحال بل مطابقا لداخله النفسي وتقديره الشعوري في اختيار الأسلوب الفني الجمالي الذي يتعالى على مراعاة مقتضى الحال وحري بفلسفة البلاغة أن تتحرر من السجن الخارجي الذي حبست فيه نفسها أمدا طويلا أعني مراعاة مقتضى الحال الذي ظل مسيطرا على منح من يراعيه صفة البلاغة دون غيره . أن تتحرر من ذلك السجن من أجل أن تضفي صفة البلاغة كذلك على الكلام الذي لا يراعى فيه مقتضى الحال وعلى الكلام الذي يراعي فيه صاحبه شعوره

(١) السيد أحمد الهاشمي " جواهر البلاغة " المكتبة العصرية،بيروت،٢٠١٠،ص٤١.

(٢) د.محمد محمد أبو موسى "خصائص التراكيب" مكتبة وهبة،القاهرة،ط٢٠٠٦،٧،ص٧٢.

وإحساسه الداخلي.

فمن البدهي أن البليغ.وكذلك الشاعر.في كثير من الأحيان في تواصله لا يستهدف مجرد إفهام المتلقي المعنى الذي يريد أن يوصله إليه حين يراعي مقتضى الحال الذي يفرض عليه الكلام على عواهنه في حين أن شعوره الداخلي يفرض عليه أن يلقي الكلام في عبارة فنية تتحلى بالجمال والتأثير والإدهاش ففي هذه الحالة لمن يستجيب: للموقف الخارجي أم للموقف الداخلي؟ في تقديري أنه لابد أن يستجيب للموقف الداخلي النفسي الذي ينزع بالكلام إلى أن يؤدي وظيفة مزدوجة في نفس المتلقي تتمثل في الجمال والتأثير،تلك الوظيفة التي يعجز الكلام العادي أن يؤديها ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ " أن الخطب الرائعة والأشعار الرائقة ما عملت لإفهام المعاني فقط لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام وإنما يدل حسن الكلام،وإحكام صنعته،ورونق ألفاظه،وجودة مطالعه،وحسن مقاطعه وبديع مباديه،وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه"[1].

ومما يؤكد أن أبا هلال كان حريصا على هذين العنصرين: التأثير في نفس المتلقي عن طريق الجمال في التعبير هو تعريفه للبلاغة حيث عرفها بأنها " كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة؛ لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقاً لم يسم بليغاً وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى"[2].

فإذا أردت أن أقارن بين تعريف القزويني للبلاغة الوارد في صدر البحث وتعريف العسكري تجلى لي أن القزويني قد اشترط في بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال وأن العسكري قد اشترط الحال الداخلي والجمال الفني الذي عبر عنه بالمعرض الحسن والصورة المقبولة اللذين يتم بهما إبلاغ المعنى قلب السامع(التأثير) وتمكينه في نفسه كتمكنه في نفس المتكلم.

أخلص من ذلك إلى أن البلاغة قد تقتضي أحيانا مطابقة الكلام لمقتضى الحال وقد تقتضي أحيانا أخرى مطابقة المقتضى الشعوري لدى المتكلم الذي يشترط جمال العبارة وحسن الصورة وكلتاهما تعد بلاغة في بابها بل قد يتحد في كثير

(١) أبو هلال العسكري "الصناعتين" المكتبة العصرية،صيدا - بيروت،١٩٨٦،ص٥٨.

(٢) المصدر السابق،ص٤.

من الأحيان الموقفان الداخلي والخارجي فيأتي الكلام مطابقا لمقتضيهما وذلك ـ على سبيل المثال ـ حين " يكون المقام داعيا إلى التنويه برجل نتحدث عنه أي حين تنفعل نفسك بمآثره وأخلاقه تقول: هو الرجل،فتذكره معرفا بهذه الأداة التي تكسبه في سياق العناية به وصف الرجولة الصادقة الكاملة وكأنك توهم أن الرجولة بكل أوصافها تتحقق فيه ويشتهر بها حينئذ تقول: إن التعريف جاء مطابقا لمقتضى الحال أي مقتضى المقام لأن المقام يتطلب التنويه والإشادة لما هتفت دواعي النفس بذلك فوقع الكلام وفيه خصوصية تعين على إفادة هذا المعنى"[1].

ومن بداهة القول أن الشعر يعد الفن الأدبي الذي يخالف مقتضى الحال من ناحية ويطابق مقتضى الشعور من ناحية ثانية وذلك ـ على سبيل المثال ـ أن المرأة التي وصفها امرؤ القيس بنعومة الجسم وبضاضته لا يمكن أن تكون بالمستوى الذي عبر عنه في قوله[2]:

من القاصرات الطرف لو دب محول

من الذر فوق الإتب منها لأثرا

ومن ثم فإن امرأ القيس لم يطابق في كلامه الشعري مقتضى حال المرأة المتمثل في نعومة جسمها وإنما طابق مقتضى شعوره الذي أراه فوق ما رأى من هذه البضاضة فقد جعله يقول: (دب) ولم يقل (مشى) لأن الدبيب خفي لا يكون معه صوت ثم أثبت هذا الدبيب إلى محول أي نملة عمرها عام ثم بين من أي جنس هي بقوله (من الذر) أي من صغار النمل ثم لم يكن الدبيب من هذا النمل الصغير ذي العام الواحد على جسم المرأة مباشرة وإنما على ثوبها الحريري الرقيق ثم كان لهذا الدبيب مع كل هذه الأوصاف تأثير في جسم هذه المرأة الأمر الذي ينفي أن يكون حال هذه المرأة في لطافة جسمها ورقته متطابقا وهذا الكلام الشعري ومن ثم لم يبق إلا أن نذهب بالقول إلى أن هذا الكلام الشعري طابق فيه صاحبه شعوره وإحساسه الذي أراه نعومة جسم هذه المرأة على هذه الصورة التي فيها انحراف عما هو مألوف في بضاضة الجسم ورقته.

وصفوة القول في هذه المحطة من البحث أنه في كثير من الأحيان ولا سيما في الفن الشعري قد يراعى الشعور الداخلي أكثر من الحال الخارجي فيأتي الكلام

(١) د. محمد محمد أبو موسى "خصائص التراكيب" ص٧١.

(٢) امرؤ القيس "ديوانه" ص ٢١.

مخالفا للحال الخارجي مخالفة كبيرة ولكنه مطابق للشعور الداخلي مطابقة تامة فيكون الكلام بليغا جميلا مؤثرا لأن فيه خروجا على المألوف وانزياحا عن مطابقة مقتضى الحال وكسرا للمعيار بل إنني أرى أن مطابقة الكلام مطابقة كاملة للموقف الخارجي ليس من البلاغة في شيء أو على الأقل تعد بلاغة من الدرجة الثانية كما أذهب إلى أن مراعاة مقتضى الحال ينبغي ألا ينظر إليها على كونها شرطا في بلاغة الكلام كما هو سائد وإنما ينبغي أن ينظر إليها على أنها شرط في بلاغة المتكلم لأن الكلام قد يوصف بالبلاغة مع أنه لم يراع فيه مقتضى الحال.

إن البلاغة يمكن أن تصنف باعتبار المقام إلى مستويين: مستوى يراعي مقتضى الحال وهو مستوى معياري استنبط باستقراء كلام العرب وبه اقترن تعريف البلاغة عند كثير من البلاغيين ومستوى ذو شقين: شق تخرج فيه البلاغة عن مقتضى الحال وآخر تخرج فيه عن مقتضى الظاهر. أما فيما يتعلق بالمستوى الأول فقد أكد البلاغيون أن لكل مقام مقالا وأن مقامات الكلام متفاوتة " فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب... وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر "[1].

وهذا التفاوت في مقام الكلام ودواعيه يستوجب أن يختلف أسلوب المقال بحسب المقام ونوعه ويتجلى ذلك في عبارتهم "لكل مقام مقال" والمقام الوارد في هذه العبارة يعرف بالمقام الخارجي أو سياق الموقف أو المقام الاجتماعي الذي يقتضي مقالا أو كلاما يتلاءم معه ويتناسب. وهناك عبارة أخرى من الأهمية بمكان ترد مقرونة بتلك العبارة الأولى هي "لكل كلمة مع صاحبتها مقام"[2] وهي عبارة تشير إلى السياق الداخلي أو اللغوي بحيث تستدعي الكلمة أختها التي تناسبها هذا من جانب وهي عبارة ـ من جانب آخر ـ لا تفهم على أنها متحررة من مقتضى الحال الذي يقتضي مصادفة الكلام لما يليق به " فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريه عن مؤكدات الحكم وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن

(١) السكاكي "مفتاح العلوم" دار المكتبة العلمية،بيروت ـ لبنان،ط٢،٢٠١١،ص٢٥٦.

(٢) المصدر السابق،ص ٢٥٦.

الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره..."[1].

غير أني أذهب إلى أن المقام قد يتحكم في أن يكون الخطاب ملائما له أما أن يتسلط المقام في تفاصيل هذا الخطاب ودقائقه أي في نظم مفرداته وصياغة علاقاته التركيبية والدلالية فلا أتصور أن تبلغ سلطة المقام هذا الحد لأن صياغة هذه العلاقات من اختصاص المتكلم الذي لا محالة يختلف عن غيره في اختيار مفردات اللغة وطريقة تركيبها حين يكون المقام الذي يتحدثان فيه واحدا وهذا أمر معيش مشاهد ومهما يكن الأمر " فلقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة "[2].

وقد قسم البلاغيون الخبر باعتبار المخاطب إلى ثلاثة: ابتدائي ويلقى على مخاطب خالي الذهن وطلبي ويلقى على مخاطب حاله التردد وإنكاري ويلقى على مخاطب حاله الإنكار ومن هنا اختزلت البلاغة في أنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال أي في علم المعاني دون علمي البيان والبديع مع أن الكلام قد يخرج في كثير من الأحيان على مقتضى الحال أفلا يعد الخروج على مقتضى الحال بلاغة؟

إن الجواب عن هذا السؤال ينقلني إلى المستوى الثاني في شقه الأول حيث تتزاحم عدة مصطلحات تكاد تكون ذات مدلول واحد يأتي على رأسها: الخروج والعدول والانحراف والانزياح ويظهر أن الخروج على مقتضى الحال أمر عرضي طارئ ليس بأصل كمطابقة مقتضى الحال التي وقف البلاغيون عليها جهدهم وفي غضون هذا الاهتمام بمطابقة الكلام لمقتضى الحال أهمل الخروج على مقتضى الحال اللهم إلا من إشارات هنا وهناك وعندي أن كون خروج الكلام على مقتضى الحال أمرا عرضيا طارئا لا يعني أنه أقل درجة في البلاغة من الكلام

(١) المصدر نفسه،٢٥٦،٢٥٧.

(٢) د. تمام حسان " اللغة العربية معناها ومبناها" عالم الكتب،القاهرة،ط٣،١٩٩٨م،ص٣٣٧.

الذي يطابق مقتضى الحال لأن البلاغة تزداد سحرا وألقا ودرجة كلما انزاحت عن السائد والمألوف والنسق والمعيار.

وأسوق - تدليلا على ما أذهب إليه - نصا للسكاكي يشير فيه إلى هذا المستوى المهمل من البلاغة " هذا ثم إنك ترى المفلقين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام لا على مقتضى الظاهر كثيرا ذلك إذا أحلوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية وبلازم فائدتها علما محل الخالي الذهن عن ذلك لاعتبارات خطابية مرجعها تجهيله بوجوه مختلفة"(١).

واستقراءً لهذا النص الوجيز يلاحظ أن الانحراف بالكلام عن مقتضى الحال لا يقدر عليه إلا أولئك السحرة المفلقون الذين أوتوا موهبة وملكة في فن الكلام نثرا كان أو شعرا تمكنهما أن يأتوا بالعجيب من الكلام حتى كأنه نفث السحر وذلك لأنهم ينفثون الكلام في مخاطبهم على وجه لا ينبغي أن يكون له كأن يخاطبوا العالم بغرضي الخبر الرئيسين فائدته ولازم فائدته: خطاب الخالي الذهن بحيث يأتي الكلام ابتدائيا يخلو من كل ما يوحي بأن الكلام لا يتوجه إلى عالم بفائدة الخبر ولازم فائدته على الحقيقة وإنما يتوجه إلى من هو خالي الذهن فيكون ثمة افتراق وتباين بين الخطاب ومقتضى الحال.

ويبدو أن الداعي إلى ذلك لا يرجع بطبيعة الحال،إلى سياق الموقف أو الحال الخارجي وإنما يرجع إلى موقف المتكلم الشعوري من أجل تحقيق غايات معنوية ونفسية وفنية وذلك لسبب وجيه يتمثل في ان المتكلم إذا كان قد راعى مقتضى الحال لجاء كلامه متطابقا معه غير أنه لم يراع مقتضى الحال بل راعى مقتضى حاله هو المتمثل في شعوره وذهنه ومن هنا يمكن أن أقول إن المتكلم حر في الاختيار - اختيار أن يطابق كلامه مع مقتضى الحال أو اختيار أن يخالف كلامه مع مقتضى الحال ويعد المتكلم - وكذلك كلامه - بليغا في كلا الاختيارين.

" وكذلك قد ينزل منزلة المنكر من لا يكون إياه إذا رأوا عليه شيئا من ملابس الإنكار فيحوكون حبير الكلام لهما على منوال واحد كقولك لمن تصدى لمقاومة مكاوح (مقاتل) أمامه غير متدبر مغترا بما كذبته النفس من سهولة تأتيها له: إن أمامك مكاوحا لك...ويقلبون هذه القضية مع المنكر إذا كان معه ما إذا تأمله ارتدع عن الإنكار فيقولون لمنكر الإسلام الإسلام حق"(٢).

(١) السكاكي " مفتاح العلوم " ص٢٥٦.

(٢) المصدر السابق،ص٢٦٢-٢٦٣.

يتناول النص هذه المرة إنزال غير المنكر منزلة المنكر وإنزال المنكر منزلة غير المنكر ومن المعلوم بداهة أن المنكر يخاطب بخطاب يختلف في طبيعته عن الخطاب الذي يخاطب به غير المنكر ولكن عند إنزال أحدهما منزلة الآخر يلقى الخطاب عليهما على منوال واحد بحيث يجوز أن يتوجه إليهما معا فإذا كان المخاطب منكرا ولكن المتكلم أنزله منزلة غير المنكر جاء كلامه وكأنه موجه إلى المنكر أي بلا تأكيد وإذا كان المخاطب غير منكر ولكنه أنزل منزلة المنكر جاء الكلام وكأنه موجه إلى المنكر أي بتأكيد فإذا روعي في الأول مقتضى الحال توجه الخطاب إلى غير المنكر وإذا لم يراع توجه إلى المنكر وإذا روعي في الثاني مقتضى الحال توجه الخطاب إلى المنكر وإذا لم يراع توجه إلى غير المنكر.

إذن الخطاب المصوغ على نسق واحد ولم يكن مراعى فيه مقتضى الحال احتمل أن يكون موجها إلى مخاطبين يختلفان حالا وموقفا وإذا كان مراعى فيه مقتضى الحال تعين أن يكون موجها إلى مخاطب خاص. استنادا إلى ذلك التحليل يمكن أن أخلص إلى أن صاحب الخطاب المصوغ على نسق واحد المحتمل أن يكون موجها إلى مخاطبين يختلفان موقفا وحالا أرفع بلاغة من نظيره صاحب الخطاب الموجه إلى مخاطب خاص وأن خطاب ذلك الأول أصعب في تحليله وتأويله من خطاب الأخير.

ويعود السبب في هذه الصعوبة - في ظني - إلى أن الخطاب المحتمل لمخاطبين مختلفين موقفا وحالا يحتاج منا في تحديد المخاطب به إلى معرفة السياق الخارجي المتصل بالأحوال والقرائن والأمارات اللفظية والمادية والحالية التي تتصل بالمخاطب من قريب أو بعيد والتي تكشف لنا عن أن صاحب هذا الخطاب قد ساقه إلى هذا مساقه إلى ذلك لأن كل أولئك يدلنا على أن هذا الخطاب أو ذاك قد خرج على مقتضى الحال وأن صاحبه قد أنزل مخاطبه منزلة مخاطب آخر أضف إلى ذلك ما يحدثه هذا النمط الكلامي في النفوس والعقول من أثر حين تقع على كلام يخاطب به غير مخاطبه أو يرسل إلى غير صاحبه ومن ثم فمن " المؤكد أن افتقاد المقام يؤدي إلى ورود مفردات متناثرة لا تمثل مقالاً بالمعنى اللغوي أو بالمعنى البلاغي؛ لأنها لم توضع في سياق يربط بين أجزائها بحيث تؤدي في النهاية معنى معيناً ،وعلى هذا لو قمنا

بتحليل هذه المفردات من حيث مستوى الصوت أو الصرف أو النحو،أو من حيث علاقة اللفظ بمدلوله فلن نصل أبداً إلى دلالة محددة لافتقاد السياق أو المقام الذي يعطي البعد المكاني،وافتقاد الحال الذي يعطي البعد الزماني للصياغة"(١).

ولعل السبب في إهمال هذا المستوى من البلاغة وعدم التركيز عليه يرجع إلى أنه مستوى لا يقوم على أصول ولا يستند إلى معايير محددة ولا يعتمد على قواعد مضبوطة مقررة كما هو الشأن في المستوى الذي تراعى فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال الأمر الذي جعل البلاغيين يدورون في فلك هذا المستوى ويهملون المستوى المضاد الذي لا تراعى فيه المطابقة لمقتضى الحال مما يؤكد أن البلاغة العربية ما زالت حبيسة في سجن المعيارية والشكلانية والصناعة وهذه جميعا لا تستطيع أن تتحكم في المستوى المضاد لأنه لا يستند إلى قاعدة أو قانون يمكن تقعيده كما صنعوا بالمستوى الأول.

كذلك مما يقوي صعوبة هذا المستوى الذي ينزاح عن مقتضى الحال أنه " فن لا تلين عريكته ولا تنقاد قرونته بمجرد استقراء صور منه وتتبع مظان أخوات لها وإتعاب النفس بتكرارها واستيداع الخاطر حفظها وتحصيلها بل لابد من ممارسات لها كثيرة ومراجعات طويلة مع فضل إلهي من سلامة فطرة واستقامة طبيعة وشدة ذكاء وصفاء قريحة وعقل وافر"(٢).

وأما فيما يتصل بالشق الثاني من هذا المستوى وهو ما يخرج الكلام فيه على مقتضى الظاهر فينبغي أن أشير إلى التفريق بين مصطلح (مقتضى الحال) ومصطلح (مقتضى الظاهر) فأقول إن بينهما خصوصا وعموما وذلك أن مصطلح (مقتضى الظاهر) أخص من مصطلح (مقتضى الحال) فما مفهوم مقتضى الظاهر؟

يبدو أن المراد بـ (مقتضى الظاهر) المعنى الذي يدل عليه ظاهر التركيب النحوي وهو ما يعرف بالمعنى النحوي أو المعنى المقالي وإذا كان هذا المراد بـ(مقتضى الظاهر) فإن المراد بالخروج على مقتضى الظاهر أن يدل الكلام على معنى آخر غير المعنى النحوي يستفاد من القرائن والأحوال والظروف التي أحاطت بالكلام وهنا يكون للكلام معنيان أو أكثر: معنى قريب يدل عليه الكلام بظاهر مفرداته المركبة التي تقتضي هذا المعنى وهو ما يعرف

(١) د. محمد عبد المطلب "البلاغة والأسلوبية" الشركة المصرية العالمية،القاهرة،ط١٩٩٤،١،ص٣٠٨.

(٢) السكاكي " مفتاح العلوم،ص٢٦٣.

بالمعنى الأول ومعنى بعيد لا يوقف عليه من خلال ظاهر الكلام وإنما عن طريق المعنى الأول الذي تجد فيه معنى ثانيا تصل إليه بالاستدلال كما هو الشأن في المجاز والكناية أو عن طريق المقام الذي صاحب إنتاج الكلام وهذا يعرف بالمعنى الثاني وهذا يعني " أن للنحو دلالات مجردة هي معانيه وأحكامه وأنها معان أول تنجز في المقام المخصوص فيتولد منها معان ثوان اقتضاها ذلك المقام المخصوص فالمعاني الأول نحوية لفظية مقالية والثواني نحوية سياقية مقامية مقالية أو بلاغية أو هي بحسب المحدثين تداولية"[1].

وعلى ضوء ذلك التحليل فإن المعنى الثاني الذي يخرج إليه التعبير لا يمكننا أن نصل إليه بفك الشفرة اللغوية لهذا التعبير وتبيان علاقة الكلمة بأخواتها فهذا التشريح يصل بنا إلى المعنى الأول ولكن بالوقوف على الموقف الخارجي الذي يقال فيه هذا التعبير إذ هو يفرض على هذا التعبير أن يخرج على مقتضى ظاهره وأن يشير ـ من ثم ـ إلى المعنى الثاني المقصود.

أحب أن أعطي مثالا حيا متداولا في السودان قد طرق الأسماع كثيرا في الآونة الأخيرة وهو قولهم "فلان يكسر الثلج" فإن المعنى الأول المباشر لهذا التعبير هو إثبات تكسير الثلج لفلان هذا غير أن المراد ليس هذا المعنى الأول خاصة أن هذا التعبير أصبح يقال في سياق معين هو مكان العمل الرسمي الذي لابد فيه من رئيس ومرؤوس حيث يقال عن الثاني إنه يكسر الثلج للأول فيخرج الفعل (تكسير الثلج) من الفعل الحسي المباشر إلى فعل ذهني معنوي لأن من يقوم بتكسير الثلج هنا لا يقوم به فعلا ومباشرة وإنما يقوم به قولا وتزلفا وتملقا ونفاقا فكأن انزياح هذا التعبير عن سياقه إلى سياق العمل الرسمي تبعه انزياح عن معناه الأول إلى معناه الثاني.

بعد هذا التقديم،يجدر بي أن أخصص الأساليب التي فيها خروج أو انزياح عن مقتضى الظاهر والتي يبغي هذا البحث دراستها دراسة تحليلية ذلك لأن الحيز المتاح لهذا البحث لا يسعف بدراسة تستوعب كل الأساليب التي فيها انزياح أو انحراف عن مقتضى الظاهر لأن ذلك يعني دراسة البلاغة كلها إذ تقوم معظم مباحثها على أساس الانزياح بمعناه الواسع[2]. ومن هذه الأساليب التي يريد

(١) د.خالد ميلاد "الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة" المؤسسة العربية،تونس،ط١،٢٠٠١،ص٣٨٦.

(٢) ينظر د. يوسف أبو العدوس "الأسلوبية . الرؤية والتطبيق" دار المسيرة،عمان .

البحث أن يعنى بدراستها ما يلي:

١. انزياح الخبر عن مقتضى الظاهر.

٢. انزياح الإنشاء عن مقتضى الظاهر.

٣. التعبير بالماضي عن المستقبل.

٤. التعبير بالمستقبل عن الماضي.

١. انزياح الخبر عن مقتضى الظاهر:

لقد عرفنا في محطة سابقة من هذا البحث انزياح الخبر عن مقتضى الحال بأن يخاطب بغير ما ينبغي أن يخاطب به لأن المتكلم أنزله منزله مخاطب آخر أما في هذه المحطة فنريد أن نتعرف على انزياح الخبر عن مقتضى الظاهر. فمن المفروغ منه أن للخبر عند إلقائه غرضين أصيلين هما فائدة الخبر ولازم الفائدة ولكن كثيرا ما يخرج الخبر إلى معان وأغراض تستنبط عن طريق تحليل المقامات والقرائن والسياقات التي تكتنف الخبر.

إن الأغراض والمعاني التي يخرج إليها الخبر من الكثرة والتعدد والكثافة بحيث لا يمكن أن يحاط بها حصرا ومن ثم ينبغي ألا يعتد بمحاولة البلاغة القاعدية حصر هذه المعاني والأغراض ومما يؤخذ على البلاغة القاعدية كذلك أنها تكتفي بذكر مثال أو شاهد لكل معنى دون أن تعمل على تحليل هذا الشاهد أو ذاك بغية أن تضع يد الباحث على الطريقة التي يمكن بها أن يصل إلى المعنى الذي خرج إليه الخبر في هذا المثال أو ذاك الأمر الذ جعل البلاغة تؤول إلى مجرد صناعة كالنحو تماما فتخرج جيل على يدي هذه البلاغة القاعدية عاجز من جانبين: عاجز عن أن ينشئ كلاما بليغا وعاجر عن أن يحلل كلاما بليغا،وهما - في ظني - الوظيفتان الجوهريتان المبتغتان من تدريس البلاغة إما أن تخرج بليغا مبدعا أو أن تخرج بلاغيا محللا.

فعلى سبيل المثال فقد ذكر أحمد الهاشمي إظهار الضعف بوصفه معنى أو غرضا انحرف إليه الخبر ثم ذكر مثالا لهذا الغرض قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]،وقد اكتفى بهذه الطريقةِ في جميع المعاني التي خرج إليها الخبر[١] دون تحليل يكشف عن أن هذه الأخبار قد انزاحت عن مقتضاها الظاهر.

أقول إن هذا البحث مهمته أن يضطلع بذلك المنهج - منهج التحليل فإذا نظرنا في الآية وجدناها تخاطب ربَّ العزة على لسان زكريا عليه السلام ويستشف من توجيه الخطاب أو الخبر إلى ربِّ العزة أن الخبر

(١) ينظر السيد أحمد الهاشمي "جواهر البلاغة" ص٥٦.

قد خرج بداهة عن غرضيه الأساسين: فائدة الخبر؛ لأن ربَّ العزة أعلم بحال رسوله حتى قبل أن يخاطبه،ولازم الفائدة لأن الخبر في بنيته اللغوية لا يستند إلى ضمير المخاطب الذي يوحي بأن المخاطب يعلم بحاله وبأنه علم أن المتكلم عالم بحاله كذلك. ويلاحظ أن الخبر في هذين الغرضين ينتقل من الذات إلى الآخر أو من الداخل إلى الخارج وليس الأمر كذلك في الآية فإن الخبر يخرج من الذات المتكلمة ليرتد إليها مرة أخرى وإذا كان الأمر كذلك فإن الغرض من الخبر غرض ذاتي شعوري يتمثل في تعبير المتكلم عن ضعفه وخشوعه ووحدته وقلة حيلته يتجلى ذلك في النداء الخفي الذي يوحي بالانكسار والتذلل والخضوع والتضرع بين يدي الله قبل أن يسأله شيئا وقد فعل زكريا كل ذلك ثم ذكر مسألته المتمثلة في قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً﴾ [مريم: ٥].

٢. انزياح الإنشاء عن مقتضى الظاهر:

كذلك من الأساليب التي تنحرف عن مقتضى الظاهر أسلوب الإنشاء الطلبي الذي تندرج تحته أربعة أساليب هي: الاستفهام والأمر والنهي والنداء فإن كل أسلوب من هذه الأساليب يخرج عن معناه الحقيقي إلى عدد من المعاني والأغراض الأخرى التي يوقف عليها بقراءة السياق الذي يكتنف الخطاب أو المقال قراءة عميقة شاملة وبما أن البحث لا تسمح طبيعته بأن يستقصي المعاني التي يخرج إليها كل أسلوب فإنه سيقتصر على أسلوب واحد هو الاستفهام عسى أن يكون في تناوله غنية عن بقية الأساليب بوصفه تناولا يستهدى به.

إن مفهوم الاستفهام الحقيقي أو الاصطلاحي هو"طلب الفهم وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به"[١]. لقد اشتمل هذا المفهوم على شرط جوهري لا يكون الاستفهام على حقيقته إلا به هذا الشرط هو جهل المتكلم بما يستفهم أو يسأل عنه فما هو الشرط في خروج الاستفهام عن مقتضاه الظاهر؟ أقول جوابا عن هذا السؤال إن الشرط هنا عكس الشرط هناك وهو علم المستفهم بما يستفهم عنه " فمعرفة المخاطب بأن ما ورد السؤال عنه معلوم للمتكلم غير مجهول هي الدليل على أنه يبتغي من هذا الأسلوب غرضا آخر وهذا يبدي أن تحليل هذه الأساليب واكتشاف معانيها لا يتأتى في حال فصلها عن

(١) د. فضل حسن عباس "البلاغة فنونها وأفنانها . علم المعاني" دار الفرقان،عمان . الأردن،ط١٩٨٩،٢،ص١٦٨.

الأطراف التي يتداول بينهم هذا الأسلوب لكونها السبيل إلى التوصل إلى المعاني التي عبرت عنها فلولا افتراض أن المخاطب يعلم أن المتكلم لا يجهل ما يسأل عنه لما كان من الممكن أن يفهم أن الاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى غيره"[1].

ولا ريب أن المتلقي غير المباشر لا يمكن أن يتوصل إلى المعاني التي يخرج إليها الاستفهام بمجرد معرفته لهذا الشرط الأول المتمثل في علم المستفهم بما يستفهم عنه ولا بمجرد تشريح التركيب المنجز الذي يتضمن الاستفهام أي الاكتفاء بسياق المقال وحده وإنما لا بد من أن يصاحبه سياق المقام بمفهومه الشامل الأمر الذي يساعد في التوصل إلى المعنى وتجذيره في العقل والقلب معا وحين يكتفي المحلل البلاغي بمثل هذا النظر الفوقي السطحي يفشل في تعيين المعنى المنشود فقد فشل الهاشمي في اقتناص معنى الاستفهام الوارد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]،إذ ذهب إلى أنه الوعيد[2].

وعندي أن هذا المعنى إذا أمعنا النظر لا يستقيم مع الآية من وجهين:

الأول: أن الوعيد معنى لا يكون إلا في المستقبل والآية تلفت النظر إلى حدث عقابي ماض.

الثاني: أن المخاطب هو رسولنا عليه الصلاة والسلام ومن ثم لا يقع في تصور مسلم أن الوعيد موجه إليه. صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا فإن المعنى المراد - في رأيي - من الاستفهام الوارد في الآية هو التقرير والتثبيت والتذكير والتطمين لأنه قد علم - عليه السلام - بما حل بعاد عن طريق الوحي ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١].

هذا،والتقرير الذي ينزاح إليه الاستفهام يأتي بمعنيين "بمعنى التحقيق والتثبيت وقد يقال بمعنى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه"[3] ويعرفه ابن هشام قاصرا إياه على المعنى الثاني المذكور في النص السابق بأنه "حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه ويجب أن يليها الشيء الذي يقرره به تقول في التقرير بالفعل: أضربت زيدا؟ وبالفاعل: أأنت ضربت زيدا؟ وبالمفعول: أزيدا ضربت؟

(١) د. بان الخفاجي "مراعاة المخاطب في النحو العربي" دار الكتب العلمية،بيروت. لبنان،٢٠٠٨،ص٢٥٩.

(٢) ينظر أحمد الهاشمي "جواهر البلاغة" ص٨٤.

(٣) التفتازاني "المطول" ص٤١٩.

كما يجب ذلك في المستفهم عنه"[1].

ويبدو لي أن التقرير حين يأتي بمعنى التحقيق والتثبيت والتأكيد فإن هذه المعاني تكون من قبل المتكلم الذي يريد أن يثبت هذه المعاني في ذهن المخاطب ويحققها ويؤكدها مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]،فإن الله تعالى أراد أن يثبت هذا المعنى في قلب الرسول الكريم ويحققه ويقويه في نفسه ويؤكده ويمن عليه بذلك أي بأن شرح له صدره عليه السلام ومثله قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]،فإن فرعون يريد أن يذكر موسى عليه السلام بهذه التربية ويثبتها في عقله ويؤكدها ويقويها ويحققها ويمن بها عليه ولعل التقرير يكون بهذا المعنى حين يكون الفعل صادرا من المتكلم أو حين يكون المتكلم فاعلا له إذ فاعل الشرح في الآية الأولى هو الله وفاعل التربية في الآية الثانية هو فرعون.

أما حين يأتي التقرير بمعنى حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف فإن المخاطب يكون متهما في نظر المتكلم بأنه مرتكب الفعل ولذا يعمد المتكلم إلى إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب بغية أن يحمله على الإقرار والاعتراف بأنه مرتكب الفعل " فإن قلت: أأنت فعلت ذلك كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل يبين ذلك قوله تعالى حكاية عن قول نمرود: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]،لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ولكن أن يقر بأنه منه كان وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم " أأنت فعلت هذا " وقال هو عليه السلام في الجواب بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب (فعلت أو لم أفعل) "[2].

٣. التعبير بالماضي عن المستقبل:

من المعلوم أن الإخبار عن الحدث الماضي يقع في زمان بعد زمان وجوده حيث تتحد بنية الفعل ودلالته في الدلالة على الزمان الماضي غير أن بنية الفعل الماضي كثيرا ما تخرج عن دلالتها الصرفية على الزمن الماضي إلى الدلالة على المستقبل وذلك حين يحتويها سياق يشعر بمعنى المستقبل ويحدث حينئذ انفصال بين بنية الفعل ودلالته فتظل البنية ماضية ولكن تصبح من حيث المعنى دالة على المستقبل

(١) ابن هشام الأنصاري " مغني اللبيب " دار الطلائع،القاهرة،١/ ٤٠.

(٢) عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز" دار المعرفة،بيروت.لبنان،ط١٩٩٤،١، ص٨٩.

وهو ما يعرف بالتعبير بالماضي عن المستقبل أو بخروج الفعل عن مقتضى الظاهر. ومن السياقات التي تخرج الفعل الماضي من دلالته على الزمن الماضي إلى الدلالة على الزمن المستقبل ما يلي:

أ/ سياق الطلب:

إن سياق الطلب ينحرف بالفعل الماضي إلى الدلالة على المستقبل لأن مفهوم الطلب هو أن يطلب تحصيل ما ليس بحاصل وسأقصر الحديث على الدعاء بوصفه واحدا من أنواع الطلب والدعاء معناه "طلب فعل شيء أو الكف عنه بشرط أن يكون في الحالتين من أدنى لأعلى"(١).

هذا،والفعل الماضي الدال على الدعاء ومن ثم على المستقبل يأتي بطريق الإثبات كأن نقول: غفر الله لك وبطريق النفي كأن نقول: لا نامت أعين الجبناء ففي المثال الأول ندعو للمخاطب طالبين من الله أن يغفر له وفي المثال الثاني دعونا على الجبناء طالبين بألا تنعم أعينهم بالنوم والفعل الماضي في كلا المثالين دال على المستقبل لأن الدعاء من الطلب و هو طلب تحقق أمر لم يكن متحققا عند الدعاء كالغفران أو طلب ألا يتحقق أمر كان متحققا قبل الدعاء وعنده كطلب ألا تهنأ أعين الجبناء بالنوم وقد يكون الدعاء للمخاطب نحو قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]،وللغائب نحو قوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]،وللمتكلم نحو: غفر الله لي. ويأتي الدعاء على ضربين: الدعاء بالخير نحو: رحمك الله والدعاء بالشر نحو: أخزاه الله.

"ومن آية القصد في اللغة ألا يحتاج الفعل هنا إلى النقل من صيغة الماضي إلى الحاضر لأن المعنى بالبداهة معلق بالاستقبال وفي بقائه على صيغة الماضي يشعر بقوة الأمل في الاستجابة كأن ما يرجى أن يكون قد كان وأصبح من المحقق المستجاب و لاشك أن هذا المعنى مقصود لأنه لم يأت عن عجز في اللغة ولا يمتنع على قائل أن ينقله إلى صيغة المضارع إذا شاء"(٢).

غير أن التعبير عن الدعاء بصيغة المضارع لا يفيد ما يفيده التعبير عنه بصيغة الماضي لأن التعبير الأول ليس فيه خروج على مقتضى الظاهر بعكس التعبير الثاني هذا من ناحية،ولأن التعبير

(١) عباس حسن " النحو الوافي " دار المعارف،القاهرة،ط٤،٢٠٠٨،١٤/٣٦٨.

(٢) العقاد " اللغة الشاعرة" نهضة مصر،القاهرة،١٩٩٥م،ص٦٦.

الأول . من ناحية. لا يشعر بأن ما يرجى أن يكون قد أصبح في حكم المستجاب المحقق إذ الإشعار بهذا المعنى اللطيف يختص به التعبير الثاني لأن فيه انحرافا عن مقتضى الظاهر من زاويتين: من زاوية كونه انحرافا بالفعل الماضي عن دلالته على الزمن الماضي إلى الدلالة على الزمن المستقبل،من زاوية كونه انحرافا عن التعبير بالخبر إلى الإنشاء إذ تعبير كهذا ينظر إليه على أنه خبر من حيث بنيته السطحية ولكنه إنشاء أو دعاء من حيث بنيته العميقة فهو ماض وخبر ومستقبل وإنشاء في آن واحد فهو إذن تعبير يتسم بتعدد المعنى: مستقبل في حكم الماضي وإنشاء في حكم الخبر وماض في حكم المستقبل وخبر في حكم الإنشاء ومن ثم فإن "خروج القول من صيغة الإخبار إلى صيغة الإنشاء فيه تقوية أشد لدرجة التأكيد إذن ثمة سلمية تحكم قيس حالة المخاطب الذهنية فيرد القول مستجيباً لها على المقتضى المطلوب"[1].

ب/ سياق الحديث عن الأمور المحتم حدوثها:

إن كل مطلع على القرآن الكريم يجده يصدق هذا السياق في كثير من آياته لا سيما حين يتناول يوم القيامة وأهواله فلنقف مستعرضين بعضا من هذه الآيات حتى ينجلي الأمر.

١. قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

يلاحظ أن الفعل (أتى) من حيث الصيغة فعل ماض ولكن من حيث الدلالة مستقبل وثمت قرينة صرفت هذا الفعل من دلالته على المضي إلى الدلالة على المستقبل هي الجملة بعده (فلا تستعجلوه) التي تمنع أن يفهم الفعل الماضي (أتى) على ظاهره إذ يستحيل أن يستعجل ما مضى وولى وإنما الذي يستعجل ما سيأتي أو ما لم يأت بعد ولقد أسند الفعل الماضي إلى فاعله (أمر الله) الذي لم يأت بعد لأنه محتم أن يأتي وبما أنه كذلك عبر عنه بصيغة الماضي فهو لحتمية إتيانه غدا في حكم الذي أتى.

وقد ينظر إلى التعبير عن المستقبل بالماضي في هذا السياق من زاوية أخرى فها هو ابن الأثير يقول عن هذا التعبير: "وفائدته أن الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه كان ووجد وإنما يفعل ذلك إذا

(١) د. صابر الحباشة "مغامرة المعنى . من النحو إلى التداولية" دار صفحات،دمشق،ط١،٢٠١١،ص٤٣. ٤٤.

كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"[1].

ولعل أهم ما في هذا النص إشارته إلى أمرين:

الأول: الغرض من الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل ويتمثل في التأكيد على تحقق هذا الفعل المستقبل وأنه بمنزلة الفعل الماضي في حصوله.

الثاني: السياق الذي يرد فيه التعبير ويتمثل في كون الفعل المستقبل من الأمور العظيمة التي يستعظم وجودها ولا يتصور وقوعها.

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ • وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٩-٧٠].

كل هذه الأفعال أو الأحداث في هذه الآية لم تقع بعد ولكن صياغتها تنقلها إلى المحيط الذي وقع وذلك تأكيدا على حتمية وقوعها إذ هي من الأفعال العظيمة التي يستعظم الناس وجودها ولا يتصورون حدوثها فجاء التعبير عنها بالفعل الماضي لئلا يشك أو يفكر في إمكان وقوعها إذ "ليس من شك في أن صيغة الماضي ألقت على الأحداث طابع الحكاية المروية وكأن ذلك قد وقع وأنت تسمع تلك القصة التي تملأ قلبك إشفاقا وخشية هذا الأسلوب لا يدعك تفكر في إمكان وقوع الأحداث كما يكون الحال لو جاء بصيغة المضارع وإنما يدعك تفكر في الأحداث حين صيرها واقعا يروى ونقلها من الممكن الذي سيكون "[2].

فهو مشهد مستقبلي لم يوجد بعد ولكنه سيوجد حتما لذا عبر عنه بصيغة الماضي فنقل ما سيكون إلى ما كان ثم تأمل هذه الأفعال المتوالية المبنية للمجهول (وضع . جيء . قضي . وفيت) الأمر الذي يشعر بأن هذه الأفعال قد فرغ منها تماما وفي سرعة خاطفة وكأني بالبناء للمجهول يزيد في دلالة الماضي على المضي والانقضاء وبالتالي على الحدوث.

خلاصة الأمر أن القصد من الانزياح في التعبير عن المستقبل بالفعل الماضي هو " أن هذه الأحداث متحققة الوقوع مقطوع بحصولها بمنزلة الفعل الماضي فكما أنه لا شك في حدوث الفعل الماضي الذي تم وحصل كذلك لا شك في حدوث هذه الأفعال إذ هي بمنزلة الفعل الماضي في تحقق الوقوع "[3].

(١) ابن الأثير " المثل السائر" دار الكتب العلمية" بيروت. لبنان،ط١، ١٩٩٨، ١/٤١٩.

(٢) د. محمد محمد أبوموسى "خصائص التراكيب" ص٢٦٨.

(٣) د. فاضل صالح السامرائي " معاني النحو" شركة العاتك،ط٣، ٢٠٠٣، ٢/٢٧٢.

٤/ التعبير بالمستقبل عن الماضي:

يأتي هذا التعبير على عكس التعبير السابق غير أن كليهما بليغ لأن فيهما انحرافا عن مقتضى ظاهرهما فالتعبير بالمستقبل عن الماضي أبلغ من التعبير عنه بالمضارع والتعبير بالماضي عن المستقبل أبلغ من التعبير عنه بالفعل الماضي لأن التعبيرين المفضولين ليس فيهما انزياح عن مقتضى الظاهر وقد سبق أن قلنا إن التعبير الذي فيه خروج على مقتضى الظاهر أبلغ من الذي في تطابق معه.

" اعلم أن الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي "(١).

إن في التعبير عن ماض بمضارع ما ليس في التعبير عن ماض بماض لأن في التعبير الثاني مجرد إخبار عما مضى دون أن يتضمن أي معنى آخر في حين أن التعبير الأول يتمتع بقدر من البلاغة والإبلاغ إذ القصد منه ليس مجرد الإخبار عما مضى إذ لو كان القصد منه مجرد ذلك لجاء التعبير عنه بالفعل الماضي لا بالفعل المضارع فإذا كان ذلك كذلك كان لا بد أن يكون من وراء التعبير بالمضارع عن الماضي غرض أو معنى بلاغي فما هو ؟ هذا المعنى أو الغرض هو أن الفعل المضارع يوضح الحال التي وقع فيها الحدث ويستحضر هيئته حتى كأن المتلقي يشاهد الحدث ويعايشه ويتفاعل معه لأن المتكلم يكون قد ألقى بالمخاطب في قلب الحدث ولولا هذا الانزياح في التعبير بالفعل الماضي عن الماضي إلى التعبير عنه بالمضارع لما كان هذا المعنى إذ كل انزياح عن تعبير إلى تعبير آخر لا بد أن يكون وراءه غرض أو معنى بلاغي ولنضرب على هذا التعبير مثالا واحدا في كل من القرآن والشعر والنثر.

أ/ القرآن الكريم:

يشيع التعبير بالمضارع عن الماضي في القرآن الكريم كثيرا من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

من ملاحظة سريعة يتجلى أن السياقين السابق واللاحق للفعل (تثير) ماض مما يؤكد أنه عدل إليه عن ماض هو (أثارت) لغرض بلاغي هو استحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة

(١) ابن الأثير " المثل السائر" ٤١٦/١.

أي "صورة إثارة السحاب مسخرا بين السماء والأرض على الكيفية المخصصة والانقلابات المتفاوتة وذلك لأن المضارع مما يدل على الحال الحاضر الذي من شأنه أن يشاهد كأنه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة ليشاهدها السامعون ولا يفعل ذلك إلا في أمر يهتم بمشاهدته لغرابة أو فظاظة أو نحو ذلك"(١).

ب/ الشعر:

ومن ذلك قول تأبط شرا:

بأني قد لقيت الغول تهوي
بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت
صريعاً لليدين وللجران

"فإنه قصد أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها مشاهدة للتعجيب من جراءته على ذلك الهول ولو قال (فضربتها) عطفا على الأول لزالت هذه الفائدة المذكورة... ألا ترى لما قال تأبط شرا (فأضربها) تخيل للسامع أنه مباشر للفعل وأنه قائم بإزاء الغول وقد رفع سيفه لضربها وهذا لا يوجد في الفعل الماضي لأنه لا يتخيل السامع منه إلا فعلا قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه"(٢).

ج/ النثر:

ومن ذلك حديث الزبير بن العوام - رضي الله عنه - في غزوة بدر فإنه قال: " لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لأمة كاملة لا يرى منه إلا عيناه وهو يقول: " أنا أبو ذات الكؤوس وفي يدي عنزة فأطعن بها في عينه فوقع وأطأ برجلي على خده حتى خرجت العنزة متعقفة "(٣).

يقول أبو موسى تعليقا على هذا الحديث: "الأفعال في هذه القصة كلها قد وقعت قبل زمن حكايتها ولكن الحاكي - رضي الله عنه - عبر عن بعض هذه الأحداث بصيغة المضارع التي تشير إلى أن الحدث يقع الآن قال (وأطعن بها في عينيه) وكان قياسه أن يقول (فطعنته) كما قال (لقيت عبيدة) ولكن هذا الجزء من المعنى - أعني طعنه هذا الفارس المستلئم الذي كان مدلا باقتداره - عمل جليل من الزبير رضي الله عنه - فحرص على إبرازه واستحضار صورته شاملة يراها من يسمعه من خلال العبارة التي استطاعت أن تنقل مشهد الحدث من واقعه الذي عبر إلى مقام الحضور وكذلك قوله (أطأ) "(٤).

ونستجلي من عرض هذه

(١) التفتازاني "المطول" ص٣٤١.
(٢) ابن الأثير "المثل السائر" ٤١٨/١.
(٣) المصدر السابق،٤١٧/١.
(٤) د. محمد محمد أبو موسى "خصائص التراكيب" ص٢٦٤، ٢٦٥.

النصوص أن الإخبار عن الأحداث التي فيها جاء بعد زمن حدوثها أي أنها أحداث ماضية وقعت وانقضت وولت غير أن المتكلم في غضون الإخبار رأى أن يعبر عن بعضها بصيغة الفعل المضارع مما يشعر أنها أحداث تتسم بقدر من الخصوصية والتميز بوصفها مستغربة أو مهمة عند المتكلم ومن ثم عبر عنها بصيغة المضارع من أجل أن يجعل المخاطب يزداد تفاعلا مع الحدث وكأنه يعايشه ويشاهده يحدث بين يديه وأمام ناظريه حيا مستحضرا من ماضيه الغابر.

ولا يسعني في منتهى هذا البحث الذي لا أدعي له الوصول إلى المبتغى المنشود فهو مازال مفتوحا إلا أن أثبت النتائج التي تمخض عنها في النقاط التالية:

١- إن التعريف السائد للبلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته فيه نظر؛ لأن مراعاة مقتضى الحال ينبغي ألا ينظر إليها على أنها شرط في بلاغة الكلام وإنما ينبغي أن ينظر إليها على أنها شرط في بلاغة المتكلم إذ الكلام قد يتسم بالبلاغة مع أنه لم يراع فيه مقتضى الحال؛ ولأنه من زاوية أخرى تعريف قصر البلاغة على علم المعاني دون أن يشمل العلمين الآخرين: علم البيان وعلم البديع.

٢- إن البلاغة باعتبار المقام ذات مستويين: مستوى يراعي مقتضى الحال وهو معياري به اقترن تعريف البلاغة عند كثير من علمائها،ومستوى ذو شقين: مستوى فيه خروج على مقتضى الحال وآخر فيه خروج على مقتضى الظاهر وأن هذا المستوى بشقيه أرفع بلاغة من المستوى الأول.

٣- إنه ثمة فرق جوهري بين مصطلحي (مقتضى الحال) و(مقتضى الظاهر) مطابقة وانزياحا مع أن بينهما علاقة عموم وخصوص فمقتضى الحال مصطلح يحيل إلى سياق الموقف الخارجي الذي يجوز أن يراعى وألا يراعى ومقتضى الظاهر مصطلح يحيل إلى السياق اللغوي الداخلي الذي يجوز أن يكتفى بظاهره وأن يخرج عليه فقد يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال ولكنه مخالف لمقتضى الظاهر أو يكون مخالفا لمقتضى الحال ولكنه مطابق لمقتضى الظاهر أو يكون

مخالفا أو مطابقا لهما معا.

٤- إن انزياح الكلام عن مقتضى الحال المتمثل في إنزال مخاطب منزلة مخاطب آخر لم يأخذ حظه في الحقل البلاغي من الدرس والتحليل والاستقصاء كما أخذ الكلام المطابق لمقتضى الحال وذلك لأنه مستوى من البلاغة لا تستطيع البلاغة المعيارية القاعدية أن تخضعه للتقنين والتقعيد.

٥- هناك صلة عضوية وطيدة جدا بين الأساليب التي فيها انزياح عن مقتضى الظاهروالمعاني الثواني ذلك أن هذه الأساليب تتسم بهذه المعاني الثواني المتعددة الهاربة.

٦- إن البلاغة الفنية تستهدف غايتين جوهريتين: الأولى خلق جيل بليغ مبدع له مقدرة فائقة في إنتاج كلام بليغ والثانية خلق محلل بلاغي ذي ذوق رفيع لماح يستطيع أن يوقفنا على مواطن البلاغة التي نعجز عن استجلائها في كثير من النصوص الحية الرفيعة.

التوصيات

من التوصيات التي يمكن أن يوصي بها هذا البحث في ضوء النتائج التي خلص إليها ما يأتي:

١. مراجعة مقولة أن البلاغة نضجت حتى احترقت؛ لأنها مقولة تصادر التجديد والتفكير والبحث،ولعل ما يدحض هذه المقولة ظهور مصطلح البلاغة الجديدة.

٢. تخصيص دراسة عن التعبير بالماضي عن المستقبل في القرآن الكريم خاصة؛ وذلك لأن هذا الأسلوب يعد سمة بارزة فيه.

٣. تدريب الطلاب ـ نفياً للتلقين ـ على تذوق النصوص الأدبية الرفيعة، واكتشاف أسرارها البلاغية، ومواطن الجمال فيها.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير – "المثل السائر" دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢. ابن هشام الأنصاري – "مغني اللبيب" دار الطلائع،القاهرة، (د. ط).

٣. أبو هلال العسكري – "الصناعتين" المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٩٨٦م.

٤. أحمد الهاشمي – "جواهر

البلاغة" المكتبة العصرية، صيدا . بيروت،٢٠١٠م.
٥. بان الخفاجي – "مراعاة المخاطب في النحو العربي" دار الكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٨م.
٦. التفتازاني – "المطول" دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢،٢٠٠٧م.
٧. تمام حسان – "اللغة العربية معناها ومبناها" عالم الكتب،القاهرة،ط٣،١٩٩٨م
٨. خالد ميلاد – "الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة" المؤسسة العربية،تونس،ط١،٢٠٠١م.
٩. السكاكي – "مفتاح العلوم" دار المكتبة العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١١م.
١٠. صابر الحباشة – "مغامرة المعنى . من النحو إلى التداولية" دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١،٢٠١١
١١. عبد القاهر الجرجاني – "دلائل الإعجاز" دار المعرفة،بيروت،ط١،١٩٩٤م.
١٢. عباس حسن – "النحو الوافي" دار المعارف،القاهرة،ط١٤،٢٠٠٨م.
١٣. العقاد – "اللغة الشاعرة" نهضة مصر،القاهرة،١٩٩٥م.
١٤. فضل حسن عباس – "البلاغة فنونها وأفنانها . علم المعاني" دار الفرقان،عمان،ط٢،١٩٨٩م.
١٥. فاضل صالح السامرائي – "معاني النحو" شركة العاتك،ط٢،٢٠٠٣م.
١٦. القزويني – "الإيضاح في علوم البلاغة" دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢،٢٠١٠م.
١٧. محمد عبدالمطلب – "البلاغة والأسلوبية" الشركة المصرية العالمية،القاهرة،ط١،١٩٩٤م.
١٨. محمد محمد أبو موسى – "خصائص التراكيب" مكتبة وهبة،القاهرة،٢٠٠٦م.
١٩. يوسف أبو العدوس – "الأسلوبية. الرؤية والتطبيق" دار المسيرة،عمان، ط٧،٢٠٠٧م.

قضـايا تصـريف الأفعـال فـي قـراءة ابـن عامـر

دكتور/ ياسر أحمد عثمان البشير (١)

المستخلص

تناولت الدراسة حياة ابن عامر والأفعال الثلاثية المجردة التي قرأها بالتجريد مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ [البقرة: ٩]،بينما قرأها غيرُه بالزيادة مثل نافع وابن كثير(يخادعون) كما أشارت إلى القلب المكاني في الفعل إذ إن الميزان هو فَعَلَ إلا أن بعض الأفعال ورد مخالفاً لهذا الترتيب مثل أيس على وزن عفِل من يئِس على وزن فعِل وناء على وزن فلع من نأى على وزن فعل كما تطرقت للفعل الثلاثي المزيد سواء أكان بحرف أو حرفين و الفعل الماضي والمضارع والأمر والجامد والمتصرف وتوكيد الفعل بنون التوكيد و إسناده إلى الضمائر.

هدفت الدراسة إلى مقارنة التوجيه الصرفي لقراءة ابن عامر مع القراءات الأخر و اتبعت المنهج الوصفي التحليلي من خلال تناول الآيات وتحليلها.

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها أن ابن عامر لم يكن قارئاً فقط بل كان مجوداً وصرفياً فذاً.

Abstract

This study attempts to investigate the life of Bin Ammer and the three infinitive verbs ,which he said it infinitively without any addition such as the says of Allah in verse of Quran: (*only deceive themselves*) [Al-Baqarah: 9] ,in spite of being said by other scholars such as Naafi and Bin Khatheer (*yukhadiuoon*) and also the study showed the change the place of the verb ,because the form of the verb faala ,but there are some verbs came in contrary to it such as Ayassa in the form of faala ,which came from Ayeesa in the form of Faila and Naa in the form of Faala it came from Naai in the form of faila ,also the study discussed the verb with three letters which can be followed by one letter or two letters and past verb ,present verb ,command verb ,transitive verb and intransitive verb also twakid the verb with Noon Twakid and Snadahwo to the pronouns. Also the study showed the comparison of Bin Ammer`s reading with other readings.The study a adopts the descriptive analytical method.The results showed that Bin Ammer was not a reader only but also was a good grammarian.

(١) أستاذ النحو والصرف المساعد/ كلية التربية سنجة - جامعة سنار.

مقدمـــــة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وخلق الإنسان وعلمه البيان وسهّل القرآن على لسان الإنسان وجعله ميسراً ليتلوه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار،ويتدبر معانيه ويعمل بما فيه من أحكام. فقد اخترت اختلاف القرّاء في الصرف لأنه يقرب المعنى، ويربط الكلمات بعضها ببعض، واختلاف القراءات فيها يسهل المعنى واللفظ.

أسباب الاختيار:

١- رغبتي في معرفة المزيد عن القارئ الفذ ابن عامر.

٢- تناوله لأهم القضايا الصرفية المتمثلة في الأفعال في قراءته.

الأهداف:

تتمثل أهم الأهداف فيما يأتي:

١- التوجيه الصرفي لقراءة ابن عامر مقارنةً مع القراءات الأخرى.

٢- التسهيل للدارسين والباحثين لمعرفة بعض النواحي الصرفية في قراءة ابن عامر.

المنهج:

المنهج الوصفي التحليلي.

الهيكل:

تكوّن البحث من مقدمة وأربعة مباحث، الأول: بعنوان حياة ابن عامر، بينما جاء الثاني بعنوان: الأفعال المجردة و المزيدة،والثالث: صوغ المضارع والأمر،والرابع: الفعل الجامد والمتصرف وتوكيد الفعل وبناؤه لغير الفاعل وإسناده إلى الضمائر.

المبحث الأول

حياة ابن عامر

اسمه ونسبه: هو:عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي (بضم الصاد وكسرها)، نسبة إلي يحصب[١]. يتصل نسبه بالقبائل القحطانية اليمنية التي نتوقع أنها نزحت قديماً إلى الشمال، وهي قبائل متأصلة في العروبة، فهو عربي النسب، قال أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد المتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة: وليس في القرَاء السبعة من العرب غيره (يقصد ابن عامر) وغير أبي عمرو والباقون هم موال"[٢]، ويكنى أبا عمران على الأشهر كما ذكر ابن الجزري[٣].

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، القاهرة، ١٩٨٢ م (١/٤٢٣، ٤٢٤).

(٢) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ١٩٦٦م، ص٦.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/٤٢٤).

مولده: اختلفت الكتب في السنة التي وُلِد فيها (ابن عامر) فتذكر بعض المراجع أنه وُلِد في السنة الثامنة للهجرة[١]، بينما يرجح البعض أنه وُلد في السنة الحادية والعشرين للهجرة[٢]. ولكن ابن الجزري ينقل عن خالد بن يزيد قوله: سمعت عبد الله بن عامر اليحصبي يقول: وُلِدتُ سنة ثمان من الهجرة في البلقاء[٣]. بضيعة يقال لها رحاب[٤]. وقُبِض رسول صلى الله عليه وسلم ولي سنتان وذلك قبل فتح دمشق، وانقطعتُ إلي دمشق بعد فتحها ولي تسع سنين[٥].

نشأته وثقافته: انتقل إلى دمشق بعد فتحها، وهو في التاسعة من عمره[٦] بدأ يتعلم القرآن ويحفظه ويتلقاه مشافهة عمَّن لقيهم من الصحابة، حتى أتمَّ حفظ القرآن كُلَّه، ولا شك أنه استفاد من معارف عصره الدينية من تفسير للقرآن الكريم، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ووقف أيضًا على ما كان في هذا العصر من معارف لغوية،وقد شهدت حياة ابن عامر جمع القرآن الكريم على يد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

مكانته وفضله: يُعد ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة: كعثمان بن عفان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، وهو عربيٌّ صريح من صميم العرب فكلامه حجة، وقد قرأ بما تلقى وتلقن، وسمع ورأى. قال ابن الجزري: "ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة"[٧]، وقد حُظِي بمكانة علميّة مرموقة في عهد بني أمية، فقد كان إمام أهل الشام في القراءة، وإليه انتهت مشيخة الإقراء فيها، كما تولى إمام الجامع بدمشق، وكان ناظراً على عمارته حتى فرغ لا يرى فيه بدعة إلا غيَّرها، أهتم به الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو أعدل خلفاء بني أمية[٨]. في عهد الوليد بن عبد الملك تولى

(١) شرح الشاطبية لأبي القاسم علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح ١٣.
(٢) الوافي في شرح الشاطبية تأليف عبد الفتاح عبد الغني القاضي دار السلام للطباعة والنشر ص ١٩.
(٣) البلقاء: أرض بالشام، وقيل: مدينة. لسان العرب (٣٤٧/١).
(٤) الرحاب في الأودية، الواحدة (رحبة) وهي مواضع متواطئة يستنقع فيها الماء، وهي أسرع الأرض نباتاً تكون عند منتهى الوادي وفي وسطه. لسان العرب جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صابر بيروت، (١٦٠٦/٣).
(٥) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٤٢٥/١).
(٦) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٤٢٥/١).
(٧) لنشر في القراءات العشر لابن الجزري تحقيق علي محمد الضياع، دار الفكر للطباعة والنشر (٢٦٣،٢٦٤/٢).
(٨) حجة القراءات اعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م، ص ٥٦.

ابن عامر قضاء دمشق[١]. وهذه المكانة العالية التي وصل إليها ابن عامر قد أهلته لها صفاته الخُلُقية والعقلية التي تمتع بها.

وفاته: تُوفي في يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة ومائة للهجرة ، رحمه الله تعالى[٢].

مَن أخذ عنهم القراءة: يُعد ابن عامر أقرب الأئمة السبعة في القراءات إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو ينتمي إلى الجيل الذي تلا جيل الصحابة وهو جيل التابعين ، ومن ثم يمكن القول بأنه أخذ القراءة عن الصحابة الذين ثبت لقاؤهم به في الشام ، وهؤلاء الصحابة أخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه أخذ القراءة عن بعض الذين أخذوا عن الصحابة ، وقال أبو بكر بن مجاهد المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة: "كان عبد الله،يقصد عبد الله بن عامر، قد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ، وأخذها المغيرة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه "[٣] كما أخذ القراءة عن عدد من الصحابة،منهم أبو الدرداء، و فضالة بن عبيد ، وعثمان بن عفان ، وواثلة بن الأسقع ، وقيل: قرأ على معاوية ، وقيل قرأ على معاذ وإن كان ابن الجزري يُضعّف أخذه عن معاذ، ولا يصحح أخذه عن معاوية ، ويستبعد أخذه عن عثمان مباشرة[٤].

مَن أخذوا عنه القراءة: أخذ القراءة عن ابن عامر خلق كثير ، فقد تولى الإقراء في دمشق بعد المغيرة ، من هؤلاء التلاميذ: إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي أبو عبد الحميد، كان فقيهاً فاضلاً ورعاً،و خالد بن يزيد بن صبيح أبو هاشم المري ،قاضي البلقاء ،و سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي، فقيه دمشق في عصره، ويحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى بن سليمان بن الحارث أبو عمرو ، فهؤلاء ممّن أخذوا عن ابن عامر ، لأنه كان مقرئ أهل الشام،

(١) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ، ص٥.

(٢) لمفردات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية ، ص ١٧٧٢، غاية النهاية (٤٢٥/١) ويمكن الرجوع إلي ترجمة ابن عامر في المراجع الآتية الطبقات الكبرى محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي،٢٠٠١ م (٤٤٩/٧) ، تذكرة الحفاظ لأبي شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م (١٠٣/١) ، سير أعلام النبلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الفكر بيروت (٢٩٢/٥) ، تهذيب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (٢٧٤/٥).

(٣) السبعة في القراءات أحمد بن موسى بن العباس التميمي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ص ٨٥.

(٤) نظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٤٢٤/١).

فتتلمذ عليه الكثيرون بها.

راوياه: كل قارئ من القرَّاء تهذبت قراءته واكتملت على يد اثنين ممَّن نقلوا عنه القراءة ، وراويا ابن عامر اللذان استقرَّت عندهما قراءته واشتهرا عنه هما: هشام،وابن ذكوان ، ولكن لم يرويا عنه القراءة مباشرة بل بواسطة سند صحيح. فأما هشام فقد أخذ القراءة عن عراك بن خالد المتوفى قبيل المائتين للهجرة ، وعراك بن خالد أخذ القراءة عن أيوب بن تميم المتوفى سنة تسع عشرة ومائتين للهجرة، وأيوب بن تميم أخذ القراءة عن يحيى بن الحارث الزماري عن ابن عامر(١).

طرق ابن عامر إذا كانت قراءة ابن عامر قد عُرِفت من خلال راوييه هشام وابن ذكوان، فروايتا هشام،وابن ذكوان قد عُرفت من خلال طريقين ، وكلٌّ أُخِذ عن الراوي يسمى طريقاً، فأما رواية هشام فمن طريقين: **الأول**: طريق أحمد بن يزيد الحلواني. **الثاني**: طريق أبي بكر محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان الدجواني الرملي الضرير(٢).

وأما رواية ابن ذكوان فمن طريقين كذلك **الأول**: طريق أبي عبد الله بن هارون بن موسى بن شريك الثعلب ، المعروف بالأخفش الدمشقي. **الثاني**: طريق أبي عباس محمد بن موسى بن عبد الرحمن بن أبي عمّار الصوري الدمشقي وكان مشهوراً بالضبط ، معروفاً بالإتقان ، وتُوفي سنة سبع وثلاثمائة بدمشق(٣).

توثيق قراءة ابن عامر: يتبين ممَّا سبق من الكلام الفرق بين القراءة المتواترة وغيرها من القراءات الشاذة أو الضعيفة،إن قراءة ابن عامر متواترة؛ لأنها من القراءات السبع المجمع على تواترها وتلقيها بالقبول ، ولأن مقاييس القراءة الصحيحة من موافقة للعربية والرسم العثماني وصحة السند تنطبق عليها انطباقاً تاماً. وفيما يلي سأدخل إلى قراءة ابن عامر لتحليلها على ما اشتملت عليه من ظواهر صرفية.

المبحث الثاني
الأفعال المجردة و المزيدة

ينقسم الفعل إلى مجرد ومزيد:

فالمجرد: ما كانت جميع حروفه أصلية،

(١) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، ص ١٣،١٤.

(٢) لطائف الإشارات عبد الكريم بن عبد الملك القشيري تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١ / ١٣٣.

(٣) لطائف الإشارات عبد الكريم بن عبد الملك القشيري تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب(١/١٣٦).

ولا يسقط منها حرف في جميع تصاريفه إلا لعلة تصريفية. والمزيد: هو ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية[1].

وقد اصطلح علماء الصرف على أن أصول الفعل ثلاثة هي: "الفاء، والعين، واللام" وهو ما اصْطُلحوا على تسميته بالميزان الصرفي.

الفعل المجرد قسمان:

١- مجرد ثلاثي ٢- مجرد رباعي.

أما الأفعال الرباعية المجردة في القرآن فليست موضع خلاف بين القرّاء ، ولذلك فإني أتناولُ الأفعال الثلاثية المجردة التي قرأها ابن عامر بالتجرد، بينما قرأها غيره بالزيادة. وفيما يلي أذكرُ أمثلة لها مع ذكر أوزانها حسب ورودها في سور القرآن: فممَّا قرأه ابن عامر من الأفعال بالتجرد ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ [البقرة: ٩]،فقد قرأها ابن عامر والكوفيون (يَخْدَعون) بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف قبلها ،على حين جاءت قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو (يُخادعون) بضم الياء وزيادة ألف بعد الخاء[2]، فعلى قراءة ابن عامر والكوفيين يكون الفعل من (خَدع) بفتح الدال وهو مجرد ، ولعل القراءتين هنا بمعنى واحد، فيكون الفعل (خادع) بمعنى خدع ، وإلى هذا ذهب أبو علي الفارسي فقال: "وحجة من قرأ (يخدعون) أن فاعل بمعنى فعل فيما فسره أهل اللُّغة، ويدلُّ على صحة ما ذهبتُ إليه قوله تعالى في الآية الأخرى، في صفة المنافقين أيضاً: ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]،وعلى هذا تكون القراءتان بتجرد الفعل وزيادته بمعنى واحد[3]، وممَّا قرأه بالتجرد أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]،فقد قرأ شعبة،وحمزة،و الكسائي،وخلف العاشر (يَطَّهَّرن) بفتح الطاء والهاء مع التشديد فيها من (تَطَهَّر) ، وقرأ الباقون وفيهم ابن عامر (يَطْهُرن) بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع (طَهُر) بضم الهاء[4]، وهو ثلاثي مجرد لازم من باب "شَرُف " بوزن "فَعُل " بضم العين،وممَّا قرأه بالتجرد أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]. فقد قرأ الكوفيون (وكَفَّلها زكريا) بتشديد الفاء، فتعين لابن عامر،

(١) تصريف الفعل للدكتور أمين السيد، دار المعارف مصر، ص ٣٨.

(٢) سراج القارئ المبتدئ المعروف بشرح ابن القاصح ، ص ١٨٨.

(٣) الحجة في علل القراءات للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود (٢٣٧/١).

(٤) المستنير في تخريج القراءات المتواترة للدكتور محمد محيسن (٦٢/١).

ونافع، وابن كثير، وأبي عمرو أن يقرءوا "بتخفيف الفاء"[1] أي: بتجرد الفعل الماضي الثلاثي وهو "كفل"، كما جاء الفعل مجرداً أيضاً على قراءة ابن عامر و غيره في قوله تعالى: "عَميت" بفتح العين وتخفيف الميم المكسورة[2] فيكون الفعل مجرداً على وزن "فَعِل" بكسر العين من باب "فَرِح" و قرأ حفص،وحمزة،و الكسائي،وخلف العاشر: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، "عُميت" بضم العين وتشديد الميم المكسورة،قال الفرَّاء في معنى القراءتين: "سمعتُ العرب تقول: (عُمِّي على الخبر، وعُمِي بمعنى واحد)[3].

يتضح من هذه الأمثلة أن أوزان الفعل الثلاثي المجرد ثلاثة:(فعَل) بفتح العين نحو:(خَدَع ، ذَكر، سَحَت) ، (فعِل) بكسر العين نحو:(عمِي)، (فعُل) بضم العين نحو (طهُر).ولا تخرج الأفعال الثلاثية المجردة في حالة الماضي عن هذه الأوزان الثلاثة، وقد ورد في قراءة ابن عامر في الآيات السابقة ما يتوافق مع هذه الأوزان.

وزن الماضي المجرد مع مضارعه: للفعل المجرد الثلاثي باعتبار الماضي مع المضارع ستة أبواب: لأن عين المضارع إما مضمومة ، أو مفتوحة ، أو مكسورة، وثلاثة في ثلاثة بتسعة يمتنع منها كسر العين في الماضي مع ضمها في المضارع، وضم العين في الماضي مع كسرها أو فتحها في المضارع ، فإذن تكون أبواب الثلاثي ستة:(فعَل يفعُل) بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع، (فعَل يفعِل) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع ، (فعَل يفعَل) بفتح العين في الماضي والمضارع، (فعِل يفعَل) بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، و(فعِل يفعِل) بكسر العين في الماضي والمضارع ، (فعُل يفعُل) بضم العين في الماضي والمضارع[4]. هذه هي الأوزان المستعملة في العربية. وممّا جاء في باب (فعَل يفعُل) بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع على قراءة ابن عامر قوله تعالى (يَعْرِشُونَ) و(يَعْكُفُونَ)[5]، فقد قرأ حمزة، والكسائي، وخلف بكسر الراء والكاف في كلٍّ من يعرِشون ويعكِفون، وقرأ الباقون بضم الراء والكاف في

(١) شرح ابن القاصح ، ٢٢٣.
(٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٢٨).
(٣) معاني القرآن (٢/١٢).
(٤) شذا العرف في فن الصرف للأستاذ أحمد الحملاوي من ص ٢٩ إلي ٣٢.
(٥) الأعراف ١٣٧، ١٣٨.

الفعلين وهي قراءة ابن عامر[١]، والضم والكسر في عين هذين الفعلين لغتان واردتان عن العرب ، والفعل الأول مضارع (عرَش) بفتح الراء، والثاني مضارع (عكَف) بفتح الكاف. و إن كسر عين الفعلين لغة أسد ، و الضم لغة باقي العرب[٢].

ومن هذا الباب أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، فقد قرأ نافع،وابن عامر،و الكسائي (يصُدون) بضم الصاد في موضع الكسر عند الباقين[٣]، أي كسر الصاد، وأنه بمعنى الضجيج بدليل صحبة (منه) للفعل، قال: ولو كان بمعنى الصدود لكان الأفصح أن يصحب الفعل (عنه) لا (منه)، لأن المستعمل من الكلام (صد عنه) لا (صد منه) ، فلما كان الكلام (منه يصدون) دلَّ على أنه عن الصدود بمعزل وأنه بمعنى الضجيج ، ولو كان من الصدود لكانت "إذا قومك عنه يصدون" أو "منه يصدون عنك"، وحجة من يضم ذكرها الكسائي فقال: "هما لغتان لا تختلفان في المعنى[٤].

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٧١).
(٢) المستنير في تخريج القراءات المتواترة للدكتور محمد محيسن (١/٢٣٧).
(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ، ص ٦٥٢، ط٤.
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٥٢، ط٤.

وممَّا يقوي احتجاج الكسائي لقراءة الضم ما رواه الفرَّاء عن العرب فقال: " العرب تقول: يصِد ويصُد (بكسر الصاد وضمها) ويشِد ويشُد، وينِم وينُم من النميم بالكسر والضم (فيصدون منه وعنه سواء)[٥]، وممَّا جاء في باب "فعَل يفعَل" بفتح العين فيهما: الفعل "يقنط" وهو في قوله تعالى (وَمَنْ يَقْنَطُ) [الحجر: ٥٦]، وقوله تعالى: (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) [الروم: ٣٦]، وقوله تعالى: (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) [الزمر: ٥٣]، فقد قرأ الكسائي، وأبو عمرو بكسر النون من "يقنِط" في هذه الآيات ، وقرأ الباقون بفتح النون وهي قراءة ابن عامر كما وردت قراءتها بالضم[٦]. قال الألوسي: " وماضيه مثله في التثليث"[٧] أي: بفتح النون وكسرها وضمها، جاء في لسان العرب: " قنَط – يقنِط – قنوطاً " بفتح النون في الماضي وكسرها في المضارع مثل: جلس يجلِس جلوسًا، وقنط يَقْنَط قنْطاً وهو قانط بكسر النون في الماضي وفتحها في المضارع مثل يئَس، وقد نقل ابن منظور عن ابن جني قوله: (قنَط يقنَط) بفتح النون فيهما (كأَبَى يأبَى)، وفيه لغة أخرى قنِط يقنَط

(٥) معاني القرآن (٣/٣٧).
(٦) التفسير الكبير المسمى البحر المحيط (٥/٤٥٩).
(٧) تفسير روح المعاني للألوسي (٤/٣١٣).

قنَطا بكسر النون في الماضي وفتحها في المضارع والمصدر مثل تعِب يتعَب تعَباً"[1]، فمن ذلك يتبين أن الفعل "يقنط" يجئ من أربعة أبواب من باب "جلس يجلس جلوساً"، ومن باب: "يئس ييأس يأساً" ومن باب: "تعب يتعب تعباً"، ومن باب "أبى يأبى، وممَّا جاء من باب فعِل يفعَل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع "يحسَب" حيث جاء في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فقد قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبوجعفر كلَّ ما جاء في القرآن من لفظ (يحسَب) بفتح السين، وقرأ الباقون بالكسر[2]. قال ابن منظور: "حسِب بكسر السين: الشيء كائناً يحسَبه ويحسِبه بالفتح والكسر، والكسر أجود اللغتين[3]. ولا يوجد في قراءة عامر ما هو من باب (فعُل – يفعُل) بالضم فيهما، ولا ما هو من باب (فعِل – يفعِل) بالكسر فيهما.

القلب المكاني في الفعل: سبق أن أشرتُ إلي أن الميزان الصرفي هو (فعل) فإن الحرف الأول من الموزون يقابل الفاء، والثاني يقابل العين، والثالث يقابل اللام، وهذا هو الأصل في ترتيب المادة اللغوية، إلا أن بعض الأفعال ورد مخالفاً لهذا الترتيب، فتأتي العين موضع اللام، فهو تقديم بعض الحروف في الكلمة على بعض[4]، وأكثر ما يكون ذلك في المهموز والمعتل (كأيس): عفل في (يئِس) فعِل و(ناء) في (نأى) (فلع، فعل) ويقل في غيرهما نحو: (امضحل، اضمحل) و (اكرهف، واكفهر)[5]. ويُعرفُ القلب المكاني في الكلمة بأن تتفق كلمتان في نوع الحروف وعددها، وتختلفا في ترتيبها، ومعنى الكلمتين واحدٌ، كأن ننظر لمصدرهما، فإذا وجدنا لكل منهما مصدراً دلنا ذلك على أن كلا منهما مستقلة عن الأخرى، وإن لم نجد إلا مصدراً واحداً فالتي يتفق ترتيب حروفها مع ذلك المصدر هي أصل الكلمة الأخرى، والأخرى مقلوبة عن الأولى، ونقول: إن في الكلمة قلباً مكانياً". مثال ذلك: الكلمتان (جذب وجبذ) بينهما اتفاق في عدد الحروف ونوعها مع اختلاف في ترتيبها ومع اشتراك في المعنى، فوجود مصدرٌ لكل من هاتين الكلمتين يمنع الحكم بقلب إحداهما عن الأخرى،

(١) لسان العرب لابن منظور دار إحياء التراث العربي ١٩٩٩م، (٢٧٥٢/٥).
(٢) النشر في القراءات العشر (٢٣٦/٢).
(٣) لسان العرب (٨٦٦/٢).
(٤) المثال في تصريف الأفعال للدكتور علي أحمد طلب، ص١٦.
(٥) شرح الشافية للرضي الاستراباذي دار الكتب العلمية بيروت، (٢١/١).

ويرجح أنهما مادتان مستقلتان.

أما الفعلان: (نأى وناء) مثلاً فإنَّنا نجد للأول مصدراً ، يقال: (نأى عنه، ينأى، نأياً) بَعُد عنه، ولا نجد للثانية – وهي ناء – مصدراً ، وبهذا يظهر لنا أن "ناء" مقلوبة عن "نأى"[1] وقد أثبت الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في بحث لُغوي درس فيه ظاهرة القلب المكاني دراسة حديثة أن "الإحصاءات الحديثة التي تمت بواسطة الحاسب الإلكتروني لجذور اللُّغة العربية قد فسرت لنا ظاهرة القلب المكاني تفسيراً علميًّا سليماً، وأساس ذلك أن السلسلة الصوتية الأكثر شيوعاً على حسب ما جاء في جدول الإحصاءات تُعد الصورة الحديثة للمادة اللُّغوية أو ما نسميه بالمقلوب، في حين أن الأقل شيوعاً في تلك الإحصاءات تُعد الصورة الأصلية أو القديمة"[2]. ومن ظواهر القلب المكاني في القرآن الكريم قراءة ابن عامر من رواية ابن ذكوان لقوله تعالى: ﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء:٨٣/ فصلت:٥١]. بتقديم الألف على الهمزة، فالألف تلي النون ثم تجئ الهمزة بعدها (ناء) كـ (جاء)، وقرأ الباقون بتقديم الهمزة على الألف (نأى) كـ (رأى) وهي قراءة هشام[3]. فعلى قراءة ابن ذكوان بتقديم الألف على الهمزة يحتمل أن يكون في الفعل قلب مكاني ، لأن الألف وهي لام الفعل وُضِعت موضع العين ، بينما وُضِعت العين وهي الهمزة موضع اللام فصار الفعل على وزن (فلع) وهو بمعنى: (بَعُدَ) لأنه مقلوب عن (نأى)، ويحتمل أن يكون الفعل من (ناء، ينوء) بمعنى (ثقل عليه الحمل). وعلى هذا الاحتمال فلا قلب في الفعل، ويكون كل من الفعلين (نأى – ناء) منتمياً إلى مادة لغوية مستقلة. في هذا يقول ابن خالويه: "والحجة لمن قرأه بتأخير الهمزة أنه أراد معنى (ناء – ينوء) إذا نهض بثقل مطيقاً لحمله، ودليله قوله تعالى: ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦]، وأصله (نَوَأ) فانقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومدها تمكيناً للهمزة بعدها[4].

أما الفعل المزيد هو: هم ما زِيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية.

الفعل الثلاثي المزيد فيه:

الفعل الثلاثي المزِيد هو: إما مَزِيد بحرف واحد، أو بحرفين، أو بثلاثة، والأفعال

(١) لمثال في تصريف الأفعال ، ص ١٨، ١٧.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٣١، السنة العاشرة ١٩٨٦م ، ص ١٢.

(٣) غيث النفع في القراءات السبع ، ص ١٩٩ بهامش ابن القاصح.

(٤) الحجة في القراءات السبع ، ص ٢٢٠.

المَزيدة الثلاثية التي قرأها ابن عامر بالزيادة إنَّما هي من قبيل المزيد بحرف أو بحرفين، وسأعرضُهما فيما يلي على النحو التالي.

أولاً: **المزيد بالهمزة:** قد يُزاد الفعل الثلاثي بالهمزة في أوله ، قرأ ابن عامر بزيادة الهمزة في الفعل الثلاثي في أكثر من موضع منها: قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]، فقد قرأ الشامي (وهو ابن عامر) وحده من بين السبعة (نُنْسِخ) بضم النون الأولى وكسر السين[١]، في حين قرأه الباقون بفتح النون الأولى وفتح السين،فيكون الفعل على قراءة ابن عامر من (أنسخ) على وزن (أفعل) المزيد بالهمزة،وهي همزة التعدية أو النقل لأنها جعلت (نسخ) المتعدي لواحد متعديًا لاثنين. قال ابن الأنباري: ومن قرأ (ننسخُ) بالضم جعله من أنسخت فلانًا الشيء إذا حملته على نسخه"[٢]، والمفعول الأول في الآية محذوف، تقديره: (ما ننسخك) أي: يا محمد[٣]. وتكون (ما) على هذا في موضع نصب على المفعول الثاني، و(من آية) تمييزاً لها.

(١) غيث النفع ، ص ٥٥.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاؤه (١١٧/١).

(٣) حجة أبي زرعة ، ص ١٠٩.

يرى مكي بن أبي طالب " أن الفعل على قراءة ابن عامر من (أنسخت الكتاب) على معنى: وجدته منسوخاً ، مثل أحمدت الرجل ، وجدته محموداً ، و أبخلت الرجل، وجدته بخيلاً ، ولا يجوز أن يكون (أنسخت) بمعنى (نسخت) إذ لم يُسْمَع ذلك ، ولا يحسن أن تكون الهمزة للتعدي، لأن المعنى يتغير، ويصير المعنى: ما نسختك يا محمد من آية. وإنساخه إياها إنزالها عليه فيصير المعنى: ما ننزل عليك من آية أو ننسها نأت بخير منها ، فيصير القرآن كله منسوخاً. وهذا لا يمكن، لأنه لم يُنْسَخْ إلا اليسير من القرآن. ويرجح الباحث رأي مكي بن أبي طالب. فلما امتنع أن يكون (أفعل) و(فعل) فيه بمعنى، امتنع أن تكون الهمزة للتعدي، لفساد المعنى، لم يبق إلا أن يكون من باب (أحمدته) وجدته محموداً[٤]. وممَّا قرأه ابن عامر من الأفعال بزيادة الهمزة أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبرهيم: ٣٠]. فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو (ليَضلوا) بفتح الياء، وقرأ الباقون بضم الياء فيكون الفعل على هذه القراءة من (أضلَّ) المزيد بهمزة التعدية[٥]، قال الألوسي:

(٤) الكشف عن وجوه القراءات (٢٥٧/١).

(٥) البحر المحيط (٤٢٥/٥) ، والنشر في القراءات العشر (٢٩٩/٢).

(ليضلوا) قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا[1]، وأيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]، فقد قرأ نافع وابن عامر (يُقتِروا) بضم الياء وكسر التاء، وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء[2]، فيكون الفعل على قراءة ابن عامر من (أقتر) المزيد بالهمزة و(أقتر) هنا بمعنى: قتر، المجرد، كأسرى وسرى[3].

ثانياً: **المزيد بالألف:** قد يُزاد الفعل الثلاثي بالألف ، كما جاء على قراءة ابن عامر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]. فقد قرأ حمزة و الكسائي الأفعال الثلاثة وهي (تقاتلوهم، يقاتلوكم، قاتلوكم) بالتجريد؛ أي بدون زيادة ألف ، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح القاف ثم ألف بعدها وكسر التاء في الفعلين (تُقَاتلوهم)، (يُقَاتلوكم) وبزيادة ألف بين القاف والتاء في الفعل الثالث (قاتلوكم)[4]. وهي قراءة ابن عامر.

فكلٌّ من الأفعال الثلاثة مَزِيد بالألف فهي من (قاتل) على وزن (فاعل) الدال على المشاركة ، وقد اختار الطبري هذه القراءة؛ أي بزيادة الألف وأثرها على القراءة بتجريد الفعل وفي ذلك يقول: (وأولى هاتين القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]. لأن الله،لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حال إذا قاتلهم المشركون بالاستسلام لهم حتى يقتلوا منهم قتيلا ، بعد ما أذن له ولهم بقتالهم ، فتكون القراءة بالإذن بقتلهم بعد أن يقتلوا منهم أولى[5]، وممَّا قراه ابن عامر بزيادة الألف ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ﴾ [النساء:٣٣/المائدة:٦]. فقد قرأ حمزة،والكسائي كلا من الفعلين (عقدت ولا مستم) بالتجريد، أي من غير ألف بعد العين وبعد اللام، ووافقهم عاصم في قراءة الفعل الأول على التجريد، وقرأ الباقون بزيادة الألف بعد العين في (عاقدت) وبزيادة الألف بعد اللام في (لامستم)[6]، قال ابن خالويه في (عاقدت):

(١) روح المعاني ، تفسير الألوسي (٤/٢٣٥).
(٢) شرح ابن القاصح ، ٣٣٩، ٣٣٨.
(٣) مختار الصحاح: مادة (قتر).
(٤) شرح ابن القاصح ، ٢٠٨.
(٥) تفسير الطبري – جامع البيان محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر ٢٠٠١ م، (٣/٥٦٨).
(٦) النشر في القراءات العشر (٢/٢٤٩-٢٥٠).

"فالحجة في قراءة (عاقدت أيمانكم) لمن أثبت الألف أنه جعله من المعاقدة، وهي المحالفة في الجاهلية؛ أي أنه يواليه ويرثه ويقوم بثأره، فأمروا بالوفاء لهم، ثم نسخ ذلك بآية المواريث، فحسنت الألف هاهنا، لأنها تجئ في بناء فعل الاثنين"[1]. وقال أيضاً في (لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ): فالحجة لمن أثبتها (أي: الألف) أنه جعل الفعل للرجل والمرأة، ودليله: أن فعل الاثنين لم يأت عن فصحاء العرب إلا بـ (فاعلت) وبـ (المفاعلة) وأوضح الأدلة على ذلك قولهم: (جامعت المرأة)، وسُمِع منهم جمعت[2].

ثالثاً: **المزيد بتضعيف عينه:** قد يُزاد الفعل أيضاً بتضعيف عينه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، فقد قرأ الكوفيون وخلف (يَكْذبون) بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال، وقرأ نافع، وابن كثير، وأبوعمرو، وابن عامر،وأبو جعفر (يُكَذَّبون) بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال[3]، فعلى قراءة ابن عامر يكون الفعل من (كذَّب) بتضعيف العين بمعنى: أن المنافقين يستحقون العذاب الأليم بتكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ضعَّف الطبري هذه القراءة، ورجح عليها قراءة الكوفيين (يَكذبون) بفتح الياء وتخفيف الذال من الفعل (كذب) بتخفيف العين: يقول الطبري: " ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئون في سورة البقرة (ولهم عذاب أليم بما كانوا يُكَذِّبُون) – بتضعيف العين – لكانت هذه القراءة في السورة الأخرى (والله يشهد إن المنافقين لمكذبون) ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيداً على التكذيب[4]. هذه هي عادة (الطبري) في ترجيح بعض القراءات على بعض، فهو يحكم موقفه الشخصي، ولم يضع في اعتباره أن القراءات قائمة على الرواية والنقل لا على الاجتهاد الشخصي من القارئ،ومما قرأه ابن عامر بتضعيف العين كلَّ ما جاء في القرآن من لفظ (يبشر) المضارع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: ٣٩]، فقد قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم "يُبَشِّرك" ونحوه بضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين مع كسرها، في حين قرأ حمزة، و الكسائي (يَبْشُرك) بفتح الياء

(١) الحجة في القراءات السبع، ١٢٣.
(٢) المرجع السابق ١٢٤.
(٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٨،٢٠٧).
(٤) تفصيل ذلك في تفسير الطبري جامع البيان (١/٢٨٤-٢٨٦) تحقيق محمود شاكر.

وسكون الباء وضم الشين المخففة[1] قال أبو شامة:"والخلاف في هذا الفعل المضارع، هل هو مضارع (فعل) بتخفيف العين كـ(خرج) أو مضارع (فعّل) بتضعيف العين كـ(سوّل)؟ وهما لغتان إلا أن المشدد مُجْمَعٌ عليه في القرآن في الفعل الماضي والأمر[2]، وممَّا قرأه أيضاً بتضعيف العين ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦]، فقد قرأ ابن عامر (فقدَّر) بتشديد الدال أي: ضيق[3]، وممَّا قرأه بتضعيف العين ما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢]، فقد قرأ حمزة، والكسائي،وابن عامر (جمَّع) بتشديد الميم، ولهشام وجه التخفيف كالباقين[4]. ولعل الزيادة في هذه الأفعال بتضعيف العين تدلُّ على تأكيد الحدث وتكراره.

رابعاً: **المزيد بهمزة الوصل والتاء**: فكما أن الفعل الثلاثي يُزاد بحرف واحد فإنه يُزاد بحرفين ، ومن ذلك المزيد بهمزة الوصل والتاء كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ لَا يَهِدِّي﴾ [يونس: ٣٥]، فقد قرأ ابن كثير،وابن عامر،وورش بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وكذلك قرأ أبوعمرو، وقالون،غير أنهما اختلسا فتحة الهاء، وقرأ حمزة، والكسائي بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال، وقرأ حفص بفتح الياء وكسر الهاء والتشديد، وكذلك قرأ أبو بكر غير أنه كسر الياء مع كسر الهاء[5].

فهذه خمس قراءات كُلُّها بتشديد الدال إلا قراءة حمزة، والكسائي فإنها بتخفيف الدال " وحجة من شدد الدال أنه بناء على (اهتدى – يهتدي) ثم أدغم التاء في الدال، بعد أن ألقي حركة التاء على الهاء ففتحها وفي هذه القراءة مبالغة في ذم الكفار وآلهتهم لأنها لا تهتدي في أنفسها، إلا أن تهدي[6]. ممَّا قرأه ابن عامر من الأفعال مزيداً بهمزة الوصل والتاء ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، فقد قرأ المكي والبصري وهما ابن كثير، وأبو عمرو بتخفيف التاء الأولى وكسر الخاء من غير ألف وصل والباقون بألف وصل وتشديد التاء وفتح الخاء[7]. قال أبو حيَّان: ويقال (تخِذ،

(١) شرح ابن القاصح ، ٢٢٤ ، ٢٢٥.
(٢) إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة، تحقيق:محمود عبد الخالق جادو. ٣٨٧٢.
(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ، ٧٦١ ، ط٤.
(٤) شرح ابن القاصح ، ص ٣٩٤.
(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق محي الدين رمضان (٥١٨/١).
(٦) الكشف عن وجوه القراءات لمكي (٥١٨/١)، وتفسير القرطبي (٣١٨١/٤).
(٧) النشر (٣١٤/٢) ، وغيث النفع في القراءات السبع ، ص ٢٠٦، بهامش شرح ابن القاصح.

واتّخذ) نحو تبع واتبع ، فهو افتعل من (تخذ) وأدغم التاء في التاء، والتاء أصل عند البصريين وليس من الأخذ"[1]. قال الألوسي: "واتّخذ افتعل، فالتاء الأولى أصلية والثانية تاء الافتعال أدغمت فيها الأولى ومادته (تخذ) لا (أخذ) وإن كان بمعناه لأن فاء الكلمة لا تبدل إذا كانت همزة أو ياء مبدلة منها "[2].

خامساً: **المزيد بهمزة الوصل وتضعيف اللام:** من الأفعال الثلاثية المزيدة ما هو مَزيد بهمزة الوصل وتضعيف اللام، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾ [الكهف: ١٧]. فقد قرأ الشامي، وهو ابن عامر،(تَزْوَرُّ) بإسكان الزاي وتخفيفها وتشديد الراء بوزن (تحمرَّ)[3]. فيكون الفعل من ازْوَرَّ المزيد بهمزة الوصل وتضعيف اللام على وزن افعَلَّ.

سادساً: المزيد بالتاء وتضعيف العين: من الأفعال أيضاً ما هو مزيد بالتاء وتضعيف العين، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢]، فقد قرأ نافع، وابن عامر (تَسَّوَّى) بفتح التاء وتشديد السين والواو، وقرأ حمزة،و الكسائي،وخلف (تَسوى) بفتح التاء وتخفيف السين وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين[4].

فعلى قراءة ابن عامر يكون الفعل مضارعاً ماضيه (تسوّى) وهو مزيد بالتاء وتضعيف العين قال ابن الأنباري: "فمن قرأ بتشديد السين والواو كان التقدير فيه (تتسوى) فأبدلت التاء الثانية سيناً لقرب مخرجها وأدغمت السين في السين"[5]، وممَّا هو مزيد بالتاء وتضعيف العين ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف:١١٧/ الشعراء:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ [طه: ٦٩] فقد قرأ ابن عامر (تَلَقّف) بفتح التاء واللام وتشديد القاف[6]. وأصل الفعل (تتلقف) وماضيه (تلقّف) بوزن تفعَّل بزيادة التاء وتضعيف العين: قال الزجاج: "فلما اجتمعت تاءان حُذفت إحداهما والمحذوفة الثانية لأن التكرار بها وقع وليست الأولى علامة المضارع والعلامات لا تُحذف"[7].

هذه بعض الأفعال المجردة والمزيدة التي وردت في القرآن على قراءة ابن عامر ، وهي لا تخرج في أوزانها ومعانيها عمَّا قرره علماء الصرف واللُّغة في كتبهم.

(١) البحر المحيط (١٥٢/٦).
(٢) روح المعاني المعروف بتفسير الألوسي (١١٤/٥).
(٣) شرح ابن القاصح ، ص ٣١٥.
(٤) النشر في القراءات العشر (٢٤٩/٢).
(٥) البيان في غريب إعراب القرآن أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري(٢٥٣/١).
(٦) النشر في القراءات العشر (٢٧١/٢).
(٧) إعراب القرآن المنسوب إلي الزجاج (٨٤٩/٣).

المبحث الثالث

صوغ المضارع والأمر

يصاغ المضارع من الماضي، ويصاغ الأمر من المضارع. أما المضارع فإن صيغته تُشْتَقُّ من الماضي بزيادة حرف من أحرف المضارعة في أوله للدلالة على التكلم، أو الخطاب أو الغيبة، وهي الأحرف الأربعة ويجمعها قولك "نأتي" أو أنيت ، ثم إن كان الماضي على أربعة أحرف سواء كانت كلُّها أصولاً نحو (دحرج) أم كان بعضها زائداً نحو:" قدَّم – وأكرم – وقاتل ". وجب أن يكون حرف المضارعة مضموماً.. وحركة الحرف الذي قبل الآخر هي الكسر في مضارع الرباعي نحو (يُكرم، ويُقدِّم، ويُدحرِج)[1]، من ذلك قراءة ابن عامر (يُنَسِّى) بضم الياء وفتح النون وتشدد السين من قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ [الأنعام: ٦٨]، فقد قرأ ابن عباس، وابن عامر (ينَسّينك) بفتح النون وتشديد السين على التكثير. يقال: نسي وأنسى بمعنى واحد[2]، فالفعل المضارع (يُنَسّى) على قراءة ابن عامر مأخوذ من (نسَّى) الذي صار رباعيًّا بتضعيف العين، كما أُخذ المضارع من الماضي الرباعي في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٦٤]، بضم الياء وسكون النون وتخفيف الجيم في الفعل (يُنْجِى) وهو من (أنجى) الرباعي وهذه قراءة ابن عامر[3]، وقد حُذفت الهمزة الزائدة من مضارع الفعل الذي هو على زنة أفعل[4]، ويؤخذ الأمر من الفعل المضارع بعد حذف حرف المضارعة منه من أوله،فإن كان ما بعد حرف المضارعة ساكناً نحو: يَكْتب ويَعْلم، اجتلبت همزة وصل للتوصل إلي النطق بالساكن[5]. وعين الأمر تتبع عين المضارع في حركتها؛ فإن كانت مضمومة في المضارع ضُمَت في الأمر كقوله تعالى: ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ [الدخان: ٤٧]، بضم التاء على قراءة ابن عامر، ونافع، وابن كثير على حين كسرها الباقون[6]. والضم، والكسر لغتان. قال ابن منظور: "عَتَله (بفتح التاء) ويعتِله (بكسر التاء) عتلا فانعتل جره جراً عنيفاً "[7]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ١١]، فقد قرأ نافع وابن عامر وحفص بضم الشين في (انشُزوا فانشُزوا) وقرأ الباقون بكسر الشين

(١) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل (٣١١/٤)..
(٢) تفسير القرطبي (٢٤٤٩/٣).
(٣) تفسير الطبري (٢٤٤٤/٣).
(٤) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل (٣١٤/٤).
(٥) المنصف لابن جني شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني دار إحياء التراث القديم، ١٩٥٤م (٥٦/١) ، ومنحة الجليل (٣١٢/٤).
(٦) شرح ابن القاصح ، ٣٦٨.
(٧) لسان العرب (٢٨٠١/٤) مادة: عتل.

وهما لغتان: نشَز ينشز (بضم الشين وكسرها)[1]، ويتضح الفرق بين القراءتين فيما إذا ابتدئ بهمزة الوصل،فإنها تُضم في قراءة ضم عين الفعل وتكسر في قراءة الكسر كالفرق بين (اقتُل واضرب) وهذا بالنسبة للأمر من الثلاثي،أما الأمر من الرباعي الذي هو على وزن (أفعل) فيبدأ بهمزة قطع مفتوحة كقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، فقد قرأ العامة ومنهم ابن عامر بقطع الألف (أي الهمزة) وكسر الميم[2] فيكون من أجمع يُجمِع لا من جمع يَجمَع.

أنواع الفعل:

أولاً: **الفعل الماضي:** هو ما دلَّ على حدث مضى كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فقد قرأ نافعٍ وابن عامر (واتخَذوا) بفتح الخاء فعلاً ماضياً[3]. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فقد قرأ الأخوان وهما حمزة و الكسائي (يطَّوعْ) بالياء التحتية وتشديد الطاء وجزم العين بمن الشرطية،وقرأ الباقون بالتاء وتخفيف الطاء وفتح العين على أنه فعلٌ ماضٍ[4]، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٩٣]، فقد قرأ ابن عامر وابن كثير (قال) بفتح القاف واللام وألف بينهما في حين قرأه الباقون (قُلْ) بضم القاف وسكون اللام من غير ألف بينهما[5].

ومن علامة الماضي اتصاله بتاء الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦]. فقد قرأ ابن عامر (وضعْتُ) بسكون العين وضم التاء[6] وهي تاء المتكلم، وتاء التأنيث الساكنة كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]. فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو (دارسْتَ) بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء كـ(قاتلت)،وقرأ الشامي – وهو ابن عامر – (درسَتْ) بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء كـ(ذهبَتْ) والباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء كـ(خرجْتَ)[7]، فعلى قراءة ابن عامر يكون الفعل ماضياً متصلاً بتاء التأنيث الساكنة.

الثاني: **الفعل المضارع:** ما دلَّ على الحال أو الاستقبال والقرائن المعنوية أو اللفظية هي التي تحدد دلالته على الحال أو الاستقبال، ويبدأ بحرف المضارعة

(١) حجة القراءات لأبي زرعة (٧٠٥) ط٤.
(٢) تفسير القرطبي (٤/٤٢٠١).
(٣) غيث النفع، ٥٩.
(٤) غيث النفع، ٦٢.
(٥) شرح ابن القاصح، ٣١٣.
(٦) شرح ابن القاصح، ٢٢٣.
(٧) حجة القراءات لأبي زرعة، ص٢٦٤، وغيث النفع، ص١٢٢.

كتاء الخطاب، وممَّا قرأه ابن عامر بتاء الخطاب المواضع الآتية: قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، بالتاء في (تعملون)[١]، في موضع الياء على قراءة ابن كثير. وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]، بالتاء في (تعبدون) في موضع الياء على قراءة حمزة، والكسائي، وابن كثير[٢]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠]، بتاء الخطاب في (تقولون) في موضع الياء على قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وشعبة، وروح[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ [البقرة: ١٦٥]، بالتاء في (ترى) على قراءة نافع وابن عامر في موضع الياء على قراءة الباقين. والمخاطب هو النبي عليه الصلاة والسلام لأن عليه نزل القرآن فهو المخاطب به[٤]، وقد رجَّح الطبري قراءة الخطاب على قراءة الغيبة في (ترى)، فقال: "إنما اخترنا ذلك على قراءة (الياء) لأن القوم إذا رأوا العذاب، أيقنوا أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب فلا وجه أن يقال: لو يرون أن القوة لله جميعاً"[٥]. والأفعال المضارعة ما جاء منها بالنون مثل قوله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ [النساء: ١٤]، ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ [الطلاق: ١١]. فقد قرأ نافع، وابن عامر بالنون مكان الياء في كل من (يدخله – يكفر)[٦]، وقوله تعالى: ﴿نضاعف﴾ [الأحزاب: ٣٠]، فقد قرأ ابن عامر، وابن كثير بالنون وتشديد العين وكسرها من غير ألف بعد الضاد[٧].

الثالث: فعل الأمر: هو ما دلَّ على الطلب ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ [الأنبياء: ٤]، فقد قرأ ابن عامر (قُل) بضم القاف وسكون اللام من غير ألف بينهما[٨]. وهو فعل أمر.

الفعل الأجوف: هو ما كانت عينه ألفاً، أو واواً، أو ياءاً، فإن كانت عينه ألفاً فلا بد أن تكون مقلوبة عن واو أو ياء، تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً[٩].

وممَّا يُعد من قَبيْل الفعل الأجوف ما جاء في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ [المعارج: ١]، فقد قرأ نافع وابن عامر (سال) بألف من

(١) غيث النفع، ص ٥٢.
(٢) غيث النفع، ص٥٢.
(٣) المستنير، د/ محمد محيسن (١/ ٣٩،٤٠).
(٤) الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٧١).
(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٦) ط٢، تحقيق محمد أحمد شاكر.
(٦) الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح عب الغني القاضي، مكتبة السوادي، ١٩٩٩م، ص ٢٤٣.
(٧) حجة القراءات لأبي زرعة، ص ٥٧٥.
(٨) شرح ابن القاصح، ص ٣٢٨.
(٩) المثال في تصريف الأفعال، د/ علي أحمد طلب، ص ١٢٠.

غير همزة[1]؛ أي بألف خالصة على أنه فعل أجوف. وفي أصل هذه الألف أوردت كتب القراءات والاحتجاج لها احتمالات عدة ، فقال مكي بن أبي طالب: "وحجة من ترك الهمزة أنه تحتمل قراءته ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون قد جعل الفعل من (السؤال) لكن أُبْدِل من الهمزة ألفاً فتكون الهمزة في (سائل) أصلية.

الثاني: أن يكون قد جعل من (سال – سِلْت – يسال) لغة في السؤال ، ونظيره (خِفْت – تخاف) فتكون الألف في (سال) بدلا من (واو) كـ (خاف).

الثالث: أنه جعل من (السيل) من (سال يسيل)، فتكون الألف في (سال) بدلاً من ياء ومثله (كال – يكيل) ، وتكون الهمزة في (سائل) بدلاً من ياء "[2]، ويوضِّح ابن القاصح هذه الاحتمالات الثلاثة فيقول: "(سال) بوزن (قال) أي بألف ساكن مبدل من همزة أو من واو أو من ياء يعني أن الألف على قراءة نافع وابن عامر تحتمل ثلاثة أوجه،الأول: أن تكون بدلاً من الهمزة وهو الظاهر ، وهو من البدل السماعي وأصله (سأل).

الثاني: أن تكون منقلبة عن واو ، فتكون من (سال) وأصله (سوِل) بكسر الواو كـ (خوِف) على وزن فعِل بكسر العين.

الثالث: أن تكون الألف منقلبة عن ياء من (سال يسيل) بفتح الياء؛ أي: (سال عليهم وادٍ فأهلكهم). والألف على هذين الوجهين من البدل القياسي"[3].

كثير من علماء القراءات يرجحون أن قراءة نافع،وابن عامر مردها (سأل) المهموز مع أن إبدال الهمزة ألفاً هنا لا يتمشى مع مذهب نافع في تحقيق الهمزة، فهو يخفف الهمزة التي تقابل فاء الكلمة لا عينها ، ولا يتمشى أيضًا مع مذهب ابن عامر إذ إن مذهبه تحقيق الهمزة ، وعلى هذا فيكون القول بأن أصل الألف ياء أو واو هو الأظهر اتساقاً مع مذاهب القرّاء.

من الملاحظ أيضاً أن ابن القاصح ذكر أن (سال) وزنه (فال) ولكن يبدو أن وزنه (فعل) بفتح العين على القول بإبدال الألف من الواو ، لأن ما يحدث في الكلمة من إعلال أو إبدال لا يتبعه تغيير في الميزان إلا إذا كان في الكلمة حذف أو قلب مكاني فيحدث مثله في الميزان.

(١) حجة القراءات ، ٧٢١.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات (٢/٣٣٥،٣٣٤).

(٣) شرح ابن القاصح ، ٣٨٣.

المبحث الرابع

الفعل الجامد والمتصرف وتوكيد الفعل وبناؤه لغير الفاعل وإسناد إلى الضمائر

أولاً: **الفعل الجامد:**

ينقسم الفعل إلي جامد ومتصرف: فالجامد: ما لازم صورة واحدة ، وهو إما أن يكون ملازماً للماضي كـ"ليس" من أخوات كان، و(كرب) من أفعال المقاربة. و(عسى وحرى واخلولق) من أفعال الرجاء، (وأنشأ وطفق وجعل وعلق) من أفعال الشروع ، و(نعم وحبذا) في المدح، و(بئس وساء) في الذم[1]. وممَّا هو من الأفعال الجامدة ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، فقد قرأه ابن عامر وحمزة و الكسائي بفتح النون وكسر العين، وحجة من فتح النون وكسر العين أنه أتى بالكلمة على أصلها فالأصل (نَعِم) بكسر العين كما قالوا: (شَهِد ولَعِب) بفتح الشين وكسر الهاء في الأول، وفتح اللام وكسر العين في الثاني ، فتركوا الأول على فتحه[2]، ومن الأفعال الجامدة (حاشِ) وهو في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٣١]، فقد قرأ الجمهور (حاش) بغير ألف بعد الشين وهي قراءة ابن عامر ، أما على قراءة (لله) بلام الجر فلا يجوز أن يكون ما قبلها من (حاش – أو حاشا أو حشي) حرف جر لأن حرف الجر لا يدخل على حرف جر ولأنه تصرف فيه بالحذف وأصل التصرف بالحذف أن لا يكون في الحروف[3].

ثانياً: **توكيد الفعل بالنون:**

تلحق نونا التوكيد فعل الأمر نحو (اضربَنَّ زيداً)، والمضارع الدال على الطلب نحو: (لتضربنَّ زيداً ولا تضربنَّ زيداً)[4]، فإذا لحقت نون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة الفعل فإن كان مسنداً إلى اسم ظاهر أو ضمير الواحد المذكر فُتِح آخره لمباشرة النون له ولم يحذف منه شيء، وإن كان مسنداً إلى ضمير الاثنين لم يحذف أيضاً من الفعل شيء وحذفت نون الرفع فقط لتوالي الأمثال وكسرت نون التوكيد تشبيهاً لها بنون الرفع ، وإن كان مسنداً إلي واو الجماعة فإن كان صحيحاً حُذفت نون الرفع لتوالي الأمثال وواو الجمع لالتقاء الساكنين[5].

فمثال المسند إلى مفرد ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿تَسْأَلَنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

(١) شذا العرف في فن الصرف محمد حسن عثمان ، ٤٧،٤٨.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات (٣١٦/١).

(٣) البحر المحيط (٣٠٣/٥).

(٤) شرح ابن عقيل تحقيق محي الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (٣٠٩/٣).

(٥) شذا العرف في فن الصرف ، ٥٧.

إِنِي﴾ [هود: ٤٦]، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ [الكهف: ٧٠]. فقد قرأ ابن عَامر (تسألَنِّ) في الآية الأولى بفتح اللام وتشديد النون وسكونها في الوقف وكسرها في الوصل. أما في الآية الثانية فقد قرأ بفتح اللام وتشديد النون أيضاً ، إلا أنه أثبت الياء بخلف عن ابن ذكوان فله وجه الحذف[١].

فعلى هذه القراءة يكون الفعل المضارع مؤكداً بالنون وقد كُسرت هذه النون لمناسبة ياء المتكلم بغض النظر عن إثباتها وحذفها لأنها موجودة في التقدير. قال ابن الأنباري: "من قرأ بغير ياء حذفها للتخفيف واجتزأ بالكسرة عنها، وكذلك من قرأ بالتشديد مع حذف الياء وكان في الأصل فيه أن تأتي بثلاث نونات؛ نوني التوكيد ونون الوقاية، فاجتمعت ثلاث نونات، فاستقلوا اجتماعها فحذفوا الوسطى.(يقصد الثانية من نون التوكيد لأنها مشددة) وكان حذفها أولى من الأولى والثالثة"[٢] والقول بحذف النون الثانية من نون التوكيد المشددة حرصاً على بقاء النون الأولى لإفادة التوكيد والنون الثالثة لأنها للوقاية فيه تكلف، لأنه لا مانع أن تكون هذه النون للتوكيد وقد اعتمدت ياء المتكلم عليها لأنها تغني عن نون الوقاية ، ولا مانع أنه تكون هذه النون نون التوكيد الخفيفة أدغمت في نون الوقاية. ومثال ما اتَّصل بضمير الاثنين وأُكد بالنون قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩]. قال في قراءة تشديد النون: ((وهي قراءة هشام عن ابن عامر بتشديد النون في موضع جزم على النهي،والنون للتوكيد وحركت لالتقاء الساكنين،واختير لها الكسر لأنها أشبهت نون الاثنين،وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي. وقيل: هو حال على (استقيما) أي: استقيما غير متبعين))[٣]، وإذا أُكد الفعل المضارع المتّصل بواو الجماعة بالنون فإن واو الجماعة تُحذف بعد حذف نون الرفع وتبقى الضمة قبلها دليلاً عليها كما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] بضم الباء على قراءة ابن عامر على خطاب المؤمنين جميعاً،وهي أيضاً قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم في موضع الفتح على قراءة ابن كثير وحمزة و الكسائي[٤].

بناء الفعل لغير الفاعل: ممَّا تجدر الإشارة إليه أن كلام النحويين عن هذا

(١) ابن القاصح على الشاطبية ، ٢٩١.
(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (١٦/٢).
(٣) تفسير القرطبي (٣٢١٥/٤) الجامع لأحكام القرآن..
(٤) الكشف عن وجوه القراءات (٣٦٨/٢،٣٦٧).

الموضوع له زاويتان: **إحداهما**: كلامهم عنه من حيث حذف الفاعل وإقامة غيره مقامه وهذه هي الزاوية النحوية. الزاوية **الثانية**: هي كلامهم عمَّا يحدث في الفعل من تغيير عند بنائه لغير الفاعل،وهذه هي الناحية الصرفية التي أتناولها في هذا المبحث.

الأصل في الفعل أن يُسْنَد إلى الفاعل إن كان موجوداً في الكلام لفظاً أو تقديراً، والدليل على هذا أن الفعل إذا أُسْنِد لغير الفاعل بعد حذفه كالمفعول، أو الجار والمجرور، أو الظرف، أو المصدر، فلا بد من تغيير صورة الفعل حسبما عُهِد في اللغة من ضم أول الفعل وكسر ما قبل آخره إن كان ماضياً،وضم أوله وفتح ما قبله آخره إن كان مضارعاً[1]. وممَّا قرأه ابن عامر من الأفعال مبنياً للفاعل وللمفعول (تخرجون) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، فقد قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر هذه الأفعال بفتح التاء وضم الراء مبنية للفاعل،بينما قرأها هشام عن ابن عامر بضم التاء وفتح الراء مبنية للمفعول[2].

فإن كان الماضي ثلاثياً معتل العين واويًّا كان أو يائيّاً مثل: (صام – باع) وبُني للمجهول جاز في فائه عند النطق أو الكتابة إما: الكسر الخالص فينقلب حرف العلة ياء نحو: (صيم – بيع)،وإما الضم الخالص فينقلب حرف العلة واواً نحو: (صُوْمَ – بُوْعَ)، وإما الإشمام وهذا لا يكون إلا في النطق، والكسر أعلاها، فالإشمام، فالضم، وكل واحد من الثلاثة جائز بشرط ألا يوقع في لبس[3]. والمقصود بالإشمام هنا: ((هو النطق بحركة صوتيه تجمع بين الضمة والكسرة على التوالي السريع بغير مزيج بينهما،فينطق المتكلم أولاً بجزء قليل من الضمة يعقبه جزء كبير من الكسر يجلب بعده ياء، فالجمع بين الحركتين ليس معناه الخلط بينهما في وقت واحد خلال النطق، وإنّما معناه مجيئهما على التعاقب السريع))[4]، وقد قُرِئ ما جاء في القرآن من هذه الأفعال المبنية لغير الفاعل باللغتين المشهورتين وهما الكسر والإشمام. قال ابن الجزري: ((واختلفوا في قيل وغيض وجيئ وحيل وسيق وسيئ و سيئت، فقرأ الكسائي وهشام وورش بإشمام الضمة كسرة في أوائلهن ووافقهم ابن ذكوان في حيل وسيق

(١) النحو الوافي، عباس حسن (٩٩/٢).
(٢) إبراز المعاني، ٤٧١.
(٣) شرح الاشمونى (٦٢/٢)، النحو الوافي (١٠٢/٢).
(٤) النحو الوافي (٢/ هامش ١٠٢).

وسيئ وسيئت))[1]. ويحلل ابن الأنباري ما حدث في هذه الأفعال من تغيير عند بنائها لغير الفاعل فيقول: ((وأما (قيل) أصله (قُول) بضم القاف وكسر الواو، فنقلت الكسرة من الواو إلي القاف، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وقرئ بإشمام القاف الضمة، تنبيهاً بالإشمام على أصل الكلمة))[2].

فمن ذلك يتضح أن ظاهرة الإشمام هنا تختلف عن ظاهرة الإشمام في الحرف المضموم أو المرفوع عند الوقف عليه، فالإشمام عند الحرف الموقوف عليه هو مجرد إشارة بالشفتين إلى الضم دون أن يصحب هذه الإشارة صوت. وقد يكون هذا الإشمام في الحرف المرفوع الذي سُكن لإدغامه فيما بعده كما في نحو ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى﴾ [يوسف: ١١]. أما الإشمام هنا،أي عند الصرفيين،فهو ليس مجرد إشارة لا تسمع ولكنه إشارة مسموعة الهدف منها تنبيه السامع على أصل الضم في أول الفعل،فهو ظاهرة صرفية لعلاقتها ببناء الفعل.

وخلاصة القول: إن الإشمام عند القرّاء في الوقف أو الإدغام ظاهرة صوتية بحتة وإن كانت غير مسموعة.

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٨/٢).
(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٥٦/١).

رابعاً: **إسناد الفعل إلى الضمائر:**

إذا أُسْنِد الفعل إلى الضمير فقد يحدث فيه تغيير وخاصة إذا كان معتل الوسط أو الآخر أو مضعفاً. فإذا كان الفعل ماضياً أجوفَ وأُسْنِد إلي ضمير رفع متحرك كـ(تاء) الفاعل بأنواعها، أو (نا) الدالة على الفاعلين سكن آخره – أي لامه – وحذفت عينه،ثم إن كانت عينه ياء مفتوحة أو مكسورة أو واواً مكسورة كسر أوله: كبعت، وهبت، وخفت، أصلها بيع بفتح العين وهيب وخوف بكسرها. وإن كانت واواً مفتوحة أو مضمومة ضم أوله كقُلت وطُلت. ومن ذلك الفعل (مات) فقد ضم ابن عامر وشعبة وابن كثير وأبن عمرو أوله مسنداً إلي ضمير رفع متحرك، في حين قرأ الباقون بكسر أوله وذلك من: ومتنا، ومتِ حيث رفع نحو: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ﴾ [مريم: ٦٦]، و﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقد وافق حفص ابن عامر وشعبة وابن كثير وأبا عمرو في ضم الميم من (متم) في موضعي آل عمران فقط،وكسر ما عدا ذلك[3].

(٣) شرح ابن القاصح، ٢٣١.

قال مكي بن أبي طالب: "وحجة من ضم (الميم) أن المستعمل الفاشي في هذا الفعل (مُتُّ يموت) كـ: قال يقول، على: فعَل يفعُل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع، فَنُقِل (فَعَل) منه إلى (فَعُل) بضم العين فضمت فاء الفعل في الإخبار، لتدلَّ على الواو المحذوفة، كما تقول: قُلت وطُفت ، فإذا كُسِر لم تدلّ الكسرة على الواو المحذوفة ، فأصله ضم أوله في الإخبار للدلالة على الواو"(١)، كذلك إذا أُسْنِد الأمر من الأجوف إلي ضمير المفرد المخاطب المذكور، ولا يكون إلا مستتراً تقديره (أنت)، فإنه تحذف عينه أيضًا لسكون لامه ، ويضم أوله إن كان واوي العين كما في قوله تعالى: ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فقد قرأ حمزة: (فصِرهن) بكسر الصاد ، وقرأ الباقون بضمها وهي قراءة ابن عامر(٢)، وبالضم قرأ علي بن أبي طالب والحسن وأبو عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة ، وبالكسر قرأ ابن عباس وشيبة و علقمة وابن جبير وأبو جعفر وقتادة وطلحة والأعمش(٣)، فالفعل هنا وهو (صرهن) فعل أمر من صار ، وقد أسند إلى ضمير المخاطب المستتر ، أما الضمير (هن) فهو مفعول به. قال ابن خالوية: "فالحجة لمن ضم أنه أخذه من صار يَصُور إذا ما لو عطف"(٤)، وقال مكي: "وحجة من ضم الصاد أنه أتى به على لغة من قال: صار يَصُور على معنى أملهن، وعلى معنى: قطعهن، فإذا جعلته بمعنى: أملهن، كان التقدير أملهن إليك فقطعهن، وإذا جعلته بمعنى: قطعهن كان التقدير: فخذ أربعة من الطير إليك فقطعهن، فكل واحد من الكسر والضم (في الصاد) لغة في الميل والتقطيع "(٥).

وإذا أسند الفعل الناقص المعتل بالألف إلي ضمير رفع متحرك قُلبت الألف ياء مطلقاً إن كانت رابعة في الفعل فصاعداً، سواء أكان أصلها واوًا أم ياء ، وقد قُلبت في الماضي قياساً على قلبها في المضارع. قال ابن جني: "كرهوا أن يقولوا: (أغزوت) فلا يقبلوا الواو إلي الياء وهم يقولون: (يغزي) فيقبلونها ياء للكسرة قبلها، فأرادوا المماثلة وأن يكون اللفظ واحدًا فأعلوا الماضي كما أعلوا المضارع(٦) ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]، فقد أسند الفعل

(١) الكشف عن وجوه القراءات (٣٦١/١-٣٦٢).
(٢) تفسير القرطبي (٣٠١/٣) ط. دار الكتب المصرية.
(٣) الكشف عن وجوه القراءات (٣١٣/١).
(٤) الحجة في القراءات السبع ، ١٠١.
(٥) الكشف عن وجوه القراءات (٣١٣/١).
(٦) المنصف في شرح التصريف (١٦٤/٢).

(أنجى) إلى تاء الفاعل التي هي للمخاطب وهو الله تعالى ، فقلبت الألف وهي لام الفعل ياء لأنها رابعة في الفعل وأصل الألف هذه الواو لأن الفعل من: نجا ينجو، وهذه القراءة قراءة أهل المدينة والشام[1]، وإذا أسند الفعل المضارع الذي اتّحدت عينه، ولامه إلى ضمير المفرد الغائب وكان مجزوماً جاز فيه الإظهار والإدغام، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ [المائدة: ٥٤]. فقد قرأ نافع وابن عامر (يرتدد) بدالين، الثانية ساكنة، وقرأ الباقون بدال واحدة مفتوحة مشددة، وحجة من أظهر الدالين أن الإدغام إنَّما أصله إذا كان الأول ساكناً فيدغم الأول في الثاني، فلما كان الثاني في هذا هو الساكن أوثر الإظهار، لئلا يدغم فيسكن الأول للإدغام، فيجتمع ساكنان فكان الإظهار أولى به، وهي لغة أهل الحجاز، مع أن الإدغام يحتاج إلي تغيير بعد تغيير، فكان الإظهار أولى وهو الأصل، وكذلك هي بدالين في مصاحف أهل المدينة والشام[2]، وإذا كان المضارع أو الأمر ثلاثيًّا مكسور العين، وعينه ولامه من جنس واحد ، وأُسْنِد إلى نون النسوة – يجوز فيها وجهان:

الأول: **التمام**؛ أي: عدم حذف عينه نحو (يقرِرْنَ) بكسر الراء الأولى وسكون الثانية في المضارع ، وفي الأمر (اقرِرْن) بكسر الراء الأولى وسكون الثانية.

الثاني: **الحذف**؛ أي: حذف عين الفعل بعد نقل حركة العين إلى الساكن قبلها نحو(يقِرْن) بكسر القاف وسكون الراء في المضارع، و(قِرْن) في الأمر بكسر القاف وسكون الراء، وعليهِ جاءت قراءة ابن عامر: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فقد قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر (وقَرن) بفتح القاف ، وقرأ الباقون بكسر القاف وهي قراءة ابن عامر[3]، والأصل (اقررن) نقلت حركة الراء التي هي عين الفعل وهي الكسرة إلى القاف، ثم حذفت الراء الأولى وحذفت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها[4]. قال أبو حيَّان:" من وقر يقر (بكسر العين) إذا سكن وأصله (اوقرن) مثل عِدْن من وَعَد"[5].

هذه هي أبرز القضايا الصرفية المتعلقة بالأفعال في القرآن الكريم ـ في حدود جهد الباحث ـ كما جاءت في قراءة ابن عامر.

(١) تفسير القرطبي (٢٤٤٤/٣) ط. دار الشعب.
(٢) الكشف عن وجوه القراءات (٤١٣/١).
(٣) النشر في القراءات العشر (٣٤٨/٢).
(٤) أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك ، ٣١٩.
(٥) البحر المحيط (١٣٠/٢).

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات،والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه أجمعين. بعد الوقوف على قراءة ابن عامر خلص الباحث إلى:

أولاً: **النتائج:**

١- ثبت للباحث أنّ ابن عامر لم يكن قارئاً فقط،فقد كان قارئاً فاضلاً ومجوداً،علاوة على ذلك كان عالماً صرفياً فذاً؛ لما اشتملت عليه روايته من آراء صرفية مؤيدة بالحجج.

٢- أظهرت الدراسة تناول ابن عامر للصرف بصورة واضحة.

٣- لقد تعددت موضوعات الصرف التي وردت في قراءة ابن عامر وتمثلت في عدة أبواب هي:المجرد والمزيد وصوغ الفعل والجامد والمتصرف وتوكيد الفعل بنون التوكيد و إسناده إلى الضمائر

ثانياً ـ **التوصيات:**

أوصي الباحثين بضرورة النظر في كتب القراءات من الناحية الصرفية حتى تكون ثمراً دانياً تستفيد منه الأجيال القادمة.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إبراز المعاني من حرز الأماني،لأبي شامة،تحقيق،محمود عبد الخالق جادو.

٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،ابن هشام.

٤- البحر المحيط،أبو حيّان محمد بن يوسف بن حيّان.

٥- البيان في غريب إعراب القرآن أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري.

٦- البيان في غريب إعراب القرآن أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي،الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

٧- تذكرة الحفاظ لأبي شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي،دار الكتب العلمية بيروت.

٨- تصريف الفعل للدكتور أمين السيد، دار المعارف مصر.

٩- تفسير الطبري – جامع البيان محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر.

١٠- تهذيب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني.
١١- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني.
١٢- الحجة في علل القراءات السبع للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي،تحقيق عادل أحمد عبد الموجود.
١٣- حجة القراءات لأبي زرعة،عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة،تحقيق سعيد الأفغاني.
١٤- السبعة في القراءات ، أبو بكر بن مجاهد،تحقيق الدكتور شوقي ضيف.
١٥- سراج القارئ المبتدئ المعروف بشرح ابن القاصح.
١٦- سير أعلام النبلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،مؤسسة الرسالة،٢٠٠١ م
١٧- شذا العرف في فن الصرف للأستاذ أحمد الحملاوي.
١٨- شرح ابن عقيل تحقيق محي الدين،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٩- شرح الشاطبية لأبي القاسم علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصع.
٢٠- شرح الشافية للرضي الاستراباذي، دار الكتب العلمية بيروت.
٢١- الطبقات الكبرى محمد بن سعد بن منيع الزهري،تحقيق علي محمد عمر،مكتبة الخانجي ٢٠٠١ م .
٢٢- غاية النهاية في طبقات القرّاء لابن الجزري،القاهرة،١٩٨٢ م.
٢٣- غيث النفع في القراءات السبع،لأبي الحسن على بن سالم بن محمد النّوري الصّفاقسيِّ.
٢٤- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها،مكي بن أبي طالب القيسي،تحقيق:محي الدين رمضان.
٢٥- لسان العرب جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،دار صابر بيروت.
٢٦- لطائف الإشارات عبد الكريم بن عبد الملك القشيري،تحقيق إبراهيم البسيوني،الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٧- المثال في تصريف الأفعال للدكتور علي أحمد طلب.
٢٨- مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٣١،السنة العاشرة ١٩٨٦م.
٢٩- مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.

٣٠- المستنير في تخريج القراءات المتواترة، للدكتور محمد محيسن.
٣١- معاني القرآن للنحاس، مطبعة لبنان،١٩٨٩م.
٣٢- المفردات السبع (مفردات القرَّاء السبعة)،لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.
٣٣- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل.
٣٤- منهج السالك على ألفية ابن مالك،الاشمونى، تحقيق محي الدين عبد الحميد.
٣٥- النحو الوافي،عباس حسن،دار المعارف بمصر،الطبعة الثالثة.
٣٦- النشر في القراءات العشر،للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بأبي الجزري.

مصادر النحو العربيّ (دراسة وصفية تحليلة)

بروفيسور/ محمد الطيب البشير بابكر(١)

المستخلص

تناولت هذه الدراسة مصادر النحو العربيّ التي استند عليها النحاة في تقعيد قواعدهم النحويَّة. وقد هدفتْ الدراسةُ إلى بيان وحصر تلك المصادر، و إلى التعرف على الترتيب العملي لها، و كشف ملابسات عدم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف. واتَّبعت الدراسةُ المنهجَ الوصفي، وتوصلتْ إلى جملة من النتائج من أهمها: يُعد القرآن الكريم المصدر الأوَّل على الصعيد النظري والمصدر الثاني على الصعيد العملي، عرضَ النحاةُ القراءات على كلام العرب فما خالفه منها أولوه فإن تعذَّر عليهم التأويل لم يترددوا في تخطئتها أو وصفها بالشذوذ. كما أوصتْ الدراسةُ بضرورة البحث في مصنفات الفراء (يحيى بن زياد) للتحري والتثبت من صحة الرأي القائل بأنَّ الفراء هو أوَّل من استشهد بالحديث النبوي الشريف.

Abstract

The study has talked Arabic Grammar sources, which Grammarians depended up on for their grammatical rules. So, the study aimed at clarifying, identifying and restricting the practical arrangement of these sources without Noble Prophetical Hadith for evidence. The study followed the descriptive method, the most important results represented by that holly Quran is the first source theoretically and the secondpractically,Grammarians exposed perusals on Arab discourse they predict it when it differs, when it is impossible, they never hesitate to make it incorrect and thought it is odd. The study has recommended that the necessity of ELfarra (Yahya Ibn Zyad) for inspecting the right opinion , which says that he the first who quoted with Noble prophetical Hadith.

(١) أستاذ مساعد بجامعة الخرطوم ـ كلية التربية ـ قسم اللُّغة العربية.

مصادر النحو العربي

توطئة:

جزيرةُ العرب بأرضها الوعرة وسمائها الشحيحة وجبالها العالية وهضابها المرتفعة ورمالها الملتوية وصحاريها القاحلة وشمسها المحرقة ورياحها العاصفة وإبلها الأليفة وخيولها السريعة وسيوفها القاطعة وحروبها الطاحنة شكلتْ إنسانها العربيّ، بصفاته وطباعه، والتي في مقدمتها السخاء والنجدة والعفة والإقدام والشجاعة والبأس والأنفة وحماية الجار والخوف من العار والحنين إلى الأوطان ومنازلة الأقران والحلم والخطابة والفصاحة والبيان.

أمَّا خصائصهم في البيان فقد كانوا أحق به، أذهانٌ حديدية، وحفظٌ لكل مسموع واعتبار بكل محسوس، طباعٌ صافيةً وسلائق فصيحة وألسنة زلقة إلى عارضة رشيدة، وبداهة شديدة، واستحواذ على جيد الكلام، فكلامهم السبك الحسن والديباجة الكريمة والرونق العجيب والماء الجم والطابع الفصيح، ولهم أصناف البلاغة قصيداً ورجزاً وخطباً، منثوراً وسجعاً، وما يزدوج وما لا يزدوج، مع إصابة الغرض وتطبيق المفصل بديهةً وارتجالاً، من غير معاناةٍ ولا إجالة فكر ولا استعانة، فكأنهم ينطقون من وحي وإلهام [1].

حقاً إنَّ العرب كانوا أهل فصاحة وبيان، بلغوا فيهما من الشأو البعيد ما بلغوا؛ ولعلَّ مما ساعدهم على ذلك طبيعة لغتهم وصفاء قريحتهم وسرعة بديهتهم وطبيعة بيئتهم، فكانوا أكثر قدرة على التعبير، فملكوا زمام البيان، فغدا وسماً توسموه وموروثاً وَرِثُوه وورَّثُوه جيلاً بعد جيل.

ولما استحسنت العرب الفصاحة والبيان أخذت في إرسال أبنائها إلى البادية، رغم قسوة الحياة فيها وجلافة أهلها وكثرة الجفاف والجوع فيها. وفي ذلك يروى أنه قيل لأعرابي من أهل البادية – وكان قد خرج منها – أترجع إلى البادية؟ فقال: أما ما دام السعدان مستلقيا فلا. يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبدا، كما أنَّ السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً[2].

وفي ذلك دليلٌ على قسوتها، وإنَّه مع ما فيها من قسوة وشدة لم يتوقف العرب ولم يتباطأوا ولم يترددوا في أمر إرسال أبنائهم إلى البادية. وقد أُرْسِلَ النبيُّ

(١) انظر الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ، عبد العال سلام مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ، ص٢٨٦.

(٢) انظر الكامل في اللغة والأدب ، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٢٧هـ .١٩٩٧م ، ج١ ، ص١١.

محمد صلى الله عليه وسلم إلى بادية بني سعد[1]. وهنالك رضع اللُّغة مع لبان الأمومة الأولى.

واستمرتْ العربُ ترسل أبناءها إلى البادية في عصرين تاليين للعصر الجاهلي، فهذا هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يقول: " أضرَّ بالوليد حبُنا له فلم نوجهه إلى البادية "[2]؛ لذلك كان كثير اللحن.

إذن الباديةُ هي منبعُ الفصاحة، وموطنُ لسلامة اللسان وصفاء الذهن وجودة القريحة؛ لذلك كانت وجهة تيممها الناس في الجاهلية والإسلام، فنشأ ناشئهم وهو يتطلع إلى بلوغ الغاية في الفصاحة والبيان اللذينِ بهما توجز الألفاظ وتشبع المعاني؛ لذلك كثيراً ما نجد في كتب التراث بسط الكلام عن فصاحة العرب وقوة حجتهم وشهرتهم في البيان، ولباقتهم فيما ينطق به اللسان.

وبعدُ، فأيُّ شيءٍ أشهرُ منقبةً ؟ وأرفعُ درجةً ؟ وأكملُ فضلاً من فصاحة اللسان وجمال البيان ؟! وظل العربُ على هذا الحال من الفصاحة والبيان إلى أن تسرب اللحنُ إليهم.

عندما جاء الإسلام وفُتحتْ الفتوحات ومصرت الأمصار ودخل الناسِ عربهم وعجمهم في دين الله أفواجاً تسرب اللحنُ إلى اللسان العربي فخُشيَ على كتاب الله تعالى.

فعزم النحاةُ على وضع قانونٍ تُضبط به العربية؛ صيانةً لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ لذلك أخذوا في البحث عن مصادر يبنوا عليها قواعدهم، وسرعان ما وجدوا ضالتهم في القرآن الكريم وقراءاته وأشعار العرب وأراجيزهم وكلامهم وأمثالهم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلوا من ذلك كلِّه أساساً ومصدراً قعدوا عليه قواعدهم، وسأعرضُ كل تلك المصادر بالتفصيل في هذه الورقة إنْ شاء الله تعالى، وسأبدأ بأهم تلك المصادر وأولها وهو القرآن الكريم وقراءاته.

المصدر الأول

القرآن الكريم وقراءاته

أولاً: **القرآن الكريم:**

لاشكَّ أنَّه المصدر الأول والأساسيُّ في عملية تقعيد القواعد النحوية، وقبل الولوج إلى ذلك فلنبدأ بتعريفه في اللُّغة والاصطلاح.

(١) انظر سيرة ابن إسحق (كتاب السيرة والمغازي) ، ابن إسحق (محمد بن يسار المطلبي بالولاء المدني) ، تحقيق زهير زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م ، ص٥١.

(٢) البيان والتبيين ، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي) ، دار ومكتبة هلال ، بيروت ، ط١٤٢٣هـ ،، ج٢ ، ص١٤٣.

القرآن لغةً: هو الجمع، وكل شيءٍ جمعته فقد قرأته، وسُمِّي القرآن قرآناً؛ لأنَّه جمع القصص والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران، وقد تطلق لفظة (قرآن) على الصلاة؛ لأنَّ فيها قراءة وذلك من باب تسمية الشيء ببعضه، وقد تطلق لفظة قرآن على القراءة نفسها فيُقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآناً[1].

والقرآن اصطلاحاً: هو كلام الله تعالى المعجز الموحَى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي الأمين جبريل عليه السلام؛ لينذر به الخلق أجمعين، ويدعوهم إلى توحيد ربِّ العالمين، والمكتوب بين دفتي المصحف، والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، والمنقول إلينا بالتواتر، والمتعبد بتلاوته، والمحفوظ إلى آخر الدهر، والمشتمل على خيري الدنيا والآخرة[2]. وسُمِّي قرآناً لكونه متلواً بالألسن، وسُمِّي كتاباً لكونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أنَّ من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضعٍ واحد؛ أي يجب حفظه في الصدور والسُّطور جميعاً[3].

فالقرآن الكريم هو كتاب الله المعجز في أحكامه ومعانيه وألفاظه وأساليبه، وهو دستور الله القويم، وهو المعين الذي لا ينضب من كثرة الناهلين منه والبحر المحيط الزاخر الذي لا ينفد مع كثرة الواردين عليه، عطاؤه متجدد، عجائبه لا تنقضي، لا تشبع منه العلماء، ولا يبلى على كثرة الرد.

نزل القرآن الكريم للبشرية جمعاء بلسان العرب وغلبها فصاحةً وبياناً، وقد وُصف القرآن في القرآن بالفصاحة والبيان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. وكذلك قوله في آية أخرى مؤكداً على صفة الإبانة: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ • نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ • عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ • بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وقد وصف القرآن نفسه في غير ما موضع بالبيان، هذا البيان

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (محب الدين أبو السعادات المباركبن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م ، ج٤ ، ص٣٠.

(٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني (محمد عبد العظيم) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، بلا م ن ، ط٣ ، بلا ت ط ، ج١ ، ص٤٣١.

(٣) انظر جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين ، السندي (أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور) ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، بلا ط ، بلا ت ط ، ص٨.

عند علماء اللغة هو الفصاحة، وهذا يعني أنَّ القرآن قد انتقى أفصح وأبين اللهجات العربية فنزل بها. وفي تعدد أحرفه دليلٌ على ما ذهبنا إليه. وتوافر معيار الفصاحة في لهجة من اللهجات هو أساس في اشتمال لغة القرآن عليها، ولهذا فقد كانت ميزة الفصاحة والبلاغة والبيان ـ دوماً وأبداً ـ من أهمّ مزايا الأسلوب القرآني؛ إذ لم يرد فيه لهجة يمكن وصفها بعدم الفصاحة البتَّة. وإذا كان الأمر كذلك فلنلقِ نظرة في القبائل التي تألَّف من لهجاتها لغة القرآن.

القبائل التي نزل بلهجتها القرآن الكريم تتمثل في كلٍّ من قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بني بكر وثقيف وخزاعة وأسد وضبة وكنانة وخزيمة وقيس[1]. هذه القبائل المذكورة هي أفصح القبائل العربية على الإطلاق، وقد قيل نزل القرآن الكريم على لغة قريش، وهذا لا يتعارض وقولنا إنَّه نزل على لسان تلك اللهجات السابقة؛ وذلك لأنَّ المراد بذلك الغلبة؛ أي أنَّ جلَّ النصوص نزلت بلهجة قريش ولكن بالمقابل هنالك جزءاً آخر من القرآن غير يسير قد نزل بلهجة غيرها من القبائل. والسر في نزول معظم القرآن على لسان قريش هو أنَّ القبيلة القرشية قد قطعت شوطاً كبيراً في انتقاء أفصح اللهجات، وتلقتها بقية القبائل بالقبول، فكانت اللهجة القرشية أفصح لهجات القبائل العربية قبل نزول القرآن؛ وذلك أنَّ القبيلة القرشية كانت تتمتع بالقدرة على التعبير عمَّا في نفسها بسبب انتقائها للأفصح من كلام العرب، لذلك لم يكن عجيباً أنْ ينزل القرآن في شطرٍ كبيرٍ من نصوصه بهذه اللهجة، ولم يكنِ الأسلوب القرآني في حاجة إلى إعادة بناء هرم من فصيح اللهجات مخالفاً لما تعوده الناس وألفوه، فقد كَفَتْ لهجةُ قريش الأسلوبَ القرآني في هذا الأمر، فاكتفى الأسلوبُ القرآني بتكملة المشوار الذي بدأته القبيلة القرشية بدلاً من التأسيس من الصفر، فلمَّا صح معيار الانتقاء القرشي للأفصح من كلام العرب أكمل الأسلوبُ القرآني ما بدأه القرشيِّون، بحيث أضاف لهجات لم تدرج ضمن اللهجات الفصحى التي اختارتها قريش.

ويمكن القول لئن قدرت قريش على أنْ تقطع شوطاً في التنقيب عن أفصح

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، بلا م ن ، ط١ ، ١٣٧٦هـ. ١٩٥٧م ، ج١ ، ص٢١٧.

اللهجات وأبينها من لهجات القبائل العربية فإنَّها في جميع أحوالها لم تبلغْ الحدَّ النهائي في اختيار سائر الفصحى من اللهجات، فما كان الأسلوب القرآني ليكتفي بما أقرته قريش، وبالمقابل لا يتجاوز ـ في الوقت نفسه ـ القدر الفصيح الذي اعتمدته قريش، بل بدلاً من ذلك أكمل ما بدأته قريش في عملية الانتقاء، لذلك غلب أسلوب القرآن كل لهجات القبائل العربية فصاحةً وبلاغةً بما فيها اللهجة القرشيَّة.

وممَّا سبق ذكره تبين لنا أنَّ القرآن قد وصف نفسه بالبيان، وقد نزل بلسان أفصح اللهجات، وتغلب أسلوبه على اللسان القرشي نفسه؛ لأنَّه بدأ من حيث انتهى بالقرشيين الانتقاء. فبزَّتْ فصاحتُهُ سائر اللهجات، لذلك كلِّه اتخذ منه النحاة مصدراً أساسياً لتقعيد قواعدهم النحوية على الصعيد النظري. وليس صحيحاً ما يُشاع عن مدرسة البصرة ـ بكونها الواضع الأول لقواعد النحو ـ من أمر عدم احتجاجها بالقرآن الكريم، بل يعد القرآن الكريم عند نحاة البصرة أقوى مصادر التقعيد؛ لأنَّه كتاب الله الذي تعهد بحفظه وشهد له القرشيون أنفسهم بالفصاحة والبلاغة والبيان على نحو ما ذكرتُ آنفاً، فأكثر البصريون من الاستشهاد بآياته إلا أنَّ الاحتجاج بالقرآن الكريم عند أوائل البصريين يُعد استدلالاً للقاعدة النحوية التي وضعوها على الشائع الأعم من كلام العرب، ثم تطورت الحياة العقلية فيما بعد وشاع الجدل والمنطق فصارت القاعدة النحوية عند متأخري نحاة البصرة تصحح وترجح وتضعف القراءات القرآنية نفسها، ولعلَّ ذلك يفسر القول الشائع بين الباحثين أنَّ البصريين لم يحتجوا بالقرآن الكريم، وربما خالج قولهم بعض الصواب في أنَّ البصريين لم يقبلوا الاستشهاد بكل قراءات القرآن الكريم، وكتاب سيبويه مليء بآيات الذكر الحكيم التي كانت دليلاً وبرهاناً وشاهداً ونموذجاً لصحة ما وضع البصريون من قواعد.

ثانياً: القراءات القرآنية:

إنَّ القرآن الكريم قد نزل على سبعة أحرف كلهنَّ شافٍ كافٍ؛ وذلك لتعدد ألسنة العرب بلهجاتٍ متباينة أفصحها القرشية، هذه القراءات متواترة السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فاعتنى المسلمون في الأمصار المختلفة بهذا الفن، وعُرف كل مصرٍ بقارئ تؤخذ منه القراءة.

وكانت هذه القراءات القرآنية واحدة من المصادر التي قعَّدَ عليها النحاة الكثير من القواعد النحوية، علماً بأنَّ هنالك قراءات مشهورة متواترة وقراءات شاذة وقراءات الآحاد.

تباين منهج النحاة في مسألة الاحتجاج بهذه القراءات، فمنهم من أجمع على أنَّ كلَّ القراءات سواء ما تواتر منها أو شذَّ يُحتجُّ بها في العربية، ومنهم من احتجَّ بما كان مشهوراً متواتراً، ومنهم من احتجَّ بما وافق منها قياسهم[1].

وكانت القراءات القرآنية محل اهتمام المقعدين الأوائل أمثال أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد، بل إنَّ اهتمامهم بهذه القراءات هو الذي وجههم إلى تقعيد النحو، وأخذوا منذ ذلك الحين في الملاءمة بين القراءة والعربية؛ أي بين ما رووا وسمعوا من القراءة وبين ما رووا وسمعوا من العرب، وكانت هذه الملاءمة أحياناً بالتأويل وقليلاً بتخطئة القراءة، فكانت القراءات أرضاً خصبةً جال فيها النحاة سلفاً وخلفاً سابقون ولاحقون، يأخذونها حيناً ويردون بعضها حيناً آخر، وقد أسهموا بجهدٍ مقدر في توجيه القراءات والتعليل لها سواءً في القراءات السبعة أو الشاذة.

وهذا هو سيبويه يكثر من الاستشهاد ببعض القراءات التي قرئت بها شواهده من القرآن الكريم، وأكثر معوله في ذلك على العربية ومبلغ القراءة التي يعرض لها من الموافقة للكثير الشائع من الأساليب واللغات، وعلى تحليل النص وإبراز معناه وإيضاح ما يكون بينه وبين أشباهه من فروق[2].

ويقول سيبويه في باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده: "وحدثنا من نثق به أنَّه سمع من العرب من يقول: (إنَّ عمراً لمنطلق) وأهل المدينة يقرؤون: ﴿وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: ١١١]، يخففون وينصبون"[3]، ثم يعلل لذلك، وهكذا يفعل.

وذهب شوقي ضيف إلى أنَّ الكسائي هو أول من بدأ تخطئة القراءات واستدل بأنَّ

(١) انظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني (أبو الفتح عثمان الموصلي) ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، بلا م ن ، ط١٩٢٠ هـ. ١٩٩٩م ، ج١ ، ص٨ . وانظر الاقتراح في علم أصول النحو ، السيوطي (جلال الدين) ، قرأه وعلق عليه محمد سليمان ياقوت ، دار المعارف الجامعية ، بلا م ن ، ط١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م ،، ص٢٤.

(٢) انظر المحتسب ، ابن جني ، ج١ ، ص٩.

(٣) الكتاب ، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م . ، ج٢ ، ص١٤٠.

الفراء ذكر كثيراً ـ في كتابه معاني القرآن ـ أنَّ الكسائي لا يجيز القراءة بهذا الحرف أو ذاك[1]. وممَّا كان يرُدُّه الكسائي ما أورده الفراء في كتابه (معاني القرآن) أنَّ الكسائي كان يرد قراءة الرفع في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢][2]. وذهب شوقي ضيف إلى أنَّ الفراء نفسه كان يخطئ أستاذه الكسائي حيناً ويخطئ بعض القراءات حيناً آخر، ويؤكد شوقي ضيف على أنَّ كلاً من الكسائي والفراء قد فتحا الباب للبصريين التالين لهما لتخطئة بعض القراءات، أمثال المازني والمبرد والزجاج، بينما أغلق الكوفيون الذين جاؤوا بعدهما هذا الباب، بل مضوا إلى التوسع في الاحتجاج بالقراءات الشاذة مقتدين بالأخفش[3].

ومن تحليل شوقي ضيف السابق حول قبول ورد النحاة للقراءات يتبين لنا أنَّ النحاة بصرييهم وكوفييهم قد احتجوا ببعض القراءات وردوا بعضها، احتجوا بما تواتر منها ولم يخالف أقيستهم، كما احتجوا بما شذَّ منها ووافق أقيستهم أو لم يوافقها ولكن وجدوا لها تأويلاً وتعليلا وردوا ما دون ذلك.

وإذا تتبعنا كل ما ورد في المصادر النحوية الأولى من قراءات وما دار حولها من قواعد يتبين لنا أنَّ القراءات القرآنية كانت مصدراً أساسياً في عملية التقعيد النحوي، ومن القواعد النحوية العامة التي أسهمت القراءات في تقعيدها ما يلي:

قاعدة نصب المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء حملاً له على التمني، فقد أُخذتْ هذه القاعدة من قراءة حفص في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ • أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، بنصب الفعل المضارع (اطَّلع)[4].

كذلك من القواعد التي قعدت من القراءات قاعدة جواز الرفع والنصب والجزم

(١) انظر المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، بلا ت ط . ، ص١٥٧.

(٢) انظر معاني القرآن ، الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي) ، تحقيق أحمد يوسف النجاني ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشبلي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ط١ ، بلا ت ط ، ج٢ ، ص١٠٠.

(٣) انظر المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، ص١٥٧.

(٤) انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام (عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين)، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بلا م ن ، بلا ط ، بلا ت ط ، ج١ ، ص١٢١ . وانظر الحجَّة في القراءات السبع ، ابن خالويه (الحسين بن أحمد أبو عبد الله) ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠١هـ ، ص٣١٥.

في الفعل المضارع الواقع بعد الشرط وجوابه، فقد أُخذتْ هذه القاعدةِ من القراءة الواردة في قولهِ تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فقد قرأ عاصِم وابنِ عامر برفع (يغفر) وقرأ باقي السبعة بالجزم وقرأ ابن عباس بالنصب[١].

والقواعد التي قُعِّدَتْ من القراءات القرآنية كثيرة جداً، ولكني أتيتُ بهاتين القاعدتين النحويتين لأُثبت أنَّ القراءات القرآنية كانت إحدى المصادر المهمة التي قعَّدَ عليها النحاة قواعدهم النحوية.

المصدر الثاني
الشعر العربي

قيل في حده هو قولٌ موزونٌ مقفى[٢].

وقال ابن رشيق القيرواني في حده: "الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي: اللفظ والمعنى والقافية والوزن"[٣].

وحد الشعر عند ابن خالويه: "هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عمَّا قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به"[٤].

كان الشعرُ مصدراً أساسياً من مصادر النحاة عند التقعيد، ومن أكثر المصادر التي اعتمدوا عليها؛ ولعلَّ السر في ذلك يرجع إلى كثرة أشعار العرب وإلى استخدام الشاعر اللغة العالية في شعره متحاشياً عيوب لهجة قبيلته كالكشكشة والكسكسة والعنعنة وغيرها؛ ذلك أنَّ الشاعر يحمل أشعاره محمل الجد فهو لسان قبيلته، علاوة على ذلك فإنَّ الاستشهاد بما اعتاده الشاعر وبما اعتاد عليه العامة ـ وهو بين أيديهم ـ أقوى في الإقناع والتصديق بصحة القاعدة من الاستشهاد بما هو بعيد عن العامة، أضف إلى ذلك أنَّ الشعر أوثق من النثر؛

(١) انظر المقتضب ، المبرد (محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأسدي أبو العباس) ، تحقيق محمد عبد الخالق عطيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا ط ، بلا ت ط.، ج٢ ، ص٢٢ . وانظر الحجة في القراءات السبع ، ابن خالويه ، ص١٠٤.

(٢) انظر نقد الشعر ، قدامة بن جعفر (ابن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج) ، مطبعت الجوانب ، القسطنطينية ، ط١ ، ١٣٠٢هـ ، ص٣.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق الغيرواني الأزدي ، تحقيق محمد محي الين عبد الحميد ، دار الجيل ، بلا م ن ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ج١ ، ص١١٩.

(٤) مقدمة العلامة ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) ، ابن خلدون (عبد الرحمن) ، دار الفكر ، لبنان. بيروت ، ط١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م ، ص٦٢٥.

لأنَّه مقيد بالوزن والقافية، فهو أوثق من غيره في سلامة وصوله إلى النحاة، وهذا لا يعني أنَّه سَلِمَ من الوضع واللحن والتعديل، إلا أنَّه أقلَّ نصيباً في ذلك إذا ما قُورن بالكلام النثري. ولتلك الأسباب ولغيرها كان الشعر مصدراً مهماً من مصادر التقعيد النحوي.

وكان عمر بن الخطاب يقول: "كان الشعر علم قوم ولم يكن لهم علمٌ أصح منه"(١)، وقالَ أبو عمر بن العلاء: "ما انتهى إليكم ممَّا قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير"(٢). وقد اجتمعتْ كلمةُ النحاة على الاحتجاج بأشعار الجاهليين، وتلاقحتْ آراؤهم وتضافرتْ على الاستشهاد بأشعار المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. وأكثرهم صحح الاستدلال بشعر الإسلاميين المتقدمين كالفرزدق وجرير، رغم أنَّ منهم من لحَّنَ الفرزدق وخطَّأ الكميت وذا الرمة كأبي عمرو بن العلاء والحضرمي، ولم يقبل أكثرهم الاستشهاد بشعر المولدين مثل بشار بن برد وأبي نواس. وإنَّ آخر شاعر اُستشهد بشعره هو إبراهيم بن عليّ بن مسلمة بن هرمة الكناني المتوفى سنة (١٧٦هـ). وأول شاعر لم يستشهد بشعره هو بشار بن بردٍ المتوفى سنة (١٦٧هـ)، هذا رغم استشهاد سيبويه بشعره، وعلل السيوطي استشهاد سيبويه بشعر بشار بقوله: "وقد احتجَّ سيبويه في كتابه ببعض شعره تقرباً إليه؛ لأنَّه كان هجاه لترك الاحتجاج بشعره"(٣)، وتعليل السيوطي ـ مع علو قدره ـ مجانب للصواب؛ وذلك أنَّ الكتاب لم يعرف إلا بعد موت سيبويه على يد الأخفش الأوسط؛ ولذلك فإنَّ علم بشار بعدم استشهاد سيبويه بشعره في الكتاب أمرٌ مستبعد، إلا أنَّ فصاحة بشار وقوة شعره هي التي حدتْ بسيبويه للاستشهاد بشعر بشار، واستشهاد سيبويه بشعره لا يعني أنَّ جمهور النحاة قد قبلوا ذلك.

إذن معرفة الشاعر أمرٌ ضروري في مسألة الاحتجاج أو الاستشهاد بشعره؛ لذلك ذهب ابن الأنباري في إنصافه إلى عدم جواز الاحتجاج بشعرٍ لا يعرف

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، البغدادي (عبد القادر بن عمر) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م. ، البغدادي ، ج٤ ، ص٤٢٤.

(٢) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي (محمد) ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، مطبعة المدني ، بلا ت ط .، ج١ ، ص٢٥.

(٣) انظر الاقتراح في علم أصول النحو ، السيوطي ، ص٤٤.

قائله[١]. ويقول السيوطي معلقاً على قول ابن الأنباري: "وكأنَّ علة ذلك خوف أن يكون المولد أو من لا يوثق لفصاحته ومن هذا يعلم أنْ يحتاج إلى معرفة أسماء شعراء العرب وطبقاتهم"[٢]، لذلك وُجِّه طعن في استشهاد سيبويه بأشعارٍ لم يُعرف قائلوها، إلا أنني أخالفهم الرأي وأقول يجب إحسان الظن في رجلٍ قد ألَّف هذا الكتاب، وقد صدق فيمن روى عنهم بشهادة يونس بن حبيب ويجب أنْ نأخذ بما ثبت لدينا من أمر صدقه ورسوخ قدمه بدلاً من الأخذ بما لم يثبت عنه، وفيما أحسبُ أنَّ سيبويه كان يعلم أسماء قائليها إلا أنَّه انشغل عن ذكر أسمائهم بما حملته أشعارهم من أوجه استشهاد. هذا، والشعر العربي كان من أكثر المصادر التي احتجَّ بها النحاة واستشهدوا بها، وخير دليلٍ على ما ذكرتُ هو أنَّ الكتاب وحده قد احتوى على ألفٍ وخمسين بيتاً من الشعر.

وقد استُثني بعضهم جواز الاستشهاد بكلام وأشعار أئمة اللغة ممَّن ثبتت فصاحتهم مثل حبيب بن أوس الطائي والإمام الشافعي وغيرهم.

وجديرٌ بالذكر أنَّ كثيراً من الشواهد الشعرية قد رُويت بروايات متعددة، وبتعدد الروايات تتعدد القاعدة أو يتولد التأويل، وتعدد الروايات يُعزا إلى احتمال كون الشاعر أنشد بيته مرةً برواية ومرةً بأخرى.

وكان الكوفيون أجمع للشعر من البصريين؛ وذلك لأمرين: أمَّا أولهما فإنَّ الكوفة قد انشغلت عن التقعيد بالقراءات القرآنية وجمع الأخبار والنوادر والأشعار؛ لذلك هي أكثر جمعاً للشعر من البصريين. وأمَّا الأمرُ الثاني فهو ما رُوي من أمر النعمان بن المنذر أنَّه أمر بنسخ أشعار العرب، فنُسخت له في الطنوج ثم دفنها في قصره الأبيض إلى أن جاء المختار بن عبيد الثقفي فقيل له إنَّ تحت قصرك كنزاً فاحتفره فأخرج تلك الأشعار، فاستعان بها الكوفيون[٣]. لذلك كانوا أعلم بالشعر من أهل البصرة، مع أنَّي لا أعول على الأمر الثاني؛ لأنَّه لا يكون دليلاً على علم الكوفيين بالشعر كما هو دليلٌ عليهم، إذ أنَّ هذه الرواية إذا صحتْ ثبت اعتماد الكوفيين على ما

(١) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين) ،المكتبة العصرية ، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ابن الأنباري ، ج٢ ، ص٣٥٥.

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو ، السيوطي ، ص٤٢.

(٣) انظر في تاريخ الأدب الجاهلي ، على الجندي ، مكتبة دار التراث ، بلا م ن ، طبعة دار التراث ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص١٤١.

دون من شعر في عهد النعمان، علماً بأنَّ الكتابة لم تنضج عند العرب بعد، الأمر الذي يدخل احتمال حدوث تصحيف أو تحريف في تلك الأشعار، خصوصاً وأنها كُتبتْ في ذلك العهد الأول، ولم يكن قد وضع النقط، سواء كان نقط الحروف أو نقط الإعراب، وكلاهما مهمٌ في تحديد دقة الرواية. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الكوفيين أكثر جمعاً وروايةً وحفظا للشعر من البصريين، لذلك كلما قعَّد البصريون قاعدة نحوية ما أتى الكوفيون بأشعار تخرج عن قواعدهم.

ومهما يكن من أمر الشعر فإنَّه مثَّل عاملاً مهماً ومصدراً أساسياً استمد منه النحاة قواعدهم واستشهدوا به على صحتها. فكان لهم حجة دامغة وعليه قُعِّدَ معظم القواعد النحوية إنْ لم تكن جميعها.

المصدر الثالث

النثر العربي

النثر العربي هو الذي يشمل أقوال العرب وأمثالهم، والنثر مصدر مهم من مصادر الاحتجاج النحوي. وقد اعتدَّ النحويون بالنثر في عملية تقعيدهم. وعلى الرغم من استشهادهم به فإنَّه يظل قليلاً بجانب الشعر؛ وذلك لعدة أمور منها أنَّ الشعر قد ضبط بالوزن فهو أقرب إلى السلامة من النثر، إضافة إلى سهولة حفظه وأنَّ الشعراء هم أعلى أفراد القبيلة فصاحةً، وكذلك منها أنَّ الأشعار تنشد باللغة العالية؛ إذ يتخلص الشاعر من عادات لهجته عند إنشاد الشعر بخلاف النثر، أضف إلى ذلك أنَّ الأشعار تعرض على القبيلة القرشية ـ في غالب الأحيان ـ ممَّا يؤكد فصاحتها بخلاف النثر. لما ذكرتُ من أسباب أو لغيرها كان النثرُ أقلَّ درجةً في الاستشهاد من الشعر في عملية التقعيد.

أولاً: **كلام العرب:**

المراد به كلام العرب الفصحاء، إذ بنى النحاة كثيراً من قواعدهم على ما سمعوه من الأعراب إمَّا بالذهاب إلى البادية، وإمَّا ممَّن كانوا يترددون على المدن، وقد تحروا الفصاحة والصدق فيمن أخذوا عنهم، فلم يؤخذ من حضريٍّ ولا عن سكان البراري ممَّن جاءوا إلى الحضر، وقد جاء في الاقتراح: "وأمَّا كلامُ العرب فيحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم"[1]، فلم يتحرج كبار النحويين من مسألة الاستشهاد على لغة التخاطب العامة معتمدين على المشافهة أو رواية الثقات، وكتاب سيبويه خير دليلٍ على

(١) الاقتراح في علم أصول النحو ، السيوطي ، ص٣٣.

ذلك، إذ يعد كل ما ورد فيه من كلام العرب حجة قاطعة للنحويين من بعده؛ لذلك كثيراً ما نجد في الكتاب قول سيبويه حدثنا فلانٌ أنَّه سمع بعض العرب، وقوله: حدثنا من يوثق به[1]. ومن ذلك قوله: "حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب"[2]. ومن كلام العرب الفصيح المستشهد به قولهم: "هل قريباً من أحدٌ"[3] واستشهد به في باب ما ينتصب من الأماكن والوقت[4]. ومن كلامهم: "ما مررتُ بأحدٍ إلا زيداً"[5]. واستشهد به في باب (النصب فيما يكون مستثنى مبدلاً)[6] ومن كلامهم: "هذا ابن عرس مقبلٌ"[7] واستشهد به في باب (من المعرفة ما يكون فيه الاسم الخاص شائعاً في الأمة)[8].

ثانياً: الأمثال:

جاء في لسان العرب المثلُ الشيء الذي يضرب لشيء مِثْلاً فيُجعل مِثْله[9]. والمثلُ هو عبارة عن مقولة قصيرة موجزة تصيب المعنى قيلت في مناسبة خاصة ثم صارت تضرب في كل مناسبة مشابهة للمناسبة الأولى التي قيلت فيها.

والمثل لا ينتج إلا عن عقلٍ راسخ، وهو لونٌ من ألوان الحكمة السائرة بين الناس، يقولها السيد والمسود، ويحفظها الإنسان بسهولة. إذن يمكن القول بأنَّها المعنى الكبير في اللفظ الوجيز، أو المعنى الشريف في اللفظ الكريم، مع خاصية الشيوع وكثرة الاستخدام، وفي ذلك يقول صاحب العقد الفريد عن الأمثال: "هي وشي الكلام وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ولا عمَّ عمومها، حتى قيل أسير من مثل"[10].

ولهذه الأمثال خصائص تميزت بها منها الإيجاز وإصابة المعنى وحسن التشبيه وحسن الكناية، وقد ضرب الله تعالى الأمثالِ في القرآن ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن

(١) انظر الكتاب، سيبويه، ج١، ص٢٥٥.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٨٣.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٩.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٩.
(٦) المصدر السابق، ج٢، ص٣١٩.
(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٧.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٣.
(٩) انظر لسان العرب، ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الأفريقي)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.، ج١١، ص٦١١، مادة (مثل).
(١٠) العقد الفريد، ابن عبد ربه (أبو شهاب الدين أحمد بن محمد بن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي)، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٠٤هـ، ج٣، ص٣.

يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾ [الكهف: ٣٢]، وكذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الأمثال في كلامه ومن ذلك قوله: "... إنَّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى"(١) ومن أمثال العرب في الجاهلية قولهم: "كيف أعاودك وهذا أثر فأسك"(٢) وقولهم: "سبق السيف العذل"(٣) وقولهم: "تسمع بالمعيدي خيرٌ من أنْ تراه"(٤) وكذلك قولهم: "إنَّ الليلَ طويلٌ وأنت مقمرٌ"(٥) وقولهم: "اضراطا وأنت الأعلى"(٦).

هذا، وأمثالُ العرب أكثر من أنْ تحصى أو تعد وقد أُلِّفتْ فيها المصنفات الضخمة التي منها أمثال العرب للمفضل الضبي، والأمثال للسدوسي والأمثال لابن سلام، وجمهرة الأمثال للعسكري، والأمثال للهاشمي، ومجمع الأمثال للميداني النيسابوري، والأمثال في القرآن الكريم لابن قيم الجوزية، وكتاب زهرة الأكم في الأمثال والحكم لليوسي، وكتاب السحر الحلال في الحكم والأمثال للهاشمي وغيرها كثير.

وقد استشهد بها النحاة عند تقعيدهم للقواعد النحوية حتى جعلوها مصدراً أساسياً من مصادر تقعيدهم إلا أنَّها أقل درجةً من المصادر السابقة ـ القرآن والشعر ـ أمَّا كونها مصدراً؛ فلأنَّها حِكَمٌ قيلت قديماً وما كان قديماً كان بعيداً عن اللحن؛ وأمَّا كونها أقل في الاعتماد عليها من سابقيها فذلك لعظمة القرآن وكثرة الأشعار.

وقد استشهد سيبويه وغيره من النحاة بالأمثال، ومن تلك الأمثال المستشهد بها قولهم: "تسمع بالمعيدي لا أنْ تراه"(٧) استشهد به سيبويه على تصغير كلمة (معدي). وكذلك ممَّا استشهد به سيبويه: "إطري فإنَّك ناعلة"(٨) وقد استشهد به المبرد في كتابه المقتضب فيما استخدم

(١) الزهد والرقائق ، ابن المبارك (أبو عبد الرحمن عبد الله بن واضح الحنظلي التركي المزوزي) ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا ط ، بلا ت ط ، ص٤١٥.

(٢) أمثال العرب ، المفضل الضبي (ابن محمد بن يعلي بن سالم) ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت.لبنان ، ط١ ، ١٤٠١هـ.١٩٨١م ، ص١٧٨.

(٣) المصدر السابق ، ص٤٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص٥٥.

(٥) المصدر نفسه ، ص٦٢.

(٦) المصدر نفسه ، ص٦٢.

(٧) الكتاب ، سيبويه ، ج٤ ، ص٤٤.

(٨) الأمثال ، ابن سلام (أبو عبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي) ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث ، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٠٠هـ.١٩٨٠م ، ص١١٥.

حملاً على الحكاية وقد أورده في باب (ما وقع من الأفعال للجنس على معناه) [١] وكذلك استشهد به ابن السراج[٢].

وكذلك من الأمثال المستشهد بها قولهم: "عسى الغوير أبؤسا"[٣] وقد استشهد بهذا المثل المبرد على تقدير خبر ليس بجملة فعلية وتقدير المثل عنده (عسى الغوير أنْ يكون أبؤسا)[٤] وقد استشهد به ابن جني في خصائصه في ذات المسألة[٥]. وابن الأنباري في إنصافه[٦].

ومن الأمثال المستخدمة في التقعيد قولهم: "أطرق كرا"[٧] إذ استشهد به ابن جني فيما كان أصله مفتوحاً فكسر عند الجمع مع حذف في آخره، فكلمة (كرا) بكسر الكاف أصلها (كروان) بفتح الكاف اسم طائر لا ينام الليل، فعند الجمع فتحت كافه وحذف آخره[٨]. ومن الأمثال المستشهد بها قولهم: "أسائرٌ اليومَ وقد زال الظهر!"[٩] استشهد به الزمخشري في باب (إضمار عامل المفعول فيه)[١٠].

أكثر النحاة من الاستشهاد بالأمثال العربية؛ وذلك لأنَّ الأمثال تحفظ وتنقل كما هي، الأمر الذي جعل النحوي يطمئن إلى صحتها، وبُعدها عن اللحن جعلها مصدراً مهماً وُضع عليه الكثير من القواعد.

المصدر الرابع

الحديث النبوي الشريف

هو كلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم الصادق المصدق الذي زكاه ربه جلَّ في علاه تزكيةً شاملةً، فقد زكى خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، زكى عقله: ﴿وما صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، زكى فؤاده: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، زكى بصره: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]، زكى صدره: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، زكى ذكره: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

(١) المقتضب ، المبرد ، ج٢ ، ص (١٤٠-١٤٥).
(٢) انظر الأصول في النحو ، ابن السراج(أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي) ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان - بيروت ، بلا ط ، بلا ت ط . ، ج١ ، ص١١٥.
(٣) مجمع الأمثال ، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت.لبنان ، بلا ط ، بلا ت ط، ج٢ ، ص١٧.
(٤) انظر المقتضب ، المبرد ، ج٣، ص٧٠.
(٥) انظر الخصائص(أبو الفتح عثمان) ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا ط ، بلا ت ط . ، ابن جني ، ج١ ، ص٩٩.
(٦) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ، ابن الأنباري ، ج١، ص١٣٢.
(٧) وتمام المثل (أطرق كرا إنَّ النعام في القرى) ، مجمع الأمثال ، الميداني ، ج١ ، ص٤٣١.
(٨) انظر الخصائص ، ابن جني ، ج٣ ، ص١٢٠.
(٩) الأمثال ، ابن سلام ، ص٢٤٥.
(١٠) انظر المفصل في صنعة الإعراب ، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله) ، تحقيق علي أبو ملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ م، ص٨٢.

[الشرح: ٤]، زكى هدايته: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، زكى قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣]، وهذه التزكية الشاملة دلالة على أنَّ كمالات الأخلاق انتهت عند قدمه صلى الله عليه وسلم.

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: "أنا أفصحُ العرب بيد أني من قريش ونشأتُ في بني سعد بن بكر"(١) وهو القائل: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب ولدتني قريشٌ، ونشأتُ في بني سعد بن بكر، فأنّى يأتيني اللحن"(٢) وهو القائل: "بُعثتُ بجوامع الكلم، ونصرتُ بالرعب..."(٣)، ليس هذا فحسب بل كان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قبيلة بلسانها، إذا يُروى عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "ليس من أم بر أم صيام في أم سفر"(٤).

لتلك الفصاحة صُنف الحديث النبوي الشريف واحداً من مصادر التقعيد النحوي، إلا أنَّ الخلاف قد دار حول الاستشهاد بالحديث لا لعدم فصاحة صاحبه صلى الله عليه وسلم؛ ولكن لأنَّ الفقهاء جوزوا رواية الحديث بالمعنى؛ ولأنَّ كثيراً من حملته من الأعاجم، لذا لم يستشهد به النحاة الأوائل، بحجة أنَّه قد دخل لفظه الحذف والزيادة والتبديل؛ لتجويز روايته بالمعنى.

والحقُ أنَّ النحاة الأوائل قد استشهدوا بالحديث النبوي الشريف، إلا أنّ اعتمادهم عليه كان قليلاً إلى حدٍ يصل لدرجة الندرة في بعض مؤلفاتهم.

وإنَّ أول من أثار قضية الاحتجاج بالحديث هو أبو الحسن بن الضائع، حينما نبَّه إلى أنَّ النحاة المتقدمين لم يستشهدوا به على قواعد النحو، وعلل ذلك بأنَّ الأحاديث رُويت بالمعنى، وفي ذلك يقول: "تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهادَ في إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا

(١) شرح السنة ، البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ج٤ ، ص٢٠٢.

(٢) المعجم الكبير ، الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم) ، تحقيق حمد بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ ، بلا ت ط ، ج٦ ، ص٣٥.

(٣) صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر)، البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ج٤ ، ص٥٤.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل (أبو عبد الله بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ج٣٩ ، ص٨٤.

في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّه أفصح العرب"[١]، وقد وجَّه ابن الضائع نقداً لابن خروف لاستشهاده بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول ابن الضائع في ذلك: "وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً، فإنْ كان على وجه الاستظهار والتبريك بالمروي فحسن، وإنْ كان يرى أنَّ مَنْ قبله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى"[٢].

وكذلك ممَّن منعوا الاستشهاد بالحديث في التقعيد النحوي أبو حيان؛ إذ وجَّه نقداً لصاحب كتاب التسهيل عند شرحه له بقوله: "قد أكثر هذا المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيتُ أحداً من المتقدمين ومن المتأخرين سلك هذه الطريقة غيره، على أنَّ الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائي والفراء وعلي بن المبارك والأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين؛ لم يفعلوا ذلك المسلك"[٣]. ومنذ ذلك الحين انقسمت آراء العلماء حول الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف إلى ثلاثة مذاهب: المنع مطلقاً والجواز بشروط والجواز مطلقاً، وفيما يلي عرضها بإيجاز.

المذهب الأول: **المنع مطلقاً:**

المنع مطلقاً قال به ابن الضائع وتلميذه ابن حيان وتبعهما جلال الدين السيوطي في المشهور عنه، وذلك ما يفهم من قوله: "وأمَّا كلامه صلى الله عليه وسلم فيُستدل منه بما ثبت أنَّه قاله على اللفظ المروي وذلك نادر جداً، إنَّما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً، فإنَّ غالب الأحاديث مرويٌ بالمعنى، وقد تداولها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدَّتْ إليهم عباراتهم فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ..."[٤] بل أنكر على ابن مالك صراحةً استشهاده بالحديث النبوي الشريف وذلك بقوله: "أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث"[٥] وقد شاركهم في

(١) خزانة الأدب ، البغدادي ، ج١ ، ص١٠.
(٢) خزانة الأدب ، البغدادي ، ج١ ، ص١٠.
(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص١٠.
(٤) الاقتراح ، السيوطي ، ص٢٩.
(٥) المصدر السابق ، ص٢٩.

تبني هذا الرأي الدينوري حين ذكر أنَّ النحو علم يستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى وكلام فصحاء العرب، ولم يذكر الحديث النبوي.[١] واستدل أصحاب هذا المذهب بأنَّ أكثر الأحاديث رويت بالمعنى، وأنَّ أكثر رواتها من العجم الذين لا يحسنون اللسان العربي، وهذا هو السبب الأقوى لدى أصحاب هذا المذهب ولدى النحاة الأوائل الذين لم يعتمدوا الحديث النبوي مصدراً للتقعيد النحوي.

المذهب الثاني: **الجواز بشروط:**

هذا هو مذهب الشاطبي؛ إذ جوَّز الاحتجاج بالحديث النبوي بشرط أن يكون الحديث المحتج به ممَّا نُقل لفظاً، كالأحاديث التي يُقصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم والأمثال النبوية[٢].

المذهب الثالث: **الجواز مطلقاً:**

أصحاب هذا المذهب بعض المتقدمين وجمهور المتأخرين والمحدثين. أمَّا المتقدمون فقد ذكر أبو حيان في شرح التسهيل للمرادي أنَّ أول من استشهد بالحديث النبوي الشريف هو ابن خروف وتبعه ابن مالك والرضي، وعاب عليهم ذلك. إلا أنَّي قد عثرتُ على ما ينافي أنَّ ابن خروف هو أول من استشهد بالحديث وهو ما ذهب إليه أحمد مكي الأنصاري من أنَّ الفراء هو أول من استشهد بالحديث[٣]. هذا رغم ذكر أبي حيان التوحيدي للفراء في عداد من لم يستشهدوا بالحديث النبوي الشريف،، وهذا الأمر يحتاج إلى وقوف عند مؤلفات الفراء النحوية حتى يتبين لنا الصواب.

أمَّا جمهور المحدثين فقد تبنوا هذا المذهب وهو الجواز مطلقاً وعلى مقدمتهم الدكتور محمود فجال في كتابيه (الحديث النبوي في النحو العربي) و(السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي)، ونُشر هذان الكتابان بنادي أبها الأدبي بالمملكة العربية السعودية، والدكتورة خديجة الحديثي في كتابها (موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف)، وسعيد الأفغاني في كتابه (أصول النحو)، والشيخ فتاح السليم في كتابه (المعيار في التخطئة والتصويب).

وقد صرَّح محمود فجال بمذهبه

(١) انظر المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢) انظر ظاهرة النفي في الحديث الشريف بين التوصيف والتنظير (دراسة نحوية في صحيح البخاري)، ثروت السيد عبد العاطي رحيم، رسالة ماجستير، مقدمة إلى جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض، إشراف أ. د عبد الرحمن السيد و أ. د أمين علي السيد، بلا ت، ص٧.

(٣) انظر أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، نشر الرسائل الجامعية، بلا م ن، بلا ط بلا ت ط، ص٨٨.

بقوله: "وأذهبُ مذهب من قال بجواز الاستشهاد بالحديث مطلقاً"[1] وأضاف قوله: "وبتبني فكرة الاستشهاد بالحديث مطلقاً نكون قد وسعنا دائرة الاستشهاد باعتبار الحديث الشريف مصدراً من مصادر الاستشهاد، وبالاستقاء من ينبوعه الفياض العذب الزلال ليصبح ربع النحو به خصيباً"[2].

أمَّا الدكتورة خديجة الحديثي فقد قالت: "يصح الاحتجاج بالحديث وفق الشروط التي وضعوها وبما ورد في الكتب المدونة في الصدر الأول ممَّا جاء في كتب الأدب والبلاغة وغيرها مستخلصين منها القواعد"[3].

أمَّا سعيد الأفغاني فقد فنَّد حجج المانعين وانتهى إلى قوله: "لا أدري لم ترفَّع النحويون عمَّا ارتضاه اللغويون من الانتفاع بهذا الشأن والاستقاء من ينبوعه الفياض العذب الزلال فأصبح ربع اللُّغة به خصيباً بقدر ما صار ربع النحو منه جديبا"[4] وقد ردَّ هؤلاء المؤيدون على أدلة المانعين بما يأتي[5]:

١/ إنَّ رواية الحديث بالمعنى أمرٌ مختلفٌ فيه بين علماء الحديث، ومن أجازها جعل أهم شروطها أن يكون الراوي عالماً بلغة العرب وبما يحيل الألفاظ عن معانيها، هذا ولا يُخفى أنَّ تغيير بعض الألفاظ من قبل بعض الرواة قد وقع في رواية الشعر أيضاً فنجد البيت الواحد يُروى بأوجه عدة، فلماذا تكون رواية الشعر بالمعنى حجة في النحو، ولا يكون الحديث النبوي كذلك، مع ملاحظة تشدد علماء الحديث في اشتراط عدالة الراوي وضبطه لما يرويه بما ليس له مثيل في رواية الشعر.

٢/ أمَّا قول من قال بأنَّ الحديث قد دخله الوضع والحذف والزيادة والتبديل؛ فلم يعد لهذا مكاناً بعد تدوين كتب الصحاح، وقد كان كثيرٌ منها موجوداً بين أيدي النحاة منذ عصور التقعيد.

ومهما يكن من أمر الخلاف الدائر حول مسألة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف فإنَّ العلماء النحاة المقعدين الأوائل لم يحتجوا بالأحاديث النبوية

(١) الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، نادي أبها الأدبي، أبها، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٣١٤.
(٢) المصدر السابق، ص٢٤.
(٣) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، خديجة الحديثي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ط١٩٨١م، ص٤٢٧.
(٤) في أصول النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط١٣٨٣هـ-١٩٦٣م، ص٥٣.
(٥) انظر ظاهرة النفي في الحديث الشريف، ثروت السيد، ص٨.

الشريفة لتلك الأسباب الآنفة الذكر، وهذا لا يعني أنَّهم لم يوردوها في مصنفاتهم، بل أوردوها ولكن على قلة، وحتى هذا القليل أوردوه على وجه التمثيل لا الاحتجاج والاستشهاد.

وأرى فيما أرى أنَّ النحاة الأوائل لم يحتجوا بالحديث النبوي الشريف لا لتلك الأسباب الآنفة الذكر؛ وإنَّما حدث عدم الاستشهاد بها لأنَّ النحاة لا يستشهدون للقاعدة النحوية العامة المطَّردة، ولكن استشهادهم لما شذَّ عن القاعدة، ولم يلتمسوا الشذوذ في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ أحاديثه من الفصاحة بمكان، فلا وجود للشذوذ فيها، وإذا رجعنا إلى الشواهد النحوية لتبين لنا أنَّها شواهدٌ جيء بها للاستدلال على ما خرج عن قواعدهم، وعليه فإنَّ عدم الاستشهاد بها لا يعد منقصةً في حقها بل يُعد كمالاً لها والله تعالى أعلم.

الخاتمـــــة

وعليه يمكن حصر المصادر التي تم بناء صرح النحو العربي عليها في القرآن الكريم وقراءاته المتعددة والشعر العربي برجزه والأمثال العربية وكلام العرب الفصح والحديث النبوي الشريف على خلاف كبير فيه وفي القراءات القرآنية. وكما حدَّد النحاةُ مصادرَ بعينها تُؤخذ منها اللُّغة ويُبنى عليها النحو فقد حددوا ـ كذلك ـ حدوداً مكانيةً وزمانيةً لذلك الأخذ خصوصاً فيما يتعلق بأشعار وأمثال العرب وكلامهم، أمَّا الحدود المكانية فهي بوادي نجد والحجاز وتهامة بل سموا فيها قبائل بعينها؛ لسلامتها وبعد ألسنتها عن اللحن، وأمَّا عن الحدود المكانية فقد جعلوا القرن الثاني هو نهاية الاستشهاد بالحضر والقرن الرابع هو نهاية الاستشهاد بالبادية.

النتائج:

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج ولعلَّ من أبرزها ما يلي:

١/ يُعد القرآن الكريم المصدر الأوَّل على الصعيد النظري والمصدر الثاني على الصعيد العملي.

٢/ عرض النحاة القراءات على كلام العرب فما خالفه منها أولوه فإن تعذَّر عليهم التأويل لم يترددوا في تخطئتها أو وصفها بالشذوذ.

٣/ وثق النحاة في الشعر أكثر من النثر لأنَّ الشعر ضابطه الوزن والنثر لا ضابطَ له؛ لذا كان الاستشهاد بالشعر أكثر من النثر.

٤/ تمَّ الاستشهاد بالأمثال العربية لقدمها؛ وما كان قديماً كان بعيداً عن اللحن.

٥/ لم يستشهد النحاة بالحديث النبوي الشريف لأنَّ العلماء جوزوا روايته بالمعنى وإنما السبب هو أن الاستشهاد يكون لما شذَّ عن القاعدة وليس في أحاديث النبي صلوات ربي وسلامه عليه شذوذ.

التوصيات:

١/ الوقوف على ما تمَّ الاستشهاد به من القراءات القرآنية.

٢/ دراسة مصنفات الفراء (يحيى بن زياد) للتأكد من صحة الرأي القائل باستشهاد الفراء بالحديث النبوي الشريف، مع ضرورة التفريق ما بين إيراد الحديث كمؤصل للقاعدة ومؤكد لها وممثل لها وبين الثلاثة بونٌ شاسع في الاستخدام.

المراجـــــع

١/ القرآن الكريم.

٢/ أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللُّغة، أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، نشر الرسائل الجامعية، بلا م ن، بلا ط، بلا ت ط.

٣/ الأُصول في النحو، ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي)، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، بلا ط، بلا ت ط.

٤/ الاقتراح في علم أُصول النحو، السيوطي (جلال الدين)، قرأه وعلَّق عليه محمد سليمان ياقوت، دار المعارف الجامعية، بلا م ن، ط١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٥/ الأمثال، ابن سلَّام (أبو عبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي)، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٦/ أمثال العرب، المفضل الضبي (ابن محمد بن يعلي بن سالم)، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٧/ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين)، المكتبة العصرية، بلا م ن، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨/ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام (عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين)، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بلا م ن، بلا ط، بلا ت ط.

٩/ البرهان في علوم القرآن، الزركشي (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط٢، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

١٠/ البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي) ، دار ومكتبة هلال، بيروت، ط١٤٢٣هـ.

١١/ جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، السندي (أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، بلا ط، بلا ت ط.

١٢/ الحجة في القراءات السبعة، ابن خالويه (الحسين بن أحمد أبو عبد الله)، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

١٣/ الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، نادي أبها الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٤/ الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٣،٢هـ ـ ١٩٩٣م.

١٥/ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي (عبد القادر بن عمر)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦/ الخصائص، ابن جني (أبو الفتح عثمان)، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، بلا ط، بلا ت ط.

١٧/ الزهد والرقائق، ابن المبارك (أبو عبد الرحمن عبد الله بن واضح الحنظلي التركي المزوزي)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ط، بلا ت ط.

١٨/ سيرة ابن إسحق (كتاب السير والمغازي)، ابن إسحق (محمد بن يسار المطلبي بالولاء المدني)، تحقيق زهير زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٩/ شرح السنة، البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي)، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٠/ صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر)، البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بلا م ن، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١/ طبقات فحول الشعراء، ابن سلَّام الجمحي (محمد)، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، مطبعة المدني، بلا ت ط.

٢٢/ العقد الفريد، ابن عبد ربه (أبو شهاب الدين أحمد بن محمد بن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٣/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بلا م ن، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٤/ في أصول النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٢٥/ في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، بلا م ن، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٦/ الكامل في اللُّغة والأدب، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٧/ الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٨/ لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الأفريقي)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٩/ مجمع الأمثال، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان، بلا ط، بلا ت ط.

٣٠/ المحتسب، ابن جني (أبو الفتح عثمان الموصلي)، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بلا م ن، ط١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣١/ المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٩، بلا ت ط.

٣٢/ مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (أبو عبد الله بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بلا م ن، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٣/ معاني القرآن، الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشبلي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، بلا ت ط.

٣٤/ المعجم الكبير، الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم)، تحقيق حمد بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، بلا ت ط.

٣٥/ انظر المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله)، تحقيق علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١.

٣٦/ المقتضب، المبرد (محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأسدي أبو العباس)، تحقيق محمد عبد الخالق عطيمة، عالم الكتب، بيروت، بلا ط، بلا ت ط.

٣٧/ مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، ضبط وشرح وتقديم محمد الأسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٨/ مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (محمد عبد العظيم)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، بلا م ن، ط٣، بلا ت ط.

٣٩/ موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، خديجة الحديثي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ط١٩٨١م.

٤٠/ نقد الشعر، قدامة ابن جعفر (ابن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج)، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.

٤١/ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (محب الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الاتجاه السياسي وأثره في شعر حزب الخوارج الأموي

دكتور/ عمار عبد الرحمن إسماعيل أمبدة(١)

المستخلص

هذه الدراسة عن (الاتجاه السياسي وأثره في شعر حزب الخوارج الأموي)، وهدفت الدراسة إلى التعريف بالخوارج، ومفهوم الشعر السياسي وتطوره عبر العصور الأدبية، ثم الحديث عن اتجاهاته وسماته في شعر حزب الخوارج الأموي، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع البيانات ثم تحليلها ووصفها، معتمدة في مادتها على المصادر التي تناولت شعر الخوارج، وخلصت الدراسة إلى عددٍ من النتائج أهمّها: إن شعر الخوارج السياسي اصطبغ بصبغة دينية مستمدة ألفاظها ومعانيها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. لهذا كان جديد في معانيه، وجديد في غايته، لأنه كان جاهداً في سبيل الحكم الصالح كما يرى الخوارج. توصي الدراسة بمزيد من الدراسات عن فنون الشعر الأخرى عند حزب الخوارج الأموي وعوامل تطورها.

Abstract

This study is about the political trend and its impact on the poetry of the Umayyad Khawarij Party. The study aimed at introducing the Khwarijis, the concept of political poetry and its development through the literary ages, and then talking about its trends and characteristics in the poetry of the Umayyad Khawarij Party. The study followed the descriptive analytical approach, And described, In its article on the sources that dealt with poetry Khawrij, and concluded the study to a number of results, the most important of which: The political Khwarij poetry was written in a religious tone derived from the words and meanings of the Holy Quran and the Sunna. This is new in meaning, and new in its purpose, because it was striving for good governance, as the Khawrijis believe. The study recommends further studies on the other poetry arts of the Umayyad Khawarij Party and its development factors.

(١) أستاذ الأدب والنقد المساعد – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – فرع كردفان.

مقدمـــة

الحمد لله الموفِّق لكلِّ خير، والحاثّ على كل بر، والدّال على كل فضل وإحسان. والصلاة والسلام على قدوتنا وحبيبنا محمد(صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه إلى يوم الدين وبعد:

لعلّ من أبرز ما يُميّز طبيعة شعر الخوارج السياسي أنّه شعر العقيدة المناضلة، والكفاح المسلّح، وهذه الطبيعة دفعتهم إلى إرساله على السجيّة ليعبّروا به عن موقف سياسيّ، يعارض نظام الحكم الأُموي الرسميً بأسلوب حماسيّ عنيف، وأنفاس قصيرة حادّة. فجاء شبيهاً بنظام الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، وبما أنشده شعراء الفتوح في العصر الإسلامي.

ومن هنا استطاع شعراء الخوارج أن يسجلوا الأحداث السياسية التي كانت في زمانهم، ويطلعوننا على اتجاهات شعرهم السياسي في معظم غاراتهم وغزواتهم ضد نظام الحكم الأموي. وهكذا كان للخوارج نصيب كبير في تأسيس الشعر السياسي الذي ازدهر في عصر بني أمية.

أولاً: أهمية الموضوع:

لتأتي أهمية هذا الموضوع في أنه يقدم دارسة أدبية نقدية للاتجاه السياسي وأثره في حزب الخوارج الأموي. ومن أهميته كيف انعكست الأحداث السياسية في العصر الأموي على نفوس شعراء الخوارج؟ السبب الذي أدى إلى ظهور اتجاهات سياسية واضحة في أشعارهم.

ثانياً: أهداف الموضوع:

الهدف من دراسة الموضوع الآتي:

١- أن يدرس نشأة حزب الخوارج وشعرائه بين الأحزاب السياسية الأخرى في العصر الأُموي.

٢- تأثير الاتجاه السياسي على الشعراء عبر العصور الأدبية المختلفة.

٣- التعرف على أهمّ اتجاهات الشعر السياسي وسماته عند شعراء الخوارج.

ثالثاً: حدود الدراسة:

١- حدود زمانية: انفصال الخوارج عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ، فكان ذلك المولد الرسمي لشعر الخوارج.

٢- حدود مكانية: ما قيل من شعر للخوارج؛ امتداداً من البصرة إلى الكوفة بالحدود الجغرافية المعروفة.

رابعاً: **منهج الدراسة:**

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمل على إيراد النص الأدبي، وتحليله تحليلاً يبرز ما يحويه النص الشعري.

خامساً: **هيكل الدراسة:**

قسم الباحث هذه الدراسة إلى مقدمة، ثم أربعة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: **التعريف بالخوارج.**

المبحث الثاني: **مفهوم الاتجاه السياسي في ال**شعر.

المبحث الثالث: **الاتجاه السياسي وأثره في شعر حزب الخوارج الأموي.**

المبحث الرابع: **سمات شعر الخوارج السياسي.**

الخاتمة.

الفهارس.

المبحث الأول

التعريف بالخوارج

الخوارج فرقة قديمة محسوبة على الإسلام، مغالية في معتقداتها الدينية، ظهرت في السنوات الأخيرة من خلافة الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ اشتهرت بالخروج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ؛ لرفضهم التحكيم بعد أن عرضوه عليه[١]. وقد ارتبط الخوارج على مدى تاريخهم بالتكفير والتطرف. وأهم عقائدهم: تكفير أصحاب الكبائر، ويقولون بتخليدهم في النار، ويكفرون عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة، ويقولون بالخروج على الحكام الظالمين والفاسقين[٢].

ويلقب الخوارج بالحرورية والنواصب والشراة والبغاة والمُحَكِّمة، والسبب الذي من أجله سموا خوارج لأنهم خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب ولم يرجعوا معه إلى الكوفة واعتزلوا صفوفه ونزلوا

(١) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (خرج): إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة- القاهرة، ص٢٢٥.

(٢) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، ج١، ص ٨٥٦.

بحروراء في أول أمرهم، وسموا شراة لأنهم قالوا شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة[١].

لقد كانت نشأت الخوراج نتيجة للأحداث السياسية، واستحوذت تلك الأحداث على اهتماماتهم، فانشغلوا في المقاومة والحروب والثورة على السلطة القائمة، والمعارك التي قامت بينهم وبين مخالفيهم، وفضلاً عن ذلك فهم أصحاب سلوك عملي في العبادة، كل ذلك جعلهم أهل عمل لا نظر، لذا قل الجانب النظري عندهم، مما يجعل إنتاجهم في المسائل الكلامية قليلاً، لكنه ليس منعدماً، حيث إن هذه المواقف العملية قد استندت إلى أساس اعتقادي نظري. ولقد ذكر ابن النديم أسماء متكلميهم، ومنهم اليمان بن رباب حيث كان نظاراً متكلماً مصنفاً للكتب، وله في ذلك كتاب المخلوق، وكتاب التوحيد، وكتاب أحكام المؤمنين وغيرها[٢].

ومنهم يحيى بن كامل بن طليحة الخدري، وكان إباضيّاً، وله كتاب في الرد على الغلاة وطوائف الشيعة، ومنهم عبد الله بن يزيد كان أباضياً ومن أكابر الخوراج ومتكلميهم، وله كتاب في التوحيد، والرد على المعتزلة. ويشير هذا إلى وجود المصنفات الكلامية عند الخوارج وأنهم اهتموا بالرد على مخالفيهم[٣].

انقسم الخوراج إلى فرق كثيرة قال عنها الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) أنهم: «عشرون فرقة، وهذه أسماؤها: المحكمة الأولى والأزارقة والنجدات والصفرية، ثم العجاردة المفترقة فرقاً منها: الخازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها، والصلتية والأخنسية والشبيبية والشيبانية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والحمزية والشمراخية والإبراهيمية، والواقفة والإباضية، والإباضية منهم افترقت فرقاً معظمها فريقان: حفصية وحارثية. فأما اليزيدية من الإباضية والميمونية من العجاردة فإنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة[٤].

ومن أشهر فرق الخوارج وأكثرها انتشاراً: الإباضيَّة أتباع عبد الله بن

(١) الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل ودراسة): علي عبد الفتاح المغربي، مكتبه وهبة، ط٢، ١٩٩٥م، ص١٦٩-١٧٠.

(٢) الفهرست: ابن النديم، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٣) المرجع نفسه: والصفحات.

(٤) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،، مكتبة دار التراث- القاهرة، ط ٢٠٠٧م، ص٨١.

أباض التميمي، والأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، والنجدات أتباع نجدة بن عامر الحنفي، والصفرية أتباع زيّاد بن الأصفر[١].

وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها، فذكر الكعبي في مقالاته: أنّ الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها تكفير علي وعثمان والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر. وقال الشيخ أبو الحسن: الذي يجمعهما إكفار علي، وعثمان، وأصحاب الجمل، ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما، والخروج على السلطان الجائر[٢].

وقد شارك الخوارج بشعرهم في طرح نظريتهم السياسية. ويمتاز شعرهم بأنه أصدق صورة أدبية لمذهب ديني سياسي. وقد احتفظوا بسَمْتهم البدوية فجاء شعرهم صريحًا جريئًا قويًا جمع صدق الشعور وقوة العقيدة وسلامة الخُلق والطبع. كما يمثل صورة للشعر الذي نشأ في ظل الإسلام، وتأدب بآدابه فأخذ من بلاغة القرآن ومن السُّنَّة المطهَّرة. ويلفت النظر أن شعراء الخوارج هم زعماء المذهب وحملة السيوف، ولذلك لم يظهر منهم فحول إذ كانوا في عجلة من أمرهم للفراغ من الشعر للدخول في المعركة، فمعظم شعرهم مقطوعات لا قصائد، في إيقاع قوي، وموضوعه الجهاد والشهادة والتحذير من القُعود والاستبشار بأولئك الذين نالوا الشهادة.

وشعرهم أكثر أشعار الفرق بعداً عن المدح أو الفخر أو الغزل، وأكثرُ اهتماماً بالحماسة ومواقف الجهاد الثائرة. وقد أفنى شعراء الخوارج عصبياتهم القبلية والعرقية في عقيدتهم المذهبية. ومن أشهر شعراء الخوارج عمران بن حطّان الذي يقول[٣]:

لَقَدْ زَادَ الحَيَاةُ إليَّ بُغْضــاً
وَحُبّاً لِلْخُرُوجِ أَبُــو بِــلَالِ
أُحَاذِرُ أَن أَمُوتَ على فِرَاشِــي
وَأَرْجُو المَوْتَ تَحْتَ ذُرا العوالي
وَلَوْ أنِّي عَلِمْتُ بأنَّ حَتْفِــي
كَحَتْفِ أبِــي بِلالٍ لَــمْ أُبَالِ

وكان منهم شاعرات مثل أم حكيم الخارجية ومن قولها وقد حملت على

(١) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص٩٠.
(٢) المرجع نفسه: ص٧٢.
(٣) شعر الخوارج: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٧٤ م، ص٢٣.

الناس في القتال[1]:

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهُ
وَقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَهُ وَغَسْلَـــهُ
أَلَا فَتىً يَحْمِلُ عَنِّي ثُقْلَـــهُ

ومن شعرائهم قطري بن الفجاءة، وأبو بلال مرداس بن أدية، وعمرو بن الحصين، وعمرو بن ذكينة الربعي، وغيرهم.

المبحث الثاني

مفهوم الاتجاه السياسي في الشعر

تعريفه:

هو ما ينظم في شأن من شؤون السياسة، يدعو به الشعراء لقبيلة أو حزب أو دولة أو لمبدأ متصل بالسياسة؛ لذا فإن دواعي نظمه هي: المنفعة أو العصبية أو تنبني فكرة.

وعبر هذا كان الشعر السياسي في العصر الجاهلي؛ يقتصره الشاعر على قبيلته في السلم والحرب متغنياً بأمجادها وفضائلها، ومفتخراً بانتصاراتها وبطولاتها، وهو في كل ذلك متبنياً لمواقف قبيلته ، معتمداً على الفخر والحماسة والمدح والهجاء ، وهي الأغراض الشعرية الشائعة ، وهذا ما عبر عنه الشاعر دريد بن الصّمّة قائلا[2]:

وما أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غَوَت
غويتُ وإن ترشُد غزيّة أَرشدِ

وفي العصر الإسلامي: احتدم الصراع الكلامي بين المسلمين ومشركي قريش فانبرى حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة يردُّون عليهم بأشعارهم، مدافعين عن المبادئ والقيم الإسلاميَّة السمحة، وفي ذلك اصطبغ شعرهم بصبغة سياسية، نابذاً فكرة العصبية القبلية، داعياً إلى الإسلام معتنياً بأمور الدولة الإسلامية يقول حسّان بن ثابت[3]:

أمَّا قُريش فإنِّي لَنْ أُسَالِمَهُمْ
حَتَّى يُنِيْبُوا منَ الغيَّات للرُّشْدِ
وَيَتْرُكُوا اللَّاتَ والعُزَّى بِمَعْزِلة
وَيَسْجُدوا كُلَّهُم للوَاحِدِ الصَّمَدِ

أما في العصر الأُموي: فقد كان هناك مجموعة من الأحزاب السياسية، من أشهرها حزب بني أُمية- والخوارج-

(١) أهدى سبيل إلى علمي الخليل: محمود مصطفى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص٥٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ص٦١.

(٣) السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج٤، ص٨٧.

والشيعة – والزبيريين. وكان لكل حزب من هذه الأحزاب شعراء يدافعون عنه في السّراء والضّراء.

يقول عبد الله بن همام السلولي مدافعاً عن حق بني أُمية في الخلافة[١]:

خِلافَةَ رَبّهمْ كُونوا عليها
كَما كُنتُمْ عَنَابِسة أسودا

وقال شاعر الزبيريين عبد الله بن قيس الرُّقيات ساخطاً على بني أُمية[٢]:

أنا عنكم بني أمية مُزْوَرٌّ
وأنتم في نفسي الأعداء

وأشار الكميت بن زيد الأسدي إلى مذهبه الشيعي معبراً في ذلك عن ولائه لآل البيت[٣]:

إلى النّفر البيض الذين بحبّهم
إلى الله فيمَا نابني أتقـــرّب
بني هاشم رَهْط النّبيّ وإنّنـــي
بهم وَلَهُم أرْضى مرَارًا وأغضب
وَمَالي إلاّ آل أَحْمد شيعـــةٌ
وَمَالي إلاّ مذهب الحقّ مذهب

أما شاعر الخوارج عمران بن حطان يقول عن أصحابه[٤]:

فَنحْن بَنو الْإِسْلَام والله واحدٌ
وَأولى عباد الله بالله من شكر

وفي العصر العباسي: ضعف الشعر السياسي لضعف الأحزاب السياسية؛ فالزبيري سقط نهائياً، والخوارج طحنتهم معاركهم مع الأُمويين، أما الشيعة فظلت ثوراتهم مطالبين بزوال العباسيين عن الحكم ورد الأمور إلى نصابها، إلا أن خوفهم من العباسيين جعلهم لا يعلنون ما ينظمون من الشعر، وما ينشرونه بينهم سرّاً. يقول الشاعر منصور النمري منددا بالعباسيين[٥]:

شاء من الناس راتع هامل
يعلّلون النّفوس بالباطـل
تقتل ذرّيّة النّبيّ ويـــــر
جون جنان الخلود للقاتل

ومن هنا كان شعراء الدولة العباسية يحرضون الحكام على الفتك ببني أُمية، وهو ما استجاب له الحاكم العباسي

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب: رزق الله بن يوسف، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣ م، ج٥، ص٢٣٠.

(٢) ديوان عبدالله بن قيس الرقيات: دار صادر– بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص٢٣.

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ /١٩٩٧ م، ج٤، ص٣١٤.

(٤) الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، دار الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ /١٩٩٧ م، ج٣، ص١٢٧.

(٥) الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث– القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ج٢، ص٨٤٨.

السّفاح، يقول سديف بن ميمون[1]:

لا يغرنك ما ترى مــن أناس
إن بين الضلوع داءً دويـا
فَضع السَّيْفَ وارفع السّوْطَ حتى
لا تَرَي فَوْقَ ظَهْرِها أُمَويّا

ومع مرور الزمن تلاشى الحديث عن الخلافة، وحين غلب العنصر الأعجمي على الحكم ظهرت نزاعات شعوبية عنصرية؛ وكان من روادها أبو نواس الذي عبر عن ازدرائه للعنصر العربي قائلاً[2]:

عاج الشقي على رسم يسائلـه
وعجت أسأل عن خمارة البلـد
يبكي على طلل الماضين من أسد
لا دَرَّ دَرُّك قل لي من بنو أسـد؟
ومن تميم ومـن قيس ولَفُّهما؟
ليس الأعاريب عند الله من أحد

وفي القرن الرابع الهجري أصبح بعض العرب يتذمرون من حكم الأعاجم على أنهم لا يصلحون للحكم ولا عهد لهم ولا ذمم. وفي ذلك قال المتنبئ[3]:

وإنما الناسُ بالملوك وما
تفلحُ عُرْبٌ ملوكها عجمُ
لا أدب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمــم

وكذلك نجد هذا الحال في معظم الدويلات التي تعاقبت على حكم الدولة الإسلاميَّة؛ خاصةً في عصري المماليك والعثمانيين، حيث حكم المماليك والعثمانيُّون كثيراً من البلاد العربية، فلم يجد العرب غضاضة على أنفسهم في حكمهم وهلل بعض الشعراء وفرحوا لانتصاراتهم. مما كان له أثر واضح في الساحة السياسية.

وفي العصر الحديث: عرف الشعر السياسي والوطني نشاطاً كبيراً، فقد اهتم الشعراء بجميع مناحي الحياة ذات الصلة بالسياسة، ولم يقتصر شعرهم على ما يقع في بلدانهم فقط، وإنما شمل جميع أحداث الوطن العربي والإسلامي. نظم أغلب الشعراء قصائد كثيرة يستنهضون شعوبهم للتحرر من الاستعمار بشتى أشكاله، ويؤازرونها في ثوراتها، ويساعدونها في الدعاية لقضاياها، وعرف هذا النوع بالشعر السياسي التحريري، أو الثوري.

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج١، ص٦٢.
(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط١٢، ص٩٩.
(٣) زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، دار الجيل، بيروت، ج٣، ص٦٤٤.

ومن أمثلة ذلك قول محمد العيد آل خليفة[1]:

يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم
فالعمر ساعات تمر عجالا
الأسر طال بكم فطال عناؤكم
فكوا القيود وحطموا الأغلالا
والشعب ضجّ من المظالم فانشدوا
حرية تحميه واستقلالا

عموماً تناول الشعراء فضح أساليب الاستعمار في قمع الشعوب، وتأييد الثورات التحريرية، والتنديد بالفساد السياسي، وتمجيد البطولة والفداء، وتشجيع المواقف الداعية إلى وحدة الشعوب العربية والإسلامية.

إذاً مفهوم الاتجاه السياسي في الشعر عبر العصور الأدبية التي ذكرت، يقودنا إلى الحديث عن الاتجاه السياسي وأثره في شعر حزب الخوارج الأُموي.

المبحث الثالث

الاتجاه السياسي وأثره في شعر حزب الخوارج الأُموي

اصطبغ شعر الخوارج السياسي في العصر الأُموي بصبغة دينية. وكانت هذه الصبغة في شعرهم السبب الجوهري والمحوري الذي دارت حوله المحاورات بين الأحزاب السياسية في عصر بني أمية.

لهذا كان أساس مذهب الخوارج مستمد من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومن قول الرسول-صلى الله عليه وسلم-في حجة الوداع : (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)[2].

وعلى هذا الأساس بنوا نظريتهم السياسية في حكمهم، على النحو التالي: ليست الخلافة حكراً لقبيلة أو أسرة كقبيلة قريش أو آل البيت، ولا لقومية كالعرب. فقد خالفوا الزبيريين الذين اشترطوا في الخليفة أن يكون عربيّاً قرشيّاً، وخالفوا الأُمويين الذين اشترطوا فيه العروبة والانتماء إلى بني أُمية، وخالفوا الشيعة التي حصرت الخلافة في أهل البيت. ورأوا أن هذه الأحزاب كلّها تمثّل سَرَاةَ العرب وأغنياءهم وأشرفهم، ولا تمثل

(١) ديوان محمد العيد آل خليفة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر، عام ٢٠١٠م، ص٣٠٧.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، حديث رقم(٨٥٠٢)، ج٣، ص٦٩٩.

سواد الأمة. ومن هنا جاءت اتجاهات شعرهم السياسي على النحو التالي:

أولاً: المبدأ والشعار:

مبدأ الخوارج تقوى الله، وشعارهم لا حكم إلا لله. ووفق هذا المبدأ باعوا الله أنفسهم في سوق الجهاد تصديقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وشعارهم تحكيم الكتاب ورفض ما قبل به علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- من تحكيم الرجال. قال الجعدي بن أبي صمام يصف الخوارج[١]:

شباب أطاعوا الله حتى أحبّهم
وكلّهم شار يخاف ويطمعُ
دَعَوْا خصمهم بالمُحكمات فبيَّنوا
ضلالتهم والله ذو العرش يسمع

وقال الشاعر ابن الجعد مخاطباً الحجاج بن يوسف الثقفي[٢]:

ينادون بالتحكيم لله إنهم
رأوْا حُكْمَ عمروٍ كالرياح الهوائج
وحُكْمَ ابن قيسٍ مثل ذاك فأعصموا
بحبل شديدٍ بناهجِ
ولا خير في الدنيا إذا الدين لم يكن
صحيحاً ولم يصمدْ لقصد الخوارج

وفي الأبيات خاطب الشاعر الحَجاج بن يوسف، وذكر فيها أن تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص في مصير الأمة كان هباء طارت به رياح السياسة المتقلبة، وأن التحكيم الصحيح لا يتهيّأ إلا بالاحتكام إلى كتاب الله. ففي آياته سعادة البشر في الدارين، ونجاتهم من الآراء المتضاربة والسبل الملتوية.

ثانياً: تكفير المسلمين:

كان للشعار الذي رفعه الخوارج أثرٌ سلبيٌّ في موقفهم السياسي من عامّة المسلمين؛ فالذين يرتضون شعارهم ينجون من سيوفهم، والذين يرفضون تسلّط السيوف على رقابهم ويُستأصلون. وفي ذلك نرى قطريَّ بن الفجاءة يفاخر بإغارته على المسلمين الآمنين، ويسمّيهم كفّاراً، ويعتزُّ باستباحة حُرماتهم، ويعد أصحابه بمرضاة الله، وبالفوز يوم القيامة بالخلود في جنّته، فيقول في حديثه عن زوجته أم حكيم[٣]:

(١) شعر الخوارج: إحسان عباس، ص١٧٩.

(٢) ديوان الخوارج: نايف محمود معروف، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عام ١٩٨٣م، ص٣٨.

(٣) زهر الأكم في الأمثال والحكم: الحسن بن مسعود، تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ط١، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج٣، ص١٦٥.

فلو شهدتني يوم ذاك وخيلُنا
تبيحُ من الكفَّار كلَّ حريمِ
رأت فتيةً باعوا الإله نفوسهم
بجنَّاتِ عدنٍ عنده ونعيمِ

وسميرةُ بن الجعد ذهب المذهب نفسه في مخاطبته للحجاج بن يوسف، إذ أنكر كل الأحزاب السياسية، وكلّ آرائها في الخلافة، ولم ير الرشاد إلا فيما ذهب إليه الخوارج، فهم وحدهم على حق، وكلّ من خالفهم على باطل، لأنهم بالتحكيم ضلّوا وأضلّوا، وحادوا على الصراط المستقيم، فهم يستحقّون اللعنة لا الجنة، والعقاب لا الثواب. يقول[1]:

فمن مُبلغُ الحجاج أن سُميـرةً
قَلَى كلَّ دين غير دينِ الخوارجِ
رأى الناس إلا من رأى مثل رأيه
ملاعينَ تَرَّاكين قَصْدَ المناهـجِ

ثالثاً: **الحكّام ظُلّام وقتالهم واجب:**

كانت الخلافة الإسلامية محور الخلاف بين الأحزاب السياسية؛ لهذا فإن أهمَّ ما كان يهمُّ الخوارج انتزاع الحكم من بني أمية. وإذا كانوا عاجزين عن انتزاعه منهم فليسوا عاجزين عن قتالهم سواء أفضى بهم القتال إلى النصر أم الشهادة.

قال الشاعر أبو وازع الراسبي محرِّضاً نفسه وقومه على مقاومة بني أمية بالسيف لا بالقول؛ لأن قتالهم بالسيف سيبلّغه إحدى الحسنيين: الشهادة أو الانتصار على الحاكم الأموي الظالم الذي ضلّ وأضلّ، وخالف دين الإسلام بحكمه الجائر[2]:

لسانك لا ينكى به القوم إنمـا
تنال بكفيك النجاة مـن الكرب
فجاهد أناساً حاربوا الهإ واصطبر
عسى الله أن يُخْزي غَويَّ بني حرب

وقال أبو بلال مرادس بن أديّة ملتمس من ربه العون على محاربة الجائرين الغادرين من ولاة الأمويين لمحق الكافرين، وسحق الملحدين واثقاً بقدرة الله وتأييده، ومصرّاً على مقاومة الحكّام الظلّام ليطهر الدنيا من مخازيهم[3]:

إلهي هب لي زلفة ووسيلـةً
إليك فإني قد سئمتُ من الدَّهرِ
وقد أظهر الجورَ الولاةُ وأجمعوا
على ظُلم الحقِّ بالغدر والكفـرِ
وفيك إلهي إن أردت مُغَيِّـرٌ
لكلِّ الذي يأتي إلينا بنو صخر
فيا ربِّ لا تُسْلم وُلاتَك للـردى
وأيِّدهُمُ يا ربِّ بالنصر والصّبـر

(١) شعر الخوارج: إحسان عباس، ص١٢٢.

(٢) الكامل في اللغة والأدب: للمبرد، ج٣، ص٢٠٢.

(٣) شعر الخوارج: إحسان عباس، ص٥١.

ويسر لنا خيـــــراً ولا تَحْرمَنَّنا

لقاء ذوي الإلحاد في عدد دَثْر

رابعاً: **بين تقدير الأمراء وتحذيرهم:**

لم تكن مواقف الخوارج السياسية من الخلفاء والأمراء مبنيةً في كل حين على عداوة أو صرف وتنافر محض، بل كان يعرض لبعض المواقف بعض المهادنة. ومن هنا استخدموا سياستهم التي تقدّر صنائع الأُمويين لهم.

ومن شعراء الخوارج الذين يقدّرون الأمويين أيّما تقدير؛ الشاعر عمران بن حطان رأس الصفرية وخطيبهم وشاعرهم. إذ نراه يقرّ بفضل أمير أموي يسمى روح بن زنباع الجذامي، شاكراً له ما لقيه في كنفه من كرم وطمأنينة طوال عام كامل[1]:

أكْرِمْ بروح بن زنباع وأسرته

قـــومٌ دَعَا أوّليهم للعـــلا دَاع

جاورتهم سنة فيمَا أُسَرُّ بـه

عرضي صحيحٌ ونَومي غيرُ تَهْجاع

ولم تكن مواقف الخوارج السياسية في كل حين تشدّداً معتمداً، وإنّما كانت في بعض الأحيان ردّاً على ظلم، أو اعتراضاً على حاكم، فعتبان بن وصيلة الشيباني حاول أن يتودّد إلى عبد الملك بن مروان بالمصالحة والمناصحة على أن يعزل الحجاج بن يوسف الثقفي، ويولّي العراق رجلاً يترفق بالأمة، ولا يشقّ عليها، فقال[2]:

لَعَمْري لقد نادى شبيبٌ وصحبه

على الباب لو أنَّ الأمير يجيب

فأبلغ أمير المؤمنين رسالـــةً

وذو النصح لو تُصْغي إليه قريب

فلا صلحَ ما دامت منابرُ أرضنا

يقوم عليها من ثقيفَ خطيب

خامساً: **كراهيةُ الحياة والشّهوات:**

لم يكن في سياسة الخوارج طلباً للدنيا مع أنهم كانوا يحاربون طلابها، وهذا ما أورده المبرد في كتابه قائلاً: (إن الخوارج ولّوا قيادتهم مرداس بن أدية، فمضى بهم حتى نزل (آسك) فمر به مالٌ، يحمل لابن زياد، وقد قارب أصحابه الأربعين، فحطّ ذلك المال، فأخذ منه عطاءه، وأعطيات أصحابه، ورد الباقي على الرسل)[3].

وأعجب ما يثير عجبك من الخوارج أن نساءهم لم يكنّ أقلّ زهداً من الرجال، وإنما كنّ ينافسنهم في احتقار المال، وفي الاستبسال في القتال. كانت أم

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: للبغدادي، ج٥، ص٣٥٨.

(٢) شعر الخوارج: إحسان عباس، ص١٨٢.

(٣) الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج٣، ص١٨٣.

حكيم زوجة قطري بن الفجاءة ذات جمال وبها وتقوى ومضاء، فكانت على تقواها ومضائها أحرص منها على جمالها وبهائها، حتى إنها كانت تزهد في التجميل والتطرية، وتقبل على ميادين القتال، متصدّية للفرسان، متحدّية جند الأمويين، وهي ترتجز بقولها[1]:

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهُ
وَقَدْ مَلَلْـــتُ دَهْنَهُ وَغَسْلَهْ
أَلَا فَتىً يَحْمِـــلُ عَنِّي ثُقْلَهُ

وربما بزّت النساء الرجال، فآثرن القتال على الوصال، ونفرن إلى الجهاد، وأزواجهن قعود، على النحو الذي مثلته عُميرةُ- وكان زوجها مجاشع من قعد الخوارج- إذ تركت زوجها مضطجعاً على مهاد الجبن مع الخوالف، واندفعت إلى الميدان تشتق الصفوف بين الرماح والسيوف، لكي تتجرّع أو تُجرِّع أعداءها الحتوف، بعدما زهدت فيما تكلف به الحسناء من سرير، وخلاخيل ذوات صليل، لأن ما بعد الشهادة أحبّ إليها من الدنيا وزينتها. قالت[2]:

أبلغْ مُجاشع إن رجعت فإنني
بين الأسنة والسيوف مقيلـي
أرجو السعادة لا أحدّث ساعةً
نفسي إذا ناجيتها بقفـــول
ووهبتُ خدري والفراش لكاعب
في الحيّ ذات دمالج وحُجول

سادساً: **الشوق إلى الموت والجنة:**

عندما أحس الخوارج بضؤولة الدنيا وتفاهة الحياة وإيمانهم بعظمة الآخرة- هذا الإحساس- تضاعف لديهم حينما قرنوا حكم الصديق والفاروق- رضي الله عنهم- بحكم الأمويين، فذهبوا إلى أن خلافة العمرين مشروعة، وأن خلافة الأمويين مغتصبة؛ فلما عجزوا عن ردّ الحق إلى نصابه، وتولية الحكم من هو له أهل كرهوا الدنيا وما فيها، فجاء اتجاه شعرهم السياسي هنا؛ للتّشوق إلى الموت، ليشفيهم من النقمة على الحياة الدنيا عامة، وعلى الحكام الظلام خاصة.

وهذا الإحساس صغّر في أعينهم البشر، وكبّر الكون، فلم يأبهوا لما أنذرهم به أهل الكوفة حينما هددوهم بأن يحرقوهم إذا ظفروا بهم، لأن إحراق الجسوم لن يمنع خلود الأرواح، والسعادة الحقيقية ليست في نجاة الإنسان من الموت في الدنيا، بل في نجاته من الجحيم في الآخرة. وأدلّ

(١) ديوان الخوارج: ص٢٧.
(٢) ديوان الخوارج: ص١٥٠.

ما يدلّك على تفاهة الأجساد البشرية أن موت ألف إنسان لا يغير من قوانين الفلك الكونية قيد أنملة، قال فروة بن نوفل الحروريّ[1]:

ما إن نُبالي إذا أرواحنا قُبضت
ماذا فعلتم بأجسادٍ وأبشـــار
تجري المجرّة والنّسران بينهما
والشّمس والقمر السّاري بمقدار
لقد علمتُ وخير العلم أنفعــه
أنّ السعيد الذي ينجو من النار

المبحث الرابع

سمات شعر الخوارج السياسي

قال صاحب كتاب (الشعر السياسي) عن شعر الخوارج: (هو جديد في معانية، يستمدها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو جديد في غايته، إذ كان جهاداً في سبيل الحكم الصالح.... وهو جديد في خلق رجاله وعواطفه... وهو جديد في أساليبه الرقيقة السلسة الجزلة[2]. ومن هنا نقف على أهم سمات شعر الخوارج السياسي منها:

(١) العقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤٠٤ هـ، ج٣، ص٢٥٤.

(٢) الشعر السياسي في العصر الأموي: كاظم الظواهري، دار الصحوة للنشر، عام ١٩٨٧م، ص٥٧.

أولاً: **الالتزام:**

لم يظهر في العصر الأُموي حزب سياسي التزم أبناؤه آراءه على النحو الذي تجلّى في حزب الخوارج، لقد التزم أعضاء هذا الحزب أفكارهم من الشعار الكلّي إلى السلوك اليومي، ولم يقاربهم في هذه الخصيصة إلا الشيعة، غير أن الشيعة مزجوا الالتزام بالمحاورة والجدل، وبالمسالمة والاعتدال. أما الخوارج فقد كانت أفعالهم أسبق من أقوالهم، ونساؤهم أشجع من رجالهم، حتى أن زوجة أبي حمزة الخارجي- واسمها الجُدَيْعاء- اشترت سلاح الرجال بحلية النساء، ونزلت إلى الميدان وهي ترتجز[3]:

أنا الجديعــاءُ وبنـــت الأعلم
من سال عن اسمي فاسمي مريم
بعتُ سواريَّ بعَضْـبٍ مِخْـذَمْ

وبلغ الالتزام ببعض الخوارج مبلغه، حيث أباح زيج بن جندب القتال، وحرّم الجدال لئلا تفرّق الألسنة ما جمعت الأسنة، فقال[4]:

كُنا أناساً على دين ففرَّقَنـــا
طول الجدال وخلطُ الجدِّ باللعب

(٣) ديوان الخوارج: ص٣٧.

(٤) البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام ١٤٢٣ هـ، ج١، ص٥٨.

ما كان أغنى رجالاً ضلَّ سعيهُم
عن الجدال وأغناهم عن الخُطب
إني لأهْوَنكُمُ في الأرض مُضطَّرباً
ما لي سوى فرسي والرمح من نشب

ثانياً: الاقتباس من القرآن الكريم:

من المعروف أن القرآن الكريم بعد نزوله أضاف إلى الفكر العربي صناعة جديدة في قول الشعر خاصةً في العصرين الإسلامي والأموي. حيث كان المقصود من هذا تميّز شعراء حزب الخوارج الأُموي من غيرهم لاقتباسهم من معاني القرآن الكريم.

ما استلهمه شعراء الخوارج في شعرهم السياسي من معاني القرآن الكريم كثير جداً، وذلك مثل قول عمرو بن الحصين في وصف الخوارج[1]:

متأهبون لكل صالحة
ناهون من لاقوا عن النُّكرِ
إلا نُحيِّهم فإنهـــــم
رُجفُ القلوب بحضرة الذِّكرِ

اقتبس عمرو بن الحصين في البيت الأول من قوله تعالى: ﴿... الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ ...﴾ [التوبة: ١١٢]،

(١) حماسة القرشي: عباس بن محمد بن مسعود القرشي، تحقيق: خير الدين محمود قبلاوي، وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية، دمشق، عام ١٩٩٥ م، ص١٨٧.

وفي البيت الثاني كان اقتباسه من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾ [الأنفال: ٢].

وقال الشاعر مرداس بن أديّة مقتبساً من القرآن الكريم بقوله[2]:

فيا رب لا تُسْلِمْ ولاتك للردى
وأيِّدهم يا ربِّ بالنصرِ والصَّبْرِ

وفي البيت اقتباس واضح من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٣].

وكذلك نرى الشاعر الرهين المرادي يأخذ نصيبه من الاقتباس بقوله[3]:

وابن المنيح ومرداساً وإخوته
إذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا
تخالُ صفَّهُم فـــي كلِّ مُعْتَرَكٍ
للموت سُوراً من البنيان مرصوصا

حيث اقتبس في البيت الثاني من معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ثالثاً: الاقتباس من الحديث النبوي الشريف:

لا يكثر شعراء الخوارج في شعرهم السياسي اقتباس المعاني من الحديث كما أكثروا اقتباسها من القرآن الكريم، وعلى الرغم من هذه القلة فإن البيان

(٢) شعر الخوارج: إحسان عباس، ص٥١.
(٣) شعر الخوارج: إحسان عباس، ص٦٢.

النبوي فرض نفسه عليهم وعلى غيرهم، فأخذوا منه بعض الأحاديث بالمعنى، كما نرى ذلك عند قول حصين بن حفصة مقتبساً من قوله- صلى الله عليه وسلم-: (سبحان مقلب القلوب)[1]. فقال[2]:

فما جئته أعشو إليه بشبهة
ولا طالباً مالاً ولا الجاه أطلب
ولكنني أحدثت لله توبـــةً
نقلت إليها والقلوبُ تَقلَّــبُ

واقتبس الشاعر أبو الحديد من معنى الحديث النبوي بقوله[3]:

أسلمتَ عرسك والبلاءُ موكِّل
بالقول عند تشاجُرِ المُرَّانِ

وفي البيت اقتباس واضح من قوله- صلى الله عليه وسلم-: (والبلاء موكَّل بالقول)[4].

خاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على النّبيّ المصطفى وعلى آله وأصحابه المستكملين الشرفاء، وبعد:

جاءت هذه الورقة تحت عنوان: (الاتجاه السياسي وأثره في شعر حزب الخوارج الأموي) ومن خلالها توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١- إن شعر الخوارج السياسي اصطبغ بصبغة دينية مستمدة ألفاظها ومعانيها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. لهذا كان جديد في معانيه، وجديد في غايته، لأنه كان جاهداً في سبيل الحكم الصالح كما يرى الخوارج.

٢- يمتاز شعرهم السياسي بأنه أصدق صورة أدبية لمذهب ديني سياسي. وذلك من خلال احتفاظهم بسمتهم البدوية؛ فجاء شعرهم السياسي صريحًا جريئًا قويًا جمع صدق الشعور وقوة العقيدة وسلامة الخُلق والطبع.

٣- جاء معظم شعرهم السياسي عبارة عن مقطوعات لا قصائد، في إيقاع قوي، وموضوعه الجهاد والشهادة والتحذير من القُعود والاستبشار بأولئك الذين نالوا الشهادة.

(١) سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، وزارة الأوقاف المصرية- القاهرة، حديث رقم (٣٨٦٤)، باب (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، ج١٣، ص٢١.
(٢) شعر الخوارج: إحسان عباس، ص١٠٥.
(٣) ديوان الخوارج: ص١١.
(٤) مسند ابن الجعد: علي بن الجَعْد الجَوْهَري، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر – بيروت ط١، ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م، حديث رقم (١٩٦٣)، ج١، ص٢٩٠.

٤- يمثل شعرهم السياسي أكثر أشعار الأحزاب الأخرى؛ بُعْداً عن المدح أو الفخر أو الغزل، وأكثرُ اهتماماً بالحماسة ومواقف الجهاد الثائرة. وضمن هذا الغرض الكلي تتبعثر المعاني الجزئية لشعرهم السياسي وتنسج من خيوطها أفكار الخوارج وأخلاقهم ومشاعرهم وسلوكهم، وذلك من خلال اتجاهات شعرهم السياسي التي ذكرت في المبحث الثالث من هذه الورقة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أهدى سبيل إلى علمي الخليل: محمود مصطفى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٢- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام ١٤٢٣ هـ.

٣- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة.

٤- حماسة القرشي: عباس بن محمد بن مسعود القرشي، تحقيق: خير الدين محمود قبلاوي، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، عام ١٩٩٥ م.

٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١٨، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.

٦- ديوان الخوارج: نايف محمود معروف، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عام ١٩٨٣م.

٧- ديوان عبدالله بن قيس الرقيات: دار صادر- بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٨- ديوان محمد العيد آل خليفة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر، عام ٢٠١٠م.

٩- زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، دار الجيل، بيروت.

١٠- زهر الأكم في الأمثال والحكم: الحسن بن مسعود، تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

١١- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، وزارة الأوقاف المصرية- القاهرة.
١٢- السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١٣- شعر الخوارج: إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٧٤ م.
١٤- الشعر السياسي في العصر الأموي: كاظم الظواهري، دار الصحوة للنشر، عام ١٩٨٧م.
١٥- الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
١٦- العقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤٠٤ هـ.
١٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
١٨- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن.
١٩- الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،، مكتبة دار التراث- القاهرة، ط ٢٠٠٧م.
٢٠- الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل ودراسة): علي عبد الفتاح المغربي، مكتبه وهبة، ط٢، ١٩٩٥م.
٢١- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط١٢.
٢٢- الفهرست: ابن النديم، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٣- الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، دار الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ /١٩٩٧ م.
٢٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة

الرسالة للطبع والنشر، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٥- مجاني الأدب في حدائق العرب: رزق الله بن يوسف، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣ م.
٢٦- مسند ابن الجعد: علي بن الجَعْد الجَوْهَري، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر ،بيروت، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٢٧- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة- القاهرة.